الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان–

كلية الآداب و اللغات

قسم : اللغة و الأدب العربي

شعبة : الأدب المغربي القديم

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب المغربي القديم بعنوان

غرض الزهد في الشعر المغربي
من القرن الثالث إلى نهاية القرن السادس الهجري

- **إعداد الطالب :** عبد القادر عكرمي

بإشراف: أ.د. أحمد طالب

أعضاء اللجنة المناقشة :

- أ.د محمد عبـــاس	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيســـا
- أ.د أحمـــد طالـــب	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا و مقررا
- أ.د محمد مرتـــاض	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	عضوا مناقشـــا
- أ.د محمد طـــول	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	عضوا مناقشـــا
- د. بن علي قـــريش	أستاذ محاضر (أ)	جامعة س. بلعباس	عضوا مناقشـــا

السنة الجامعية: 2010-2011

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر وتقدير

قبل كل شيء نشكر الله عز وجل ونحمده، الذي وفقنا في إنجاز هذا العمل المتواضع ثم نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف " أحمد طالب " الذي كان له الفضل في الإشراف على هذه المذكرة، ولم يبخل علينا بنصائحه وتذليل الصعاب، وإلى كل الأساتذة الذين أمدوني بنصائحهم القيمة وأخص بالذكر الذين كان لهم الفضل في تنقيح هذه المذكرة ؛ أعضاء لجنة المناقشة ، فلهم مني كل الشكر والعرفان.

وشكرا

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع

إلى الوالدين الكريمين

إلى إخوتي

إلى كل من أدين لهم في جميع أطوار

الدراسة

مقدمة

بسم الله الرحمَـــن الرحيم

الحمد لله الذي الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور يعلم ما يســـــرون وما يعلنون والله عليم بذات الصدور ، خلق الإنسان علمه البيان وكل شـــيء عنـــده بمقـــدار، سبحان من جعل له عينين ولسانا وشفتين ، فسعيد يسره لليسرى وشقي يسره للعسرى ، هـــو الذي خلقكم وما تعلمون لا يسأل عما يفعل وهم يسألون . والصلاة والسلام على سيدنا محمـــد خاتم النبيين والمرسلين ، الذي أرسله الله رحمة للعالمين ونسخ بشريعة دينه كل شريعة وديـــن وعلى آله وأصحابه الأكرمين ، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد :

تختلف الشعوب في ثقافتها وتختلف في أجناسها لكنها تجتمع في شـــيء واحـــد وهـــو الافتخار بتراثها . وكلما كان هذا التراث أقدم كان الافتخار أكبر، ثم إن الأمة تسعى جاهدة إلى جمعه مسخرة لذلك كل الوسائل . ويبقى المغرب العربي أرضا خصـــبة بالنســـبة للدارســـين والباحثين في مختلف المجالات. لا سيما المجال الأدبي الذي تُجدد فيه الجهـــود دائمـــا حـــول إعطاء الحركة الثقافية في هذا القطر حقها ومكانتها بين الأمم الخالية والحالية مما صنعه أهل هذه المنطقة الجغرافية من تأليف وإبداع شعري ونثري حتى تتمكن الأجيال القادمة من معرفة تاريخها .

كل إنسان جبل بين نزعة الشر التي تجعله يطلب ملذات الدنيا و شهواتها ، ونزعة الخير التي تدفعه إلى تحكيم العقل الذي فطره الله به ، فيلجأ إلى الله ويعتمد الحدود و الشرع كوازع له مترفعا عن هذه الملذات والشهوات . وفي وسط كل هذا يظهر الشاعر الزاهد الغير راغب في هذه الدنيا ، معبرا عن سخطه لها و مرغبا في الآخرة ومرهبا من عذاب الله .

إن التحلي بالأخلاق الفاضلة والتمسك بالخصال الحميدة مبدأ جوهري من مبادئ الإسلام وتعاليمه ، فقد أحاط الإسلام المجتمع بمنظومة من القيم الأخلاقية والخلقية ووضـــع للأخلاق قواعد يتم على أساسها تربية النفس وتهذيبها منها القناعة والتوكل على الله والصبر و التقوى والالتزام بالصدق والوفاء والحياء والسخاء كما أنه ذم النقائص الخلقية التي ينزلق إليهـــا ذوو النفوس الضعيفة مثل الحسد و التكالب على الرزق و الإقبال على الدنيا و الكبرياء و الحقـــد والجبن والكذب وسوء الظن بالنفس وبالغير.....

والزهد قيمة إسلامية خالصة يستمد أصوله من مفاهيم الإسلام و مبادئه . نقول هذا لأننـــا مسلمين ، ولأن الإسلام هو دين الحق الذي لزم علـــى البشـــرية أن تســـتقي منـــه مناهجهـــا

ومنظوماتها ونحن نعلم أن الزهد وجد في الأمم السابقة للإســـلام، تحلـــــى بـــــه أنبياؤهـــا والصالحون منهـــــا .

إن رغبتي في دراسة هذا الموضوع تكونت بعد اختيار الموضوع بمساعدة أحد أســـاتذتي الكرام ، و كما هو الحال في كل بحث أو عمل مهما كان مجاله ، فإن الصعوبة تكـــون فـــي البداية لما يشوب الباحث من تردد و خوف من الخطأ حيث تتشتت الأفكار وتهرب الجمـــل . لكن وبعون الله ، كانت العزيمة التي بثتها الرغبة ، تلك الرغبة التي جعلتني أميل ميلا شـــديدا لهذا الأدب الروحي ذلك الجوهر الأصيل في التراث الإسلام الذي غذى مشاعر الأمة علـــي امتداد العصور بكل القيم الجميلة ، كما هو الحب لأدب الأجداد الذي صاغه القـــرآن صـــياغة حضارية جديدة والذي نطقت به ألسنتهم علي شكل نزعات زهدية . إن رغبة أخـــرى كـــانت دافعي في تناول هذا الموضوع ، وهي أن هذه الظاهرة لها أبعاد نفسية و روحية ، تجعل كل من يتداولها بكثرة ينغمس فيها ويحاول التشبه و الإقتداء بأولئك والابتعاد عن ضوضاء هذه الدنيا وإن ذلك لسنة حميدة . كما أن انطلاقة النهضة الأدبية في بلاد المغرب بـــدأت مقاربـــة لهذا العصر أي نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث الهجري وهو الرأي الذي يميـــل إليـــه بعض أدبائنا(1).

رغبة أخرى أستطيع أن أضيفها وهي أن هذه الظاهرة تنحصر في أشعار ليست متداولة بكثرة ولا تجد كاتبا أو باحثا أو مؤرخا إلا و مر عليها مرور الكرام ، فهـــذا مـــا أغرانـــي وجعلني أتحلي ببعض الجرأة في البحث في هذا الجانب الروحي الخاص بهذه الفترة و بهـــذه المنطقة الجغرافية من بلاد الإسلام.

إن هذا الموضوع يكتسي أهمية كبرى تكمن في محاولة الاطلاع عليه لما يمثله من قيـــم جمالية فنية وضروب الفكر المغربي ومدى تواصل إنسان هذه المنطقة بواقعه المعيشي و تكيفه مع زمنه حينما يتأمل الكون والحياة و يرخيَ لشاعريته زمانا ، وبخاصة حينما تتطلـــق هـــذه الأشعار من الذات ، موحية بالألم والعذاب الذي أحس به هؤلاء الشعراء و مدى ارتباطهم بالله و تفكيرهم الطويل في مصير هذا الإنسان.

(1)ينظر .د.محمد مرتاض ، مجلة الفضاء ألمغاربي،مجلة دورية يصدرها مخبر الدراسات الأدبية والنقدية وأعلامها في المغرب العربي.جامعة أبي بكر بلقا يد–تلمسان.العدد 01 ص 8

لقد آثرت أن يكون هذا البحث مقتصرا على الشعر دون النثر ، وجعله يبتدئ بـــالقرن الثالث الهجري و ينتهي بنهاية القرن السادس الهجري ، و لم أخص بالذكر شعر مـــن ولـــدوا بهذه المنطقة بل حتى الذين ارتحلوا إليها و إن كانوا لم يلبثو فيها إلا قليلا. لا أقول كلهم بل ما استطعت العثور عليهم . أردت بذلك أن يكون شـــاهدا علـــى أصـــحابه ، و وردا للطلاب وتكوين مدونة لبعض من هؤلاء الشعراء الزهاد المتوسمين بالحكمة و المعرفة .

وككل باحث أراد لبحثه أن يكون مفيدا له ولغيره وسعى بكل ما رآه وســيلة للوصـــول إلى هدفه فإني وجدت بعض المصاعب على رأسها : قلة البحوث في شعر الزهد بل أنـــا لـــم أجدها أصلا ، وقلة شعر الزهد الموجود في كتب التاريخ أو كتب الأدب أو كتب التراجم على الرغم من أن هذه الكتب غنية بهؤلاء الرجال الزهاد .

وقد اعتمدت خطة منهجية لذلك : فقسمت البحث إلى ثلاثة فصول بالإضافة إلى مقدمـــة ومدخل ثم خاتمة ، فتحدثت في المدخل عن الحيز الجغرافي للمغرب العربي وعـــن المفهـــوم اللغوي و الاصطلاحي للزهد ، والمفهوم الإسلامي للزهد في القرآن والســـنة وعنـــد الســـلف الصالح وعوامل الزهد وأسبابه وتحدثت في الفصل الأول عن شعر الزهد عند المشـــارقة ثـــم شعر الزهد عند الأندلسيين ، و ذكرت فيه كذلك بعض المصادر التي اعتمدتها وزدت الحيـــاة الثقافية في المغرب العربي قبل القرن الثالث الهجري ، أما في الفصل الثاني والفصل الثـــالث فطرقت شعر الزهد وموضوعاته في الفترة المأخوذة أي من بداية القرن الثالث الهجري إلـــى نهاية القرن السادس الهجري ، موزعة هذه الأشعار حسب هذه القرون الأربعة والتي انتشرت في مختلف مناطق المغرب العربي . والتي واكبت تلك الإمـــارات والـــدويلات الـــتي حلـــت بالمنطقة . وزدت في الفصل الثالث مصادر هذا المعجم الشعري والتشكيل الفني فـــي شـــعر الزهد محتويا على العناصر : اللغة والأسلوب ، ثم الصورة عند شـــعراء الزهـــد المغاربـــة فالموسيقى الشعرية لهذا الغرض عندهم ، بعد كل هذا مدونة لما وجدته من شعر هذه الفترة . و في الأخير خاتمة هي حوصلة لأهم النتائج التي توصلت لها .

ولما كانت طبيعة الموضوع تملي علي ضرورة الأخذ بمنهج معين لهذا البحث فســـوف أنتهج المنهج التاريخي للأحداث التي طرأت في هذا العصر ، و تفصيل ما أمكنني تفصيله مـــن جوانب الإبداع المغربي التي تقتضي فهما دقيقا ، يتجسد في ارتباط الشاعر بـــالواقع و بأبعـــاده الاجتماعية و الثقافية و البيئية ، و يتجسد في مدى قدرة هؤلاء الشعراء على تحديد فلسفتهم فـــي

الحياة و إخراج ما خالجهم من شعور و إحساس فقد لزم علي انتهاج ما يمكنني أن أعـــبر عنـــه بالمنهج الوصفي على العموم.

المدخل

1. الحيز الجغرافي للمغرب العربي
2. السياق المعرفي للعنوان
3. المفهوم الإسلامي للزهد
   - في القرآن
   - في السنة
   - عند السلف الصالح
4. عوامل الزهد و أسبابه

الحيز الجغرافي للمغرب العربي :

إن كنا نريد دراسة ظاهرة معينة فلا بد من تحديد المكان و الزمان لها ، و منه فالمغرب العربي الذي هو عكس المشرق هو يمتد من طرابلس الغرب إلى موريتانيا ، و قد أطلق العرب اسم " جزيرة المغرب" على ما يسميه الجغرافيون في عصرنا هذا شمال إفريقية أو إفريقية الشمالية ، و بعبارة أصح الشمال الغربي من إفريقيا ، و ذلك لأن البحر الأبيض المتوسط يكتنفها من الناحيتين الشرقية و الشمالية . و المحيط الأطلسي – أو بحر الظلمات – من الناحية الغربية(1).

أما في القديم فقد تطورت تسمياته حسب العصور . والأنظمة السياسية والحضارية التي تواردت عليه . وأقدمها اسم " ليبيا" الذي أطلقه لأول مرة الإغريق و رحالتهم منذ القرن الخامس قبل الميلاد ، ليدل على الأجزاء الشمالية المعروفة و المأهولة من قارة إفريقيا كلها بحيث أن كلمة "ليبيا" عندهم كانت ترادف مدلول قارة إفريقيا فيما بعد ... و من نسل هؤلاء الليبيين القدماء أحفادهم الليبيون المحدثون ، أو البربر الذين ارتضوا لأنفسهم اسم " الأمازيغ" أي الرجال الأحرار الذين يرتفع نسبهم إلى مازيغ بن كنعان – و قد تطور مدلول " ليبيا" و غدا في نهاية الأمر قاصرا على أراضي الجماهيرية العربية الليبية الاشتراكية دون بقية الأجزاء الشمالية من بلاد المغرب الكبير(2). و لقد أطلق اسم إفريقية* في عهد الفينيقيين على هذا الجزء من العالم الإفريقي المتوسطي القديم ، ويقصد به الأقاليم الواقعة غرب الإسكندرية(3).

و بوجود الاضطرابات المتكررة السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية و كثرة النفوذ الروماني ذي الطابع العسكري ، انمحت بعض الفوارق و أصبح يعني– أي المغرب– كل النطاق الساحلي الذي يمتد من طرابلس إلى طنجة إلى سبتة .

وظهر مصطلح " المغرب" خلال القرن الثالث الهجري. ليدل على ما كانت تدل عليه كلمة إفريقية (4) و لقد تعرض المغرب العربي للغزو الخارجي منذ قرون قبل الإسلام ، و كان الغرض الأساسي من تلك الغزوات هو الاستطان و استغلال الثروات ، وتمت مقاومة هذه الاحتلالات من

---

(1) رمضان شاوش . "الدر الوقاد" ص 9

(2) "الجزائر في التاريخ – العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني" ص 11

* إفريقية : سميت إفريقية بذلك لنزول أفريقش من ولد حام بن نوح بها ، و أفريقش هو أبو البربر فالبربر كلهم من ولد حام بن نوح خلا صنهاجة ..–"المعجب في تلخيص أخبار المغرب" ص 173."المؤنس في أخبار إفريقية وتونس".ص 18

(3) محمد علي دبوز ، تاريخ المغرب الكبير ج 1 ص 3

(4) ينظر " أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة " ص 13 – " الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني " ص 12 ، 13

الرومان أو الو ندال أو البيزنطيين (1) . والإمبراطوريات الكبرى المتزايدة الصعود والطامعة(2). لكن المسلمين لم يكن هذا هدفهم ، بل كان الهدف أسمى من ذلك ألا و هو نشر الدين الإسلامي لا غير، حتى قال بعضهم أنه كان فتحا ثقافيا بالدرجة الأولى ، لأنه أتى بكتاب سماوي غايته تلقين ما في القرآن من دين و أخلاق و تطبيق ما ورد فيه من أحكام و ثقافة (3) . و كان القبول لهذا الدين من القبائل الأمازيغية و أخذته على نحو ما جاء به الفاتحون الأوائل ، الذين نادوا بالمساواة ، فقلت المقاومة. بل ساهم البربر في نشر هذه العقيدة في المغرب الإسلامي و المناطق المتاخمة له في الضفة الشمالية للبحر الأبيض المتوسط ، كالأندلس و صقلية...(4).

ولما كان الفتح الإسلامي ، استطاع الفاتحون العرب الاندماج بسهولة –أي القادمين الأوائل – مع سكانها الأصليين (الأمازيغ) ، والتأثير فيهم بفضل المبادئ السمحة للدين الإسلامي الجديد الذي جاؤوا به إلى هذه البلاد ، و ربط هذه المنطقة بالخلافة الإسلامية في المشرق. لقد كانت المحاولات الأولى لفتح هذه البلاد في بدايات القرن الأول الهجري حين بعث الخليفة عثمان بن عفان–رضي الله عنه– عامله في مصر عبد الله بن أبي السرح لغزوها فزحف إليها سنة 27 هـ في نحو عشرين ألف جندي ، و تلتها حملات أخرى بقيادات أخرى تمثلت في عقبة بن نافع الفهري و أبي المهاجر دينار ، و حسان بن النعمان ، الذي انتصر على الكاهنة سنة 84هـ، ثم موسى بن نصير الذي تولى القيادة ما بين 85– 95 في عهد عبد الملك بن مروان(5)، و يزيد بن أبي مسلم الذي تولى أمور إفريقية سنة 101هـ ، وبشر بن صفوان الكلبي (6)103 هـ و عبد الله بن الحبحاب سنة 114 هـ الذي يرجع إليه إنجازه العمراني لجامع الزيتونة في مدينة تونس(7).

ثم حدثت تطورات على البلاد الإسلامية في الشرق و الغرب ، فوجدت التقسيمات التي عرفها المغرب العربي فيما بعد . وظهرت مصطلحات جزئية تجمعها كلمة المغارب الثلاثة (الأدنى) و (الأوسط) و (الأقصى)، فالأدنى يعرف بإفريقية ، ويمتد تقريبا من طرابلس إلى بجاية و الأوسط أو الواسطة. ويمتد من بجاية (1) إلى نهر ملوية وراء تلمسان والأقصى ، و يمتد من ملوية

(1) ينظر أحمد إلياس حسين، "الإباضية في المغرب" ص 3
(2) ينظر محمد الطاهر العدواني ."الجزائر في التاريخ الجزائر منذ نشأة الحضارة" ص 238
(3) محمد الطمار ." تاريخ الأدب الجزائري" ص 117، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر
(4) ينظر رابح بونار ص 17
(5) ابن خلدون– "العبر "، دار إحياء التراث العربي – بيروت. ط 1 ص 191.البيان المغرب ج 1 ص 7
(6) يحي بوعزيز ، "الموجز في تاريخ الجزائر" ج 1. ديوان المطبوعات الجامعية ط 2 ، وهران الجزائر 1995 ص 92
(7) الرقيق القيرواني . "تاريخ إفريقية و المغرب" ص 107 ، بن عذاري . "البيان المغرب" ج 1. ص 51

حتى طنجة . وفي ظل هذه التقسيمات كانت تنشأ المدن للتنظيم الاجتماعي ، والتعبير عن القالب الحضاري و الفكري للدول . و كانت هذه المدن هي مراكز الإشعاع الفكري في المغرب العربي ، تتقدمها القيروان ، لأنها كانت في الواجهة ، كما كانت بجاية و تيهرت و تلمسان و فاس و مراكش و غيرها من الحواضر الفكرية .

وقد بدأت الدويلات تتشكل فيما بعد، تحاول السيطرة على أكبر كمية جغرافية باستدراج المناطق القبلية المبعثرة في أرجاء هذه المنطقة فكانت هناك الدولة الرستمية التي أسسها عبد الرحمان بن رستم 160 هـ وعاصمتها تاهرت ، عاصمة المذهب الخارجي(2) التي ارتحل إليها مع مجموعة من قبيلة زناتة من طرابلس و الأوراس (3). كما كانت دولة الأغالبة في أواخر القرن الثني الهجري ، و كان أميرها الأول إبراهيم بن الأغلب التي سادت القطر التونسي ، كما كانت في المغرب الأقصى دولة الأدارسة ، الذين استقروا بالمغرب الأقصى منذ 172 هـ و انتهى فيما بعد حكمهم على يد العبيد بين أبناء عمومتهم(4).

أردنا بهذه الحيز أن نوضح الحدود الجغرافية للمغرب العربي ، ليس نعني بذلك حصر هذه المدونة الشعرية التي جمعناها على من ولدوا في هذه المنطقة ، بل لحصر الشعر الذي قاله أي شاعر استطعنا أن نعثر عليه ، و كان قد ولد هنا أو عاش فترة من الزمن سواء ارتحل عبرها من المشرق إلى الأندلس أو من الأندلس إلى المشرق ،و عدينا شعره في هذه المدونة على اعتبار أنه شعر مغربي ، و ذكرنا شعره الزهدي بالخصوص لأنه موضوعنا .

(1)" الجزائر في التاريخ من العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني" ص 13

(2) "الجزائر بين الماضي والحاضر".ص 92

(3) محمد بن عميرة . "دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي"– المؤسسة الوطنية للكتاب 1984 الجزائر ص 117

(4) ينظر "تاريخ المغرب الكبير"ج 1 ص 3 ، و رابح بونار ص 45

2.السياق المعرفي :

1.الدلالة اللغوية والاصطلاحية للعنوان:

مدخل

عنوان هذه المذكرة هو" غرض الزهد في الشعر المغربي من القرن الثالث الهجري إلى نهاية القرن السادس ".

ولنبدأ بالكلمة الأولى وهي " غرض" والتي نردد مقصودها من خلال ما جاء به الدكتور محمد مرتاض ، حين يقول:"إن المقصود بالغرض في الشعر هو الهدف الذي قيل من أجله، ولذلك يستعمل الشاعر أدوات ويطبق قواعد ليبلغ غايته معه ، فيرتكز على الموسيقى واللفظ وسائر الأساليب ليحقق مقصده ، ويبلغ أربه ، وإذا كان الغرض لغة هو الهدف والقصد ، فإنه في المصطلح الشعري ينصرف إلى ما يرمي الشاعر إلى تحقيقه في قصيدته."(1)

أما لفظ الزهد في اللغة فله دلالات متعددة و مختلفة تتقارب و تتباعد بحسب الاستعمال و بحسب الإطلاق و تركيباته التعبيرية ، تعني عدم الرغبة بحيث يقال : زهد في الشيء إذا لم يرغب فيه ، رغب عنه و موضوعه الدنيا فالزهد ضد الرغبة ، و الحرص على الدنيا ، و تارة تعني الإعراض عنه و تركه لاحتقاره أو لتحرجه منه أو لقلته و زهيد الأكل قليله ، و تارة أخرى أزهد الرجل إزهادا ، إذا كان مزهد لا يرغب في ماله لقلته ، و هذا الانصراف هو انصراف عن وجه من أوجه الدنيا و هو الزهد في المال (2) .

وجاء في المعجم الصوفي أن أصل كلمة زهد : " الزاي والهاء والدال ، تدل على قلة الشيء"(3) .

و جاء في كتاب التعريفات أنه لغة ترك الميل إلى الشيء ، و في الاصطلاح هو بغض الدنيا و الإعراض عنها ، و قيل هو ترك راحة الدنيا طلبا لراحة الآخرة ، و قيل هو أن يخلو قلبك مما خلت منه يدك (4) . ويطرقه كذلك أبو حامد الغزالي في تعريف بأنه عبارة عن انصراف الرغبة عن شيء إلى ما هو خير منه(5).

---

(1) "مجلة الفضاء المغاربي". العدد الثالث،ص 8

(2) ينظر إلى منظور،" لسان العرب" ،دار صادر . بيروت ط 3 1994، ص 196-198، و الزبيدي" تاج العروس من بوادر القاموس". تحقيق عبد العزيز مطر مطبعة حكومة الكويت 1970 ص 50

(3) سعاد الحكيم- "المعجم الصوفي ، الحكمة في حدود الكلمة" ، دار. ندرة للطباعة و النشر ط 1 1981 ص 552

(4) أبو الحسن علي بن محمد الشريف- "التعريفات"، دار الشؤون الثقافية العامة ،آفاق عرقية – العراق ص 67.

(5) الغزالي. "إحياء علوم الدين" ، دار الفكر . طبعة مصورة عن طبقة لجنة نشر الثقافة 1975 ج 5 ص 208

ويعرفه الغزالي في موضع آخر: " هو أن تأتي الدنيا الإنسان راغمة صفوا عفوا و هو قادر التنعم بها من غير نقصان جاه و قبح اسم فيتركها خوفا من أن يأنس بها ، فيكون آنسا بغير الله محبا لما سوى الله و يكون مشركا بما حب الله غيره " (1)

ويلاحظ أن –أغلب إن لم نقل الكل– هذه التعريفات في معناها الاصطلاحي تصب أو تدل على الانصراف عن لذائذ الحياة و متعها و عدم الركون إليها و تحقرها . والإقبال على العبادة كما تتجه هذه التعريفات للمعنى الديني للزهد و هو العدول عن الدنيا ، بحيث يخلو القلب من ذكر ما هو دنيوي، و التفرع إلى الله عز و جل.

أما الشعر الزهدي فهو الذي يدعو إلى الموعظة و توجيه الناس نحو النسك و العبادة معتبرا أن هذه الحياة ما هي إلا دار ممر ، و ليست دار مقر ، وأن من أراد حياة هنيئة في الآخرة ما عليه إلا أن ينبذ ملذات هذه الدنيا و يعد نفسه لتلك الحياة الأبدية .

(1) المصدر السابق . ج 3 . ص 187

3.المفهوم الإسلامي للزهد :

1. الزهد في القرآن :

بعد مجيء الإسلام و تشبث الناس بهذا الدين الجديد، الذي حث على العمل ليوم الحساب أراد معتنقوه أن يتنزهوا بنزاهته فأقبلوا على العبادة، لأن الزهد في هذه الأولى هو

طهارة النفس وعمل للآخرة ، ولعل انصرافهم واعتزالهم الفتنة الكبرى، كانت من البدايات الأولى للابتعاد عن مشاكل الدنيا واعتزالها والإكثار من العبادة.

إن كلمة زهد لم ترد في القرآن إلا في موضع واحد و هو في سورة يوسف "و شروه بثمن بخس دراهم معدودة و كانوا فيه من الزاهدين "(1). جاء في تفسير بن كثير، أي اعتاض عنه إخوته بثمن دون قليل، وكانوا مع ذلك فيه من الزاهدين، أي: ليس لهم رغبة فيه(2).

وقال الغزالي : «معناه باعوه بثمن بخس ، فقد يطلق الشراء بمعنى البيع .... »(3).

ولكن المعنى الديني الروحي للزهد ورد في القرآن بكثرة ، فلو نأخذ الآية «... وبشر الصابرين »(4) لوجدت أن من صبر على الانغماس في لذائذ الدنيا و شهواتها و نهي النفس و لم يطاوعها جزاؤه الجنة ، و هو معنى خفي للزهد في هذه الدنيا . أو نأخذ الآية التي تدل خداعها " كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج ، فتراه مصفرا ثم يكون حطاما "(5) . و سماها الله تعالى " متاع الغرور " و نهى عن الاغترار بها قال تعالى: « اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب و لهو و زينة و تفاخر...» (6)

وقال « زين للناس حب الشهوات من النساء و البنين و القناطير المقنطرة من الذهب و الفضة » (7) . لكن الإنسان لا يمنعه زهده مما كتبه الله له حيث قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ، و لا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين »(8). إذن فليس الزهد في الإسلام هو رفض الدنيا مطلقا و اعتزال الناس.

---

(1) سورة يوسف الآية 20
(2) تفسير بن كثير ج 2 ص 442
(3) ينظر "الإحياء" ج 5 ص 108
(4) سورة البقرة الآية 155
(5) (6) سورة الحديد الآية 20
(7) سورة آل عمران الآية 14
(8)سورة المائدة الآية 87.

إن هذه الآيات و غيرها كثير تدعو في ثناياها إلى عدم الارتماء في أحضان الملذات الزائلة . و قد زهد في الدنيا الأنبياء و الرسل ، و يذكر الإمام أحمد بن حنبل في كتابه المسمى كتاب "الزهد" أن النبي سليمان عليه السلام ركب الريح يوما، فمر بحراث فنظر إليه الحراث فقال : لقد أوتي آل داوود ملكا عظيما فحملت كلامه فألقته في أذن سليمان عليه السلام قال :

فنزل حتى أوتيَ الحراث فقال : إني سمعت قولك ، و إنما مشيت إليك لئلا تمنى ما لا تقدر عليه لتسبيحة واحدة يقبلها الله عز و جل خير مما أوتيَ آل داوود فقال الحراث : أذهب الله همك كما أذهبت همي (1) ، فدل ذلك على القناعة و هي طريق الزهد . إنه التقليل من شأن الدنيا و الانشغال بالآخرة ، و لقد سار القرآن على هذه الوتيرة فقلل من شأنها (الدنيا) و الانشغال بها في آياته الكريمة و جعلها مجالا لعمل الطاعات وسبيلا إلى الفوز و النجاة (2) . و قال تعالى : « و فرحوا بالحياة الدنيا و ما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع »(3).

2. الزهد في السنة :

إن نبينا الكريم عليه الصلاة و السلام هو خير البشرية فهو الزاهد الأكبر و هو معلم الزهد. فعن أبي العباس سهل بن الساعدي رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه و سلم فقال : " يا رسول اله ، دلني على عمل إذا عملته أحبني الله و أحبني الناس فقال : ازهد في الدنيا يحبك الله و ازهد فيما عند الناس يحبك الناس " (4).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : « كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، فإنها تزهد في الدنيا و تذكر في الآخرة » (5).

هذه أمثلة عن ترغيب الرسول صلى الله عليه و سلم في الابتعاد عن ملذات الحياة، و تحذير شديد من الافتتان بالدنيا و التنافس عليها ، والإسلام يدعو المؤمن أن يأخذ نصيبه من الدنيا كما لا يغفل الآخرة . فالله جعل الفرائض واجبا على الجميع ، و ترك النفل و التطوع للنفوس التي تريد السمو و الترقي (6). وقد يكون هذا السمو في الخشية من الله و الورع ، و قد يكون في الذكر الدائم لله .

(1) أحمد بن حنبل ، "كتاب الزهد" ص 145 ، 146

(2) علي مشاعل . "الدعوة إلى الله في العصر العباسي الأول ، مشكلاتها و أساليبها و مواقفها (132هـ-232هـ)" ص 152

(3) سورة الرعد الآية 26.

(4) يحي بن شرف الدين النووي ." شرح متن الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية" منشورات المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت 1982. ط 2.ص 105 ، 107

(5) صحيح مسلم ص 398

(6) ينظر إبراهيم بسيوني ، "نشأة التصوف الإسلامي" . ص 67

3. الزهد عند السلف الصالح :

ما دامت الحياة فانية و كل شيء فيها إلى زوال ، فلتكن الأخلاق هي الزاد الذي يتزود به الزاهد في رحلة الحياة ، و الجسر الذي يعبر عليه إلى عالم الآخرة ، و لما فهم السلف

الصالح هذا جيدا و استوعبوه أكثر من غيرهم ، و جدوه الطريق الأنسب والسبيل الأوحد للنجاة. وقد كان الحسن بن علي –كرم الله وجهه– كثيرا ما ينشد:

ألاَ إِنَمَا الدُنْيـــَا كَـــــظِل زَائِل إِن اغْتِـــرَارا بِظِل زَائِل حُمْقُ (1)

وهذا سفيان الثوري يسأل عن الزهد فيقول : ليس الزهد بأكل الغليظ و لبس العباء و لكنه قصر الأمل و ارتقاب الموت (2). فقصر الأمل يقطع كل لذة و ينسى كل شهوة فتكثر أعمـــاله دون أن ينسى الموت . و يكون بذلك قطع أواصر الود مع الدنيا بعدم الطمع فيها و لا فـــي ملـــذاتها، و بالتالي يتفرغ لعبادة الله و يستعد للموت . و قال رجل لعلي –كرم الله وجهه– : "يـــا أميـــر المؤمنين صف لنا الدنيا ، قال: ما أصف لك من دار من صح فيها سقم ، و من أمن فيها ندم، و من افتقر فيها حزن، ومن استغنى فيها افتتن في حلالها الحساب وفي حرامها العقاب(3).وقال ابن وهب: سمعته يقول:(يعني مالك)" ما زهد أحد في الدنيا إلا أنطقه الله بالحكمة" (4).

إن الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة و الآداب الإسلامية، هي جوهر رسالة كل زاهد و إحيـــاء العنصر الخلقي السامي الذي دعت إليه التعاليم الإسلامية . لا شك أن هذا هو الهدف الأسمى من الزهد . و لكن قد يسمع العاميُ ذم الدنيا في القرآن و الأحاديث فيظن أن النجـــاة تركهـــا ، ولا يدري ماهي الدنيا المذمومة : فيلبس عليه إبليس : بأنك لا تنجو في الآخـــرة إلا بـــترك الـــدنيا فيخرج على وجهه إلى الجبال ، فيبتعد عن الجمعة و الجماعة و العلم و يصير كالوحش ، يخيل إليه أن هذا هو الزهد الحقيقي (5) . و منهم من يهيم على وجهه خوفا من ربه ، و من يربـــط نفسه على أعمدة مسجد المدينة ، يظل كذلك حينا من الدهر ، حتى يظن أن الله قد غفـــر لـــه و منهم من يشرط على نفسه ألف ركعة في اليوم. أو يمشي حاجا إلى مكة مشيا على الأقدام. (6)

(1) الغزالي." إحياء علوم الدين" ج 3 ص 245

(2) القشري ،" الرسالة القشرية" – دار الكتاب العربي ، بيروت ص 56

(3) الغزالي ."الإحياء "ج 3 . دار المعرفة بيروت ص 208

(4) القاضي عياض" ترتيب المدارك" ج 2 ص 62

(5) بن الجوزي ."تلبيس إبليس "– القسم الثاني (النص المحقق، الباب التاسع ص 858)

(6) د . عبد العزيز عتيق ، "الأدب المغربي في الأندلس "، دار النهضة العربية للطباعة و النشر .1976 ص 217.

4.عوامل الزهد و أسبابه:

أخذت حركة الزهد في الاتساع والترسخ في نفوس الناس بعد الفتنة التي قتل فيها عثمان – هذا عن المشرق طبعا– فكان اعتزال الفتنة من بوادر النشأة الإسلامية للزهد. لكن هناك أسباب رئيسة لهذه الظاهرة الروحية لابد من الوقوف عندها:

1.الدعوة الضمنية للقرآن الكريم للابتعاد عن ملذات الحياة وشهواتها وتمكن هذا الدين من قلوب معتنقيه. وقد كان لآيات الترهيب والترغيب دور كبير في ذلك. فباعث الخوف لابد أن يقرن مع الإيمان يقول تعالى:(ولمن خاف مقام ربه جنتان...). [1]

ولكن لابد أن نشيرهنا إلى أنه ليس الإسلام الذي دعا إلى حياة أخرى، فكل الأديان السماوية دعت إلى ذلك واعتبرت أن الدنيا هي ممر إلى حياة خالدة ، ومن هذه الحياة الدنيا يتوقف مصير الإنسان إما إلى جنة ونعيم و إما إلى نار و جحيم (2).ودعت إلى التقوى والورع وكبت الشهوات والاقتصاد في المأكل والمشرب فكان ذلك سببا أو عاملا في ظهور نزعة الزهد.

2 .إن النبي الكريم عليه أفضل الصلوات و التسليم كان القدوة الحقيقية للصحابة في الزهد، و لا شك أن هذا السبيل في العيش أو في الحياة قد انتشر بين التابعين ثم بين الناس كافة ثم كان التأسي برسول الله و بصحبه من طرف من جاء بعدهم ، فعافت نفوسهم هذه الملذات و أحبوا أن ينقذوا أنفسهم استعدادا ليوم الحساب.

وقد كان للوافدين على المغرب دور كبير في ذلك، وهم الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم على عهد الخلفاء الراشدين من أمثال عقبة بن نافع الفقري و أبي ذر الغفاري و عبد الله بن الزبير و غيرهم . (3)

3. هناك سبب أو عامل "الحرمان" (4) كما ذكر ذلك كل من إميل ناصف صاحب " كتاب أروع ما قيل في الزهد و التصوف " و الدكتور حامد حفني داوود صاحب كتاب " تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول " الذي اتخذ البعض من خلاله هذا السبيل في الحياة، والمقصود بذلك الفقر المتقع والحرمان الشديد الذي مر به هؤلاء الزهاد أو الداعين للزهد، فقد حاولوا أن يبلغوا لذائذ الدنيا و التمتع بها لكنهم لم يستطيعوا لسبب أو لآخر.

---

(1) سورة الرحمن 46.

(2) ينظرإميل ناصف "أروع ما قيل في الزهد و التصوف" ص 8.

(3) عبد العزيز نبوي – "محاضرات في الشعر المغربي القديم "– ديوان المطبوعات الجامعية ، 1983 ص 91.

(4) إميل ناصف "أروع ما قيل في الزهد و التصوف" ص 8 ، و "تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول" ص 14 .

وقد يكون الثاني قاس فكرته هذه بحياة أبي العتاهية، الذي كان في عصره هو أشهر من قال في الزهد شعرا، واستحسنه الزهاد و المتصوفة. فآثر هؤلاء الزهد على العيش الهنيء واستبدلوا حياة الرغد والهناء بالصبر والغلظة والاعتكاف.

4. إن حياة الترف التي عرفتها الأمة الإسلامية في وقت من الأوقات، لهي عامل من عوامل ظهور هذه الحياة الزهدية وانتشارها في أوساط الأمة من مشرقها إلى مغربها. يقول صاحب كتاب "الإسلام و الشعر" (1)" انتشر هؤلاء الوعاظ والزهاد بعد أن كثرت الأموال بأيدي الناس وبدأت الحياة تميل نحو الترف و اللعب من ملذات الدنيا و نعيمها ....وظهر ذلك جليا في أشعارهم وعرف بشعرالزهد...واستطاع هؤلاء الشعراء أن يتمثلوا مبادئ الزهد وأصوله الأولى كما استطاعوا أن يجعلوا هذا اللون من الشعر غرضا مستقبلا قائما بذاته."

5 .إن الجهاد في سبيل الله قد يكون عاملا أو سببا متكاملا مع ظهور الزهد، فالزهد والجهاد مقترنان مع بعضها البعض فالزهد يدعو إلى محاربة الظلم والطغيان والكفر وطلب الشهادة وإن هذا لهو عين الزهد في الدنيا و طلب الآخرة من وجهة معينة . و لهذا استصغار واستهانة بملذات الحياة و قد استشهد لهذا الاقتران صاحب الإسلام و الشعر(2) بقول **عروة بن زيد الخيل:**

كَمْ كُرْبَةً فَرجْتَهَا وَ كَرِيهَةً ... شَدَدْتُ لَهَا أَزْرِي إِلَى أَنْ تَجَلتْ
وَقَدْ أَضْحَت الدُنْيَا لَدَيَ ذَمِيمَةً ... سَلَبتُ عَنْهَا النَفْسَ حَتَى سَلَتْ
وَ أَصْبَحَ هَمِي فِي الجِهَادِ نِيتِي ... فَلَلَه نَفْسٌ أَدْبَرَتْ وَ تَوَلَتْ
فَلاَ ثَرْوَة الدُنْيَا تُرِيدُ اكْتِسَابَهَا ... إِلا أَنَهَا عَنْ وَفْرِهَا قَدْ تَخلت
مَاذَا أَرْجَى مِنْ كُنُوزٍ جَمَعْتُهَا ... وَهَوَى المَنَايا شَرعاً قَدْ أَظَلَتْ

6 .إن كثرة الحروب و الفتن التي حدثت بمنطقة المغرب العربي ، كان لها دور كبير في ظهور الزهد والزهاد وانتشارهم في البلاد ولقد كان أهل المغرب متصلبين ، متشددين في الدين يريدون أخذه كما جاء به الفاتحون الأوائل ، فلن يتوانوا فيه ولن يقصروا في حدوده و شرعه وخاصة عند الجماهير مقارنة مع المشارقة الذين كانوا أقل سخطا على اللهو والمجون (3)

(1) "الإسلام و الشعر" ص 78
(2) المرجع نفسه ص 78

(3) ينظر عبد الله شريط ، "شخصيات أدبية من المشرق و المغرب" ، منشورات دار مكتبية الحياة – بيروت ط 2 1966 ص 147.

7–هناك ظاهرة جديدة ظهرت في المغرب كان لها دور، هي الأخرى من قريب أو من بعيد في انتشار الزهد ، أبا وهي ظاهرة الرباطات [1] التي كانت تقام على تخوم البلاد الإسلامية . وقد ساعد على بنائها الحكام والولاة ، و هذه هي الأماكن الأشد تدينا و تحليا بالزهد في الدنيا ، فكان يجدها الزاهد ملاذا آمنا من الانغماس في شهوات و ملذات الحياة و نحن نذكرها من باب أنها عامل من عوامل انتشار الزهد لا من باب أنها تشبه أديرة النصارى أو أن إبليس ألبس على المتعبدين فيها كما يذكر ذلك صاحب كتاب التلبيس و يدلل بذلك على الابتعاد عن الجماعة و المساجد و التغرب و هي غير سنة المصطفى صلى الله عليه و سلم (2).

ولنختم عوامل و أسباب الزهد بالإشارة إلى شيء هام، وهو أن الزهد الإسلامي هو نشأة إسلامية نابعة من الدين لأنه الأصل، و لن يُرد منشأه إلى زهد رهبان المسيحية أو أحبار اليهود على الرغم من التشابه الحاصل في ظاهرة الاعتزال، وحتى كلمة اعتزال نعني بها اعتزال ملذات الحياة و ليس اعتزال الناس، كاعتزال النساء أو اعتزال الحلال بكل أنواعه . و ليس تحريم الفاكهة و لبس الصوف و اعتزال المساجد و الجماعة (3).

وإن كان هناك تشبه بالزهاد النصارى فقد جاء بعد أن تم الاختلاط في أزمنة متأخرة عن زمن الصحابة والتابعين ، و قد كان هذا التأثير الخارجي سلبيا على الزهاد أو من انتهجوا هذا المنحنى من الحياة فظهر الانحراف في التصوف أو من ادعى ذلك. (4)

(1) الأربطة جمع رباط. وهو في الأصل ما تربط فيه الخيول و أصبح يطلق على ما استحدثه الصوفية من أبنية يختلون فيها. المعجم الصوفي.د.الحفني.ص 102. و لقد ظهرت في المغرب الحركة الدينية العسكرية وهي حركة المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين ...رسالة ماجيستر :" الربط بالمغرب الإسلامي وورودها في عصري المرابطين و الموحدين" لمحمد لمين بلغيث ص 147.

(2) بن الجوزي " تلبيس إبليس" الجزء المحقق ص 136 ، دراسة تحقيق د/ أحمد بن عثمان المزيد – دار الوطن للنشر ط 1. 2002

(3) ينظر المصدر نفسه ص 136

(4) ينظر محمد عبد الغني الشيخ ." النثر الفني في العصر العباسي الأول ". ص 51 ، 52 و ينظر شوقي ضيف. "التطور والتجديد في الشعر الأموي ". دار المعارف. ط 7 .1981 ص 57

الفصل الأول

- شعر الزهد عند المشارقة
- شعر الزهد عند الأندلسيين
- الحياة الثقافية في المغرب قبل القرن الثالث الهجري
- بعض المصادر المعتمدة في البحث

1.الزهد عند الشعراء المشارقة :

يرى زكي مبارك في كتابه التصوف الإسلامي الأدب و الأخلاق أن الزهد وجد منذ القدم عند الأمم القديمة ، كقدماء المصريين و الهنود ، فكان موجودا عند رهبان المسيحية أو في تاريخ نساك الهنود بمختلف دياناتهم، كالزواج عند المسيحيين، والابتعاد عن الأشياء التي تعيق التقدم الروحي للنفس، فهو معنى من معان الزهد التي تذهب كبح النفس وتطهيرها ... (1)

وطبعا هذه القيمة الروحية قد رافقتها تجارب شعرية عبر تاريخ الإنسانية ، صب فيها الشاعر مكنوناته و كل ما تجود به قريحته و أصبح الزهد غرضا من أغراض الشعر و ظل فنا من فنون الشعر الذي راج على ألسنة الشعراء و سجل للعرب في قصائد بعض الشعراء في العهد الإسلامي لكن قبل أن نلج في الشعر الإسلامي ندرج بعض الأمثلة لشعراء قالوا شعرا زهديا قبل الإسلام و نحن لا نبتعد كثيرا حين نذكر شاعرا فذا هو عدي بن زيد بن حماش بن زيد العبادي (..... نحو 35 ق.هـ / 590 م) و هو أول من كتب بالعربية على ديوان كسرى قال :

أَيْنَ أَهْلُ الدِيَار مِنْ قَوْمِ نُوح ثُم عَاد مِنْ بَعْدِهَا وَ ثَمُود
بينمَا هُمْ عَلَى الأُسْرَةِ وَ الأَنْمَاطِ أَفَضْت إِلَى التُرَابِ الخُدُود
و صَحِيحٌ أَمْسَى يَعُود مَرِيضًا وهُوَ أَدْنَى لِلْمَوْتِ مِمَنْ يَعُود
ثم لَمْ يَنْقُص الحَدِيث وَ لَكِن بَعْدَ ذَا الله وَ ذَاكَ وَ عِيد (2)

وقال لما كان مع النعمان بن المنذر و مرا بمقبرة ، قال عدي: أتدري ما تقول هذه المقبرة قال : لا ، قال : فإنها تقول :

أيُهَا الرَكْبُ المَخْبُو نَ عَلَى الأَرْضِ المَجْدُونَا
كمَا أَنْتُمْ كَذَا كُنَا كَمَا نَحْنُ تَكُونُونَا (3)

و يقول زهير بن سلمى:

ألاَ لاَ أَرَى بَعْدَ الحَوَادِثَ بَاقِيًا وَلاَ خَالِدًا إِلاَ الجِبَال الرَوَاسِيَا
أَلَمْ تَرَى أَنَ الله أَهْلَكَ تُبَعًا وَأَهْلَكَ لُقْمَان بن عَادٍ وَ عَادِيَا (4)

(1) زكي مبارك ." التصوف الإسلامي في الأدب " المكتبة العصرية ، صيدا . بيروت. لبنان. ص 5
(2) إميل ناصف "أروع ما قيل في الزهد و التصوف" ، ص 13، 14
(3)الأصفهاني." الأغاني" ج 1 ص 868

(4) الأعلم الشنتمري "شعر زهير بن أبي سلمى".تحقيق د.فخر الدين قباوة ص 170. دار الأفاق ، القاهرة ، مصر. د ت

و قول لبيد بن ربيعة :

ألاَ كُل شيء مَا خَلاَ الله بَاطِلاً وَ كُل نَعيم لاَ مَحَالَة زَائــِل (1)

و هو البيت الذي قال فيه النبي صلى الله عليه و سلم : أحسن بيت شعري قالته العرب في الجاهلية .

إن حالات اليأس التي كانت تطرأ على هؤلاء الشعراء وحالات الشك ، و تعليمات الدهر من نعيم إلى جحيم . ومن شباب إلى شيخوخة. ومن ذهاب الأمم السابقة و اندثارها دعت الشاعر العربي أن يــتأمل كل ذلك و ينطق شعرا معبرا عن ما يخالجه من أفكـــــار و جعلته يعتبر على الرغم من أن هذه النزعة الزهدية هي سطحية ليس لها ركائز و لا دلائل تؤكدها.

ونكتفي بهذه الشواهد لندخل إلى العهد الإسلامي، الذي يعبر عن الانطلاقة الحقيقية للزهد الذي انبثق عن التأملات وأفكار الحياة والموت بعد نزول القرآن الكريم . ولما تأكدت من خلاله أن هناك حياة أخرى أبدية ، و تجلت تلك الحيرة التي كانت عند الجاهليين (2) .

ولم يختص شعراء معينون بالشعر الزهدي ، بل كانت أبيات يقولها شاعر بعدما يقف معتبرا في لحظة من الزمن متأملا، وقد كان هذا الشعريرتكز على الوعظ والتذكير وموضوعه العام هو فكرة الموت و ما بعدها . يقول الفرزدق :

أطَعْتُكَ يَا إِبْلِيسَ سَبْعِينَ حجَة فلمَا انْتَهَى شَيْبِي وَ تَم تَمَامِي

فَرَرْتُ إِلَى رَبي وَ أَيْقَنْتُ أَنَنِي مُلاَقٍ لأَيَام المَنُونَ حَمَـــامِي (3)

وهذه الأبيات من قصيدته الشهيرة في هجاء إبليس ، وهو ينوب إلى الله بعد أن غفل في صباه وظهرت له الحقيقة بعد أن كثرة ذنوبه طاعة " لإبليس و قد بلغ السبعين.

وهناك شاعر في المشرق . كلما ذكر الزهد إلا وذكر معه هو، ألا وهو أبو العتاهية .الذي وصف منهج حياته زاهدا يخشى ربه ويحرص على التقــوى . ويشــتغل بقضــية المصــير والاستعداد ليوم الرحيل والابتعاد عن ملذات الحياة . والانقطاع إلى العبادة وعــدم مجــارات النفس والاطمئنان إلى الدنيا ، فكان زهده استعلاء عن الشهوات وطريقا لتهذيب نفســه فتــاب توبة صادقة وكانت أشعاره بعد ذلك كلها تدور حول الترهيب من الدنيا والترغيب في الآخرة.

(1) ديوان لبيد ص 85

(2) ينظر عبد الحليم حسان ، "في الشعر العربي" ص 155.156

(3) المرجع نفسه ص 154

و لنأخذ بعضا من أبياته يقول نادما متحسرا طالبا العفو والصفح :

إِإِلـــهِـــي لاَ تُعَـــذِبْـــنِـــي فَـــإِنِـــي مُقِـــر بِالـــذِي قَـــدْ كَانَ مِـــنِـــي
فَـــمَا بِي حِـــيلَة إلا رجـــائِـــي بعَفْوِكَ إِنْ عَفَوتَ وحُسْـــنُ ظَنِي
وَكَمْ مِنْ زَلَـــةٍ لِـــي فِي الخَطَايَـــا وأَنْتَ عَلَـــي ذُو فَـــضْلٍ وَمِنِ
إِذَا فَكَثـــرت في ندمـــي عـــلَيْهَـــا عَضضتُ أَنَاملِـــي وقَرَعْتُ سِنِـــي
أُجَـــنُ بِزَهْرَةِ الدُنْيَـــا جُنُونًا واقْـــطَع طُـــولَ عُمْـــرِي بِالتَمَنِـــي
ولَـــو أَني صَدَقْت الزُهْدَ عَنْهَـــا قَـــلَبَت لَـــهَا ظَـــهْرَ المِجَـــنِ
يظن النَاس بِي خَيْـــرًا وَإِنِـــي لِشَرُ النَاس إِنْ لَمْ تَعْفُ عَنِـــي (1)

هذا أبو العتاهية الذي عاش مدة من الزمن بين حاشية الأمراء هنيئا يحضر مجالسهم مبسوطا معهـــم لكنه عدل عن قول الشعر الغزل والهجاء وهذه الأبيات دليل على توبته وندمه على ما فرط في جنب الله . وقد حقر أبو العتاهية شأن الدنيا فهي خداعة تتقلب . يقول فـــي ذلك :

أُفْ لَدَنْيَا فَلَيْسَـــتْ هِـــيَ بِـــدَارِ وَإِنمَا الرَاحَةُ فِي دَارِ الـــقَرَارِ
أَبَتْ السَاعـــَات إِلاَ سُرْعَـــة فِي بلى جِسْمِي بِلَيْلٍ وَنَـــهَارِ
إِنَمَا الدُنْيَـــا غُـــرُورٌ كُلُّـــهَـــا مِثْلَ لَمْعِ اللآلِ فِي الأَرْضِ القَـــهارِ (2)

قد غدا أبو العتاهية على نسج موعظته في أشعاره، التي قالها في آخر حياته داعيا إلى ترك متاع الدنيا ومحذرا اللاهيين عن ذكر الله ، ومرهبا لهم من هول يوم الحساب ناسجا كـــل ذلك على طريقة الوعاظ.

ولنختم موضوع الزهد عند المشارقة بأحد الأئمة الأربعة محمد بن إدريس بن العباس (150هـــ - 204 هـــ) الشافعي (3):

رَأَيْتُ القَنَاعَةَ رَأْسَ الغنَـــى فَصِرْتُ بِأَذْيَالِهَـــا مُتَـــمَسِكِ
فَلاَذَا يَرَانِـــي عَلَى بَابِـــهِ وَلاَذَا يَرَانِي بِـــهِ مُنْهَـــكِ
فَصِرْتُ غَنِيًا بِـــلاَ دِرْهَـــم أَمُـــرٌ عَلَى النَاسِ شِبْهَ المَلِكِ(4)

(1) د. عمـــر فروق الطباع ،" ديوان أبي العتاهية " .بيروت 1997 ص 319 - 320
(2) المرجع نفسه أ ص 142
(3) إميل ناصف . "أروع ما قيل في الزهد والتصوف". ص 26
(4) المرجع نفسه ص 28

ولقد أثبت الشافعي أن طريق الزهد في هذه الدنيا هو القناعة منها وبعدما تتم القناعة فكل ما فيها يصير بلا معنى عند الإنسان.

ويقول في من يلعب ويلهو ولا يدري ماتخبؤه له الأيام والغيوب:

كَمْ ضَاحِكٍ وَالمَنَايَا فَوْقَ شَامَتِــهِ لَوْ كَانَ يَعْلَمْ غَيْبًا مَاتَ مِنْ كَمَدِ
مَنْ كَانَ لَمْ يُؤْتَ عِلْمًا فِي بَقَاءِ غَدٍ مَاذَا تَفَكِرُهُ فِي رِزْقٍ بَعْدَ غَــدِ (1)

(1) المرجع نفسه ص 28

2.شعر الزهد عند الأندلسيين:

يمكن أن نقول أن أدب الزهد أو شعر الزهد، قد انتشر بشكل كبير في الأندلس بعد ظهوره في بلاد المغرب ولتقارب المنطقتين الجغرافيتين فقد كان التنقل بينها كبير، ولهذا قد نذكر شــاعرا أندلسيا لكنه عاش فترة من الزمن في بلاد المغرب أو كان أصله من المغرب عــاش فــي مــدن الأندلس أو انتقل إليها . و بخاصة التنقل الذي كان حادثا بين المغرب الأقصى ، و مدن الأندلس.

و لهذا رأيت أن أذكر بعض شعراء الزهد الأندلسيين ، و ذكر شعرهم الذي كان وافرا في تلك الفترة التي حكم فيها المسلمون تلك المناطق . و من هؤلاء الشعراء الذين لهم باع في شعر الزهد:

ابن عبد ربه (ت 328)* الذي ينصح بتعجيل التوبة النصوحة قبل مجيء الموت حين يقول :

بادر إلى التوبة الخلصاء مجتهدا والموت ويحك لم يمدد إليك يدا (1)

و يقول كذلك في وعظ الموت للإنسان :

لَوْلَمْ يَكُنْ لَكَ غَيْرَ المَوْتِ مَوعَظَة لَكَانَ فِيهِ عَنْ اللَذَاتِ مُزْدَجِرٌ (2)

و قال أيضا :

فَلاَ تَكْتَحِلْ عَيْنَاكَ فِيهَا بِعِبْرَةٍ عَلَى ذَاهِبٍ مِنْهَا فَإِنَكَ ذَاهِبٌ (3)

الذهاب يدل على الموت الحتمي للإنسان فلا ينزعج الإنسان على شيء ما دام مصيره هكذا .

وها هو يحذر من كيدها فهي تتزين للإنسان في أحسن صورة " نضارة أيكة " وهي متبدلة بلياليها وأيامها فيوم سار ويوم حزين وما دام الإنسان غير خالد فيها فلا يجب عليه أن يحزن عليها فهي فانية:

أَلاَ إِنَمَا الدُنْيَا نَضَارَةُ أَيْكَةٍ إِذَا اخْضَرَ مِنْهَا جَانِبٍ جَفَ جَانِبُ
هِيَ الدَارُ مَا الآمَالِ إلاَ فَجَائِعُ عَلَيْهَا وَلاَ اللَذَاتُ إلاَ مَصَائِبُ
فَكَمْ سَخُنَتْ بِالأَمْسِ عَيْنِ قَرِيرَة وَقَرَت عُيُونُ دَمْعَهَا اليَوْمَ سَاكِبُ
فَلاَ تَكْتَحِلْ عَيْنَاكَ فِيهَا بِعِبْرَةٍ عَلَى ذَاهِبٍ مِنْهَا فَإِنَكَ ذَاهِبُ (4)

*صاحب كتاب العقد الفريد. ترجمته في " المطرب من أشعار المغرب" ص 151

(1) الضبي ."بغية الملتمس"ج 1 ص 195

(2) نفسه.

(3) بن دحية . "المطرب من أشعار المغرب" ص 155

(4)"نفسه.

ويقول ناصحا متوعدا ومرهبا كل من سولت له نفسه غير ذلك مشبعا أبياته من ثقافته الدينية:

يَا عَاجِزًا لَيْسَ يَعْفُو حِينَ يَقْتَدِرُ وَلاَ يَقْضِي لَهُ مِنْ عَيْشِهِ وَطَرُ
عَاينْ بِقَلْبِكَ أَنَ العَيْنَ غَافِلَةٌ عَنِ الحَقِيقَةِ وَاعْلَمْ أَنَهَا سَقَرُ
سَوْدَاءٌ تُسْفِرُ عَنِ غَيْظٍ إِذَا سَفَرَتْ لِلْظَالِمِينَ فَلاَ تَبْقَي وَلاَ تَذَرُ(1)

ويقول **بن أبي زمنين (ت 400هـ)** *، حين يذكر أنه – أي الموت– ينشر لصاحبه الكفنا بينما هذا الأخير في غفلة عنه يقول :

المَوْتُ فِي كُلِ حِينٍ يَنْشُرُ الكَـــفَنَا وَنَحْنُ فِي غَفْلَةٍ عَمَـــا يُرَادُ بِنَا
أَيْنَ الأَحِبَةُ وَ الجِيرَانُ ؟ مَا فَعَـــلُوا؟ أَيْنَ الذِينَ كَانُـــوا لَنَا ســـــكَنَا
سَقَاهُمْ المَوْتُ كَأْسًا غَيْرَ صـــــافِيَةٌ فَصِيرهُمْ لأَطْبَاقِ الثَرَى رَهَنَا (2)

وهو يرى أن الأحبة والجيران والأهل والولد كلهم ذهبوا لأن هذا الموت قد أشربهم من كأسه التي كأن بها سم قاتل فأصبح هؤلاء كلهم تحت التراب .

سَقَاهُمْ الدَهْرُ كَأْسًا غَيْرَ صـــــافِيَة فَصَيرهُمْ لأَطْبَاقِ الثَرَى رَهَنَـــا (3)

إنه يتهم الدهر باغتيال أصحابه و يبعثهم إلى الموت " سقاهم الدهر كأسا غير صافية" و هي صورة بيانية بليغة عن كيد الدهر بالإنسان وأنه لا بد تاركه لحاله يوما يلاقي حتفه.

و يقول عن الدنيا :

لاَ تَطْمَئِنَ إِلَى الدُنْيَا وَ بَهْجَتِهـــــا وَ إِنْ تَوَشَحَتْ مِنْ أَثْوَابِهَا الحَسَنَا (4)

(1) الضبي . "بغية الملتمس"ج 1 ص 195. بن دحية . "المطرب من أشعار المغرب" ص 154

*هو محمد بن عبد الله الإلبيري بن أبي زمنين نزيل قرطبة .ترجمته في " الجذوة "ج 1 ص 57

(2) المقري التلمساني." نفح الطيب "ج 3 ص 554 ، الضبي "بغية الملتمس" ج 1 ص 122 ، ابن خاقان " مطمع الأنفس "ص 266." الحميدي "جذوة المقتبس "ج 1 ص 57

(3) " الضبي ." بغية الملتمس" ص 122. الحميدي " الجذوة " ص 57

(4) نفســـــه.

وهذا الزاهد أبو عمران موسى بن عمران القيسي المار تلي* (ت 604)

يعطينا صورة أخرى للإنسان الآمل في البقاء و يغفل عن الموت في حين أن الموت لا يغفل، ثم كيف يأمن هذا الإنسان إذا تقدم في السن .

حين يعبر عن كل هذا بقوله :

كَمْ ذَا أُومِـــلُ طُولَ الـــــــــــبَقَا وَأَغْـــــفَلُ وَ المَوْتُ لاَ يَـــغْفُلُ
فِي كُلِ يَـــوْمٍ يُنَـــــــــــادِي بِنَا مُنَـــــادِي الرَحِيلُ أَلاَ فَانْزِلُـــوا

أَمن بَعْـدَ سَـــبْعِينَ أَرْجُو البَـقَا سَبْـــعَ أَتَتْ بَعْدَهَا تَعْجَـــلُ(1)

و يقول :

إلىَ كَمْ أَقُولُ و لاَ أَفْعَـــــــلُ وَ كَمْ ذَا أحـــُـــومُ ولاَ أنـــزِلُ
وأَزجر عَينـــــي فلاَ تَرعَوِي فَأنصَحُ نفْـــــــسِي فلاَ تقْبلُ (2)

يتساءل الشاعر عن متى سيظل هذا الفعل المستقبلي معلقا حتى يتحقق في مـــا تبقـــى مـــن الزمن كي تهدأ الذات أي النفس وتستقر و تتغلب على مغريات هذه الدنيا و تفك هذا الجـــدل و اللغز المحير و يضع عبارة " إلى كم " التي تدل هنا على العدد المستقبلي الغير معروف الـــذي يكون جوابه باللجوء إلى تقوى الإله .

ويقول بعد أن مر عليه الزمن

فِي كُلِ يَوْمٍ يـــُـــــنَادِي بِنَا مُنَادِي الرَحِيلُ أَلاَ فانـــزِلوُا
آمن بَعْدَ السَبْعِينَ أَرْجـــُو بِهَا وتسعَ أَتَتْ بَعْدَهَا تَعْـــجَلُ(3)

يحاول الوعظ في هذه الأبيات أن يحدد الحالة الاجتماعية التي يجب أن يكون عليها المرء داخل مجتمعه غير آبه بالجاه و المال راض بقضاء الله غير آمل في المستقبل وغير حائر ولا محزون على ماض:

يَا رَاغـــــبًا في أن يَرَى شَاهدًا وحُكْمُهُ بـــَينَ الوَرَى مـــــَاضٍ
إِيَـــــاكَ فالعِزُ خِلاَفٌ لَـــــــهَا أَوَلُ ماَ تَخْـــــــــضُعُ للقَاضِي(4)

---

* ترجمته في" المغرب في حلي المغرب" ج 1 ص 406

(1) المصدر نفسه ص 407

(2) نفسه.

(3) ابن سعيد المغربي " المغرب في حلى المغرب " ص 407. الحميدي "الخريدة " ج 2 ص 557 . عبد العزيز عتيق ."الأدب العربي في الأندلس" ص 221.

(4) نفسه.

مُعْرِضـــــًا وَجْهَكَ فِي كُلِ مـــــَا يَومٌ لاِقبـــــــــــــَال وَ إِعْرَاضِ
كن مستريحًا في الوَرَى ســـــارِحًا بِكُلِ عَيْـــــــــــــــش نِلْتَهُ رَاضِ
منـــْـــــــفَردًا لاَ تعكُونُ بالَـــــــذِي يَأْتِي وَلاَ تـــَـــــــــــبْكِ عَلَى مَاضِ(1)

وهذا **محمد بن محمد الذي يعرف باليثربي** (ت .؟)* يعبر عن الموت برحلة المقيمين في هذه الدنيا أي الساكنين فيها وينظر إلى نفسه بأنه من هؤلاء الذين يقومون بهذه الرحلة حين يقول:

أرى كل يوم للمقيـــــــمين رحلة ولا شـــــك أني فيهم ســـوف أرحل (2)

وقال **بن حزم أبو محمد (-456)**** يهول من مفاجأة الموت للأنفس الغافلة و هي تعلم أنه ليس هناك سبيل للهرب :

أَتَرْغَبُ عَنْ فَـــــــــــجْأَةِ للَمنُونِ وتَـــــــعْلَمُ أنَ لَيْسَ مِـــنْهَا مَفَرُ
فَإِمَا إِلىَ جـــــــــــــنَةٍ أَزْلُفَتْ وَإِمـــــا إِلَى ســـــــــقَرِ تَسْتَعِرُ(3)

ويقول أيضا:

هَلْ الدَهْـــرُ إلاَ مَا عرَفْنَا وَ أَدْركنَا فجَائِعـــــهُ تَبْقَـــــى وَ لَذَاتـــهِ تَفْنَـــى
إِذَا أَمْكَنَتْ فِيـــــهِ مَسرة سَاعَـــــة تَوَلَت كَمَـــــرِ الطَرْفِ استخلفت حَزْنَا
إِلَى تيعَات فِي الحِسابِ وَمَـــــوْقِفًا تـــوَدُ لدَيـــــه أننَا لَـــــمْ نكن كُنـــــَا(4)

إن آلام هذا الزمن تبقى لما ارتكبه الإنسان من أخطاء و كل ما كان جميلا فيه يذهب ،إن يسر الإنسان يوما تكون هناك أيام للحزن.

وهذا **المحدث الحافظ أبو عمر بن عبد البر(ت 400)***** يوصي ابنه :

تُجَـــافُ عَنِ الدُنْيَا وَهَونَ لِقُـــدْرِهَا ووف سَبِيلَ الدِينِ بِالعُروَةِ الوُثْقَـــــى
وسَارِعْ بِتَقْوَى الله سرًا وَ جَهْـــرَةً فلا ذمة أقـــوى هديت مِـــنْ التَقْوَى (5)

---

(1) نفسه.

* ترجمته في " الخريدة. "ج 2 ص 647

(2) نفسه

** هو الإمام أبو محمد بن حزم . ترجمته في " المغرب في حلى المغرب " ج 1 ص 354.

(3) المقري التلمساني " نفح الطيب "ج 3 ص 554 .

(4) لسان الدين بن الخطيب "الإحاطة في أخبار غرناطة" ج 4 ص 59. ، الضبي "بغية الملتمس" ج 2 . 169 ، ابن خاقان "مطمح الأنفس" ص 279. ألحميدي " جذوة المقتبس" ج 2 ص 309.

*** ترجمته في " المغرب في حلى المغرب " ج 2 ص 407

(5) نفح الطيب ج 4 ص 28.

وهذا **ابن عبدون (-529هـ)** *هو الآخر يذم الدهر و يحذر منه و يتهمـــه بالخيانـــة و بمعونة المنايا وهو يعلن على الإنسان الحرب و يبدي له السلم وأبياته هي أقرب إلى الموعظـــة النابعـــة من التحذير:

الدَهرُ يفجَعُ بعدض العينِ بالأَثَــرِ فمَا البُكَاء علَى الأشْبَــاحِ وَالصُــوَرِ
أنْهَاكَ أنهاكَ لا أُلُــوكَ مَوعظَــة عن نومة بين نــاب الليث والظُفْــرِ
فالدهــر حَرْبُ وإن أُبدي مسَالمة والبيْضُ وَالسُودُ مثْل البيْضِ والسمَرِ
فمَا تغْرِيك مــن دنياكَ نَومتهــا فمَا صنَاعــَة عينُهَا ســوَى السَهَــرِ(1)

و قال :

رُوَيدكَ أيُهــا الدَهْــرَ الخَؤونُ ستأكُلُنَــا و إيــاكَ المَنُــون
تعَللنَــا الأمَــاني و هِــيَ زُورُ وَ تَخْدَعنَــا اللَيَالِــي وهيَ خــون
وكَمْ غــرت بزبرجهــا قرُونَا فمــا أبقت ولا بقت القُــرُون (2)

وهذا **مروان الطليق (ت 450هـ)**** يسمي الدهر بالهادم لما نبني وقاتل الأماني :

ألا إن دهرا هادما كل ما نــبني سيبلــي كما نبلى و يفنى كما نفنى(3)

فقد شبهه بالآلة التي تهدم أو الإنسان نفسه الذي يهدم ،لكن هذا الدهر هو ضد الإنسان فهو يهدم ما يبنيه هذا الإنسان، وهي صورة توضح لنا مدى الذم الذي لقيه الدهر والزمن من طرف الشعراء المغاربة الذين تمسكوا بالدين كما أخذوه من أوائل الفاتحين من ذم وسلاطة لسان.

وهناك من رأى الدهر معلم للإنسان حين يتفكر فيه و يدقق في خباياه كمثل **ابــن زيــدون (ت 463هـ)** حين يقول :

الدهْرُ وإن أمــلِي فَصيحَ أعجمُ يُعْطِي اعْتِبَارِي مَا جَهِلْتُ فأَعْــلَم (4)

وهذا أبو محمد بن سارة الإشبيلي *** (517-): يقول أنه لا بقاء في هذه الحياة لا للدنيا ولا للدهر و لا لكل الموجودات الأخرى، في هذا التعبير القوي :

---

* ترجمته في " الإحاطة" ج 4 ص 47.

(1) نفسه ص 50 .وينظر بن دحية الكلبي " المطرب من أشعار المغرب " ص 27

(2) نفسه.

** ترجمته في" جذوة المقتبس" ج 1 ص 75. وينظر " الحلة السيراء" ج 1 .ص 219 . وينظر " المغرب في حلى المغرب" ج 1 ص 191

(3) الحلة السيراء ج 1 ص 220

(4) نفســـه.

*** ترجمته في " الخريدة " ج 2 ص 682

لا الدَهرُ يبقَى ولاَ الدُنيا ولاَ الفلكُ الــ أعلَى ولاَ النيرَان الشَمْس وَالقَمَر
ليَرحلَنَ عــن الدُنْيــا و إن كَرِهــا فِرَاقهَا الثَاويان البدو و الحَضَــر(1)

ويقول :

إذا كُنتَ لا تسْمع الذكْرَى فَفيم تَرَى ... فِي رَأْسِكَ الوَاعِيَان السَمْعِ والبَصَرِ
ليسَ الأصَمُ والأعمَى يرَى رجـــُل ... لم يهده الهَاديـــــان العَيْن وَالأَثَرِ(2)

وهذا الزاهد أبو إسحاق الإلبيري الغرناطي* (ت 460.)

كُلُ إمْرئ فِيمَـا يَدَين يـــــــدَان ... سُبحَان مَنْ لَمْ يَخْلُ منْـهُ مكَان
يا عَامر الدُنيا ليسْكنهـــــــا و مـَا ... هِيَ بالتِي يَبقَـى بهـــا سُكَان
تَفْنَى و تَبْقَى الأرْض بـَعْدَكَ مثْـلَمَا ... يبقىَ المُنَاخِ و تَرْحلُ الرُكبـَان
أأسْر فِي الدُنيَـا بِكُلُ زِيـــــــادة ... وزيادتي فيها هـــي النُقْصَان (3)

وهذه أبيات توضح للإنسان جهله لحقيقة الدنيا جراء خداع نفسه بمفاتنها ، وهـــي زائلـــة ويبني ويخلد فيها ظانـــا أن كر الأيـــام هو شيء دائم في هذه الدنيا ، ونسي أن كـــل يـــــوم يزيـــد فـــي عمـــره هو ينقص من حياته ، فرحا غير مبال .

يتساءل عن الملوك أين ذهبوا وأين ما جمعوه هل هو نافعهم يوما ما. لكنه يعرف الجواب الذي ينحصر في " لا ":

أينَ المُلوُك وأيْنَ مَا جـــَمعُوا ومَا ... ذَخرُوه من ذَهَبِ المَتَاعِ الذَاهِبِ
ومنَ السوَابِغِ والصَـــوَارِمِ والقنَا ... ومن الصوَاهلِ بدن شَـــوَارِبِ(5)

و هذا **الأعمى التطيلي**** (-525) : يصور لنا غفلة الناس في هذه الدنيا حين يتنافسون عن كسب ودها مكذبين بحقيقة يعلمونها هي أن سوف يتركونها و تتركهم ، و يحاول آخر بناء الديار والضياع و يتمنى ويرجو زيادة في العيش ولكن حقيقة أنه ذاهب إلى القبر لا مفر منها :

(1)" نفح الطيب " المجلد "4 ص 325. " الخريدة "2 ص 685
(2) نفسه ص 259.
*صاحب القصيدة التي أغرى بها صنهاجة على اليهود."نفح الطيب "المجلد 4.ص 317
(3) المصدر نفسه ص 317.
(5) "نفح الطيب" المجلد 4 ص 342.
**وفيات الأعيان ج 1 ص 227.

تَنَافسُ النَاسَ فِي الدُنيَا وَ قَد عَلمُوا ... أن سَـــوفَ تقتلهـــم بذَاتهَا بِـــــدْءًا
وللذِي هَمَـــه البُنيـــَانِ يَرْفَعُـــــــهُ ... إنَ الرَدَى لم يُغَادِر فِي الثَرَى أبَدًا(1)

ويقول :

عِتَابٌ عَلَى الدُنيَا و قُل عِتَـــاب رَضِينا بمَا ترْضَى و نحن غُضَاب
وقَالَت وأَصْغَينَا إلَى زور قَولهَا و قدْ يَستفزَ القَـــوْلَ و هُوَ كَـــذَاب
و غَطَت عَلَى أبصَارنَا و قلوبنَا فطَالَ عليهَا الحُـــوم وَهِي سَـــرَاب
و دَانَت لَهَا أفواهنـــا و عقولنـــَا و هل عندها إلا الفَنـــَاء ثـــَوَاب
تلذُ و نلهُو و الأعرة حَولهـــَا رفـــات و نبنـــي والدِيـــَارُ خَرَابَا
و نَغْتنم الأَيَام و هِـــيَ مَصَائبُ لهُن عَلينـــَا جيئَةٌ وَ ذَهـــَاب(2)

ويقول:

مَالِي لابن آدم لاَ تفْنَى مَطَـــامِعَه يَرْجُو غَدَا وَعَسَى أَن لاَ يَعِـــيشَ غَدَا(3)

يتعجب هذا الشاعر من الإنسان، فهو يكثر من الحرص على الـــدنيا فيبنـــي العمـــران ويدخر الأموال طامعا في غد وما سيفعل في غد وهو يدري أنه قد لا يعيش إلى غد.

وهذا **أبو بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي* (ت 520)** :

يخبرنا أن في هذه الدنيا هناك عباد أذكياء فهموا حقيقتها وخداعها وأن الإنسان ضعيف أمام مغرياتها، فطلقوها وهجروها فهي لا تصلح لأن تكـــون مركبـــا آمـــن، ولا مقـــرا ســـالما ولفطنتهم، لكل هذا أخذوا منها ما يفيدهم وجعلوا هذا الزمن وسيلة إلى الدار الأبدية :

إن لله عبـــــــــاد فُطَنـــاَ طلَقُوا الدُنيـــَا وخَافُـــوا الفتنَـــاَ
فَكَرُوا فيهَا فلمـــــــا علموا أنهـــــا ليسَت لحَـــي وَطنَـــا
جَعلُـــــــوهَا لجة و اتخَذوُا صَالحَ الأعمال فيهَا سفنـــــاَ(4)

(1) "نفح الطيب" المجلد 4 ص 321.
(2) نفســـه.ص 43
(3) "نفح الطيب "المجلد 4 ص 321.
* ترجمته في " أزهار الرياض" ج 3 ص 162. "والمغرب في حلى المغرب" ج 2 .424 . وينظر الوفيات لابن قنفذ ص 271
(4) ا"لمغرب في حلي المغرب"ج 2 ص. 424 /" نفح الطيب" المجلد 2 ص 88.

وهذا **أبو بر المغيلي *(ت ؟)** : يظهر لنا في أبياته هذه أن كل شيء واضح لـــو تـــبينه هـــذا الإنسان معبرا عن الزمن بالدهر وببعض أجزائه "لياليه" ، التي تقرب إليك حتفك لا مناص :

تبين فَقَدْ وَضح المَـــــــعْلَمُ و كَان لَكَ الأمْـــرُ لو تُفْـــهِـــم
هُوَ الدَهْر لسْتُ لَـــــه آمِـــنًا ولاَ أنتَ مـــن صَرفِه تَسْـــلَم

وإنْ أخْطَأتكَ لَـــــهُ أسْـــــهم ... أصابتــك بعـــــد له أسهـــــم
ليَاليهِ تدنَي إلَـــــــيكَ الردى ... دوائب فـــي ذلك ما تســـــــأم
أتَفْرَح بالبـــــــرْد بَعْد الضنَا ... وفِي البَردِ دَوَاؤُكَ لَوْ تَعـــــلَـــم(1)

ويقول :

أين المُلوكُ وأَشْيَـــاعُهُـــــــم ... ودُنْيـــــاهُمْ أدْبـــرت عَنْهُـــــــم
فَهَذِي القُبـــور بِهِـــم عَمـــرت ... وتِلكَ القُصُـــور خَلَتْ مِنْهُـــــــم(2)

وفي هذه الأبيات عتاب ضمني للزمن الذي هو حلقة وصل بين كل هذه الأفكـــار الخاصـــة بالموت والدنيا واندثار الأمم والقبور، فهي دعوة لكل ذي لب للتفكر في هذا الزمـــن و عـــوامله المتكررة كالليل و النهار و أخذ الحيطة منه ، فالسؤال الذي وظف فيه الشاعر لفظ "أين" وأتبعها بالملوك وهم أشد الناس قوة وجاها ومالا . فكيف لم ينفعهم كل هذا وذهبوا إلى القبـــور كســـائر الخلق .

وغير بعيد عنه **أبو محمد عبد الله بن العسال الطليطلي (-487)**** يتحدث عن زوال الدنيا و لابد للإنسان أن يبصرها بعين الحقيقة حتى يأمن من غدرها ، ولينظر إلى دار البقاء :

أنْظُر الدُنيـــــــا فَإن أَبـــ ... صَرْتُهـــــا شَيْئـــــاً يَدُومُ
فأغد منْهـــــــا فِي أَمَـــان ... إن يسَاعِـــــــدْكَ النعيـــمُ
وَإذَا أَبْصَـــــــرتَهَـــا منـــْ ... كَ علَى كـــــُــــرْهٍ تهِيـــمُ
فانسل عَنْهَا واطْرَحْـــــــهَا ... وَ ارتَحل حَيْـــــثُ تُقِيـــمُ (3)

وإما يجعلها في يده و يتحكم فيها إن شاء زهدها و إن شاء شارك الناس.

*ترجمته في "المغرب في حلى المغرب" ج 1 ص 313

(1) نفسه .

(2) "نفسه ص 314

** المعروف بابن غزلون. ترجمته في" الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ج 1 ص 283.

(3) "نفح الطيب" المجلد 3 ص 208

وهذا **ابن صاحب الصلاة (ت 594هـ)** يصور لنا حال الدنيا و حال بعض ساكنيها حين يقول :

ومَازَالَتْ الدُنْيَا طَرِيقـــاً لِهـــَالِك ... تَبَاين فِي أَحْوَالُهَا وَ تُخَالـــف
فَفِي جَانِبٍ منْهَا تَقُـــــومُ مَآتِـــم ... وفِي جَانِبٍ مِنْهَا تَقُومُ معَازِف

فَمَنْ كَانَ فيهَا قاطِنًا فهُو ظـــاعِن ومَن كَانَ فيهَا آمِنًا فَهُو خَائِف(1)

وهذا **الجزار السرقسطي*** **(ت 606 هـــ)** يذم الدنيا و الزمان و يعطي العلل على ذمه لها :

عَوَائِدُ هـــــذه الدُنيـــا ضُـــرُوبُ يَحْمِـــلُ عبأهـــا الفَطـــن اللَبِيب
و للأيـــــام طَبْـــعٌ مستَحِيـــــل فَلاَ دعةٌ تَـــدُومُ و لاَ لَغُـــــوب
فلاَ تفـــرْحُ إذَا دَنـــت الأَمَـــانِي وَلاَ تَحْزَن إذَا دَهَت الخـــطُوبُ
ومَـــن عَرفَ الزمَان يَكن سَواء لديه العَـــار و الحُلـــو الشَنِيبُ
ومَضَا تَبْغِيـــــه من زَمَن لئيـــم أخُـــو الكَرَم الصَرِيع بـــه معيبُ
يصَابُ لفَضْلِـــه ذُو الفَضْـــل فيه فيخفيـــه كما تخفـــي العيـــــوبُ
يخلصـــك المُهَيمِـــــنُ مـــن أدَاه فَلِي ممَـــا دُهِيـــتُ بِـــه نَصِيبُ (2)

وهذا شاعر آخر ينظر إلى الزمن والحياة نظرة تشاؤم–هو الآخر– ويحذر منها بشتى الوسائل، ألا و هو **ابن شكيل (–605 هـــ)**** حين يقول :

حَذَارِ حَذَارِ من رُكُون إلىَ الزمَن فَمن ذَا الذي يَبْقَى عَلَيه وَ مَنْ وَمنْ ؟
ألَمْ تَرَ للأحداث أقْبَلَهـــــا الـــمُنَى وأقتلها مَا عز مـــن المـــرء للفتَـــن
تسر من الدُنْيَا بمَا هُـــوَ ذَاهـــب وتَبْكِي عَلَى مَا كَانَ مِنْهَا و لَمْ يَكُـــنْ
أرَى دَارنَـــا لَيْسَ بِـــدَارِ مَـــقَامَة أردنا نواء عندهَا و هَي فِي ظَعَـــن (3)

وها هو يعظ من يوم كان شره مستطيرا.

إلَى الحَشْرِ واسم الحَشْرِ وفْقَ لِشَكْلِه جِمَـــاعُ أُمُور مَا أَهَم وأَشْـــنَعَـــا(4)

* ترجمته في" نفح الطيب" المجلد 1 ص 713 . وفي" المغرب "ج 2 ص 444.
(1) "نفح الطيب" المجلد 1 ص 554.
(2) نفســـه.
** ترجمته في" تحفة القادم" ص 140.
(3) (4) الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث. (قسم الدواوين الشعرية).

مقَام يَعُمُ الإنْـــــسَ وَ الجن هَولُـــه ويحْـــشُرُ فيه الوَحْشُ شربًا مُفْزِعَا
تبدل فيه أرْضٌ غيرَ أرَاضيـــــنَا وتطوى السماوات العُلَى طَيَة معَا(1)

ويقول **أبو عبد الله غربيب الثقفي (ت؟)*:**

أيـــــهَا الآمل مَا لَيْسَ لَهُ طَالَمَا غَر جُهُـــــولاً أَمَلُه

رَب من بَاتَ يمْـني نَفْسه خَانَه دُونَ منـــــاه أَجَلَهُ
قلْ لِمَنْ مثْـلَ فِي أشعارَهُ يذْهَبُ المَرْءُ ويبقَى مثْـلهُ
ونافس المحســن إِحْسَانَــهُ فسَيَكْفِـــيكَ مُسِيئا عمله(2)

ويقول أبو الوليد الباجي سليمان بن خلف(-474)** نفسه و الآخرين حين يقول:

إذا كـــــنْتَ أعْلَمُ علْمًا يَقِينًا بِأَن جَمِـــيعَ حيَاتِي كَسَاعَة
فـــــلِمَ لاَ أكُونُ ضنينًا بهَا وأجعَلُهَا فِي صَلاَحَ و طَاعَة(3)

وهذا **بن زيدون (ت 463هـ)***** يقول واعظا ومعتبرا:

إنَ الذِي قَــدْرَ الحَوَادِث قَــدْرَهَــا سَاوَى لدَيْـــــه الشَهْدِ منْهَا العَلْقَم
لقدْ نَظَرَت فلضاَ اغــتِرَاب يقْتضِي كَـــــدَرِ المَالِ وَ لاَ توق يَعْصـــــم
كم قَاعِــد يَحْظَى فَتعْــجَب حَالَــه مِن جَاهَد يَصِل الدُرُوب فيــحرم(4)

والأبيات ألفاظها ومعانيها قوية وواضحة إذ أن بن زيدون تأمل فتدبر فعبر عن واقع الحياة ومآلها " كم قاعد يحظى" و " من جاهد...يحرم" فيتعجب ثم يسلم للــذي يتصــرف كيف يشاء في خلقه.

(1) نفسه.
*شاعر طليطلي قديم تداول الناس شعره في الزهد .ينظر الحميدي. "جذوة المقتبس"" ج 2 ص 519.
(2) "نفح الطيب" المجلد 4 ص 332.
**ترجته في "المغرب في حلى المغرب" ج 1 ص 404.
(3) نفسه
*** هو الوزير أبو الوليد بن زيدون الشاعر. من " المعجب في تلخيص أخبار المغرب" ص 74.و "المغــرب "ج 1 ص 63
(4) الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث. (قسم الدواوين الشعرية).

وهذا **بكار بن داوود المرواني(440هـ -؟)*** يقول:

ثِقْ بِالـــــــــذِي سِوَاكَ مِنْ عَدَمِ فَإنـــــــــك مِنْ عَـــدَمِ
وأنظر نفســـــــــك قـــــر عِ الســـــنِ من فَرْطِ النَدَمِ
واحْذَرْ وَقيَـــــتُ مِنْ الورَى واصـــــــحَبْهُمْ أَعْمَى وأصَمِ
قَدْ كُنْـــــــــتَ فِي تَيْهٍ إِلَى أن لاَحَ لِي أَهْـــــــدِى عَلَمِ(1)

إن بكارا هذا يعظ بهذه الآبيات كل من تكبر ونسي الخالق الذي يخلق من عدم ويدعوه إلى التوبة والإنابة قبل أن يمر الزمن ويحين وقت المنية.

وهذا **الزاهد بن عياش (ت 568هـ)**** يرى أن حاله انقلبت على عكس ما تسير عليه الأمور في العادة أو في الغالب فقد سلم من طاعة النفس وهو يرى الدنيا على حقيقتها في صغره لكن حاله قد انقلبت عندما كبر:

عصَيْتُ هَوَى نَفْسِي صَغِيرًا فَعندَمَا رَمَتنِي اللَيَالِي بِالمَشِيبِ وبِالكِبَرِ
أطَعْتُ الهَوَى عَكْسَ القَضِيَةِ ليتَنِي خُلِقْتُ كَبِيرًا وانقلبت إلَى الصِغرِ (2)

وقد يرى الإنسان ذلك ولا يعتبر كما توضح لنا هذه أبيات **ليحي بن الحكم البكري الجياني الملقب بالغزال (-250 هـ) حين يقول :**

أرَى أَهْلَ اليَسَارِ إذَا تَوَفَو بَنُو تِلكَ المَقَابِرِ بِالصُخُورِ
أبُوا إلاَ مُبَاهضاة و فَخْرًا علَى الفُقَرَاءِ حَتَى فِي القُبورِ
فإن يكُنْ التَفَاضِيلِ في ذُرَاهَا فإن العَدْلُ فيهَا في القعورِ
لعَمرُوا أبيهم لَوْ أَبْصَرُوهُمْ لمَا عَرَفَ الغنَي من الفقيرِ
و لعَرفُوا العَبيدَ منَ المَوَالِي ولاَ عَرَفُوا الإنَاثَ مِنْ الذُكُورِ
ولا من كان لبس ثوْبَ صُوف مِنَ البَدَنِ المُبَاشِرِ للْحَرِيرِ
إذا أكْلَ الثَرَى هَذَا وَ هَذَا فمَا فَضْلَ الكَبِيرِ علَى الحَقِيرِ(3)

---

* ترجمته في "المغرب" ج 1 ص 415

(1) "انفح الطيب "ج 3 ص 337. "المغرب في حلي المغرب"ج 1 ص 416

** هو أبو الحسن القرطبي الزاهد بن عباس . "وفيات الأعيان " ج 2 ص 353.

(2) الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث.(قسم الدواوين الشعرية)

(3)" نفح الطيب "المجلد 2 ص 256

ويرى **أبو بكر الزبيدي اللغوي (-380.)** * أو قريبا منها أنه حتى لو لم يكن هناك حساب وعقاب ولا حتى جنة ولا نار فيكفي الإنسان قبر يودع فيه يكون له واعظا و زاجرا له من المعاصي حين يقول :

لو لَمْ تَكُنْ نار ولا جنة للمَرْءِ إلاَ أَنَهُ يقبر
لكَانَ فِيهِ وَاعِظٌ زَاجِر نَاهٍ لِمَن يَسْمَعُ أَوْ يُبْصِر (1)

وهذا **أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي القرطبي (ت 403هـ)**** المعروف بابن الفرضي ، يقول وهو يخاطب الله عز وجل طالبا غفرانه خائفا من كثرة الذنوب يرجوه لا سبيل له غير ذلك. يخشى يوما يفرعنه فيه الأقربون:

أَسيرُ الخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفٌ ... عَلَى وَجَلٍ مِمَا أَنْتَ عَارِف
يخَافُ ذنُوبًا لَمْ يغِبْ عَنكَ غيبهَا ... ويَرْجُوكَ فيهَا فهو رَاج خَائف
منْ ذَا الذي يُرْجَى سِوَاكَ وَ يَتقِي ... وَسَالكِ فِي فَصْلِ القَضَاء مخَالِف
فَيَا سَيدِي لاَ تخزني في صَحِيفَتِي ... إذا نشرت يوم الحساب الصحَائف
كُنْ مُؤْنِسِي فِي ظُلْمَةِ القَبْرِ عِنْدَمَا ... يصد ذَوُوا القُربَى يَجْفُو المُوالِفُ
لَئِنْ ضَاقَ عَنِي عَفْوَكَ الوَاسِعُ ... أَرْجِي لِإِسْرَافِي فَإِنِي تَالِفُ(3)

وهذا **أبو وهب عبد الرحمان العباسي (-344)***** يذكر حاله وقد ابتعد عن ملذات الدنيا فرأى نفسه أحسن الناس فهو لا يلبس كسوة فاخرة ولا مال يخاف عليهما من لص يغير عليه ولا حتى منزل يستقر فيه وذلك، بعد ما كان قد تلذذ بأمور وهي الآن أصبحت خيالا لا ينفع بل قد يضر صاحبه.

أنَا في حَالَتِي التِي قَد تَرَانِي ... أَحْسَنُ النَاسِ إنْ تَفكَرت حَالاً
مَنْزِلِي حَيْثُ شئتُ من مُسْتَقَر الـ ... أَرْضِ أَسْقِى مِنَ المِيَاه زُلاَلاً
ليْسَ لِي كَسْوَة أَخَافُ عَلَيهَا ... منْ مغِيرٍ و لا ترَى لِي مَالاً(4)

* صاحب مختصر كتاب العين . وصاحب كتاب الإيضاح . ترجمته "المغرب في حلي المغرب" ج 1 ص 255
(1) "نفح الطيب " المجلد 4 ص 342
** له تصنيف تاريخ علماء الأندلس و هو الذي ذيل عليه بن بشكوال بكتاب " الصلة " . "نفح الطيب" المجلد 2 ص 129.
(3) "نفح الطيب" ص 129.
*** ذكره بن بشكوال فيمن هم من بني العباس . ينظر" المغرب في حلى المغرب" ج 1 ص 57
(4)" المغرب في حلى المغرب" ص 57 . "نفح الطيب" ج 2 ص 207.

أجْعَلُ السَاعِدَ اليُمْنَى وسَادِي ... ثُمَ أُثْنِي إذَا انقَلَبْتُ الشَمَالاَ
فقَدْ تَلذذَت حَقْبَة بأمُورِ ... فتَدَبَرَتْهَا فكَانت خيَالاَ(1)

وهذا **ابن مفوز أبو الحسين*(-484)** يصور لنا القناعة في شيء بسيط يعقله كل عاقل أراد أن يهنأ في دنياه ، حين يقول:

حَازَ دنياه كلَها ... محرزا أكبر المنن

من حـــــوى قوت يومه آمـــــــــــنا سالم البدن(2)

وهذا أبو الفضل بن الأعلم **(-546)

يقول في الزهد :

المَوْتُ يشْغَـــلُ ذِكْـرَهُ عَنْ كُـلِ مَعْلُومٍ سِـــوَاه
فاعمُر لـــهُ رُبْعَ ادكَـا رِكَ في العَشيَةِ وَ الغُـدَاةِ
و اكحل به طرف اعتبا رك طُولَ أَيَام الحَيَـــاةِ
قَبْلَ ارتكَاض النَفْس مـَا بيْنَ التَرَائِبِ و اللُـهـَاهِ
عَصَفَتْ بِهِ رِيحَ المنُـو ن فصـيرتُهُ كَمَا تـَـرَاه
فضَعُوهُ فِي أَكْفَانِـــــهِ و دَعُـوهُ يَجْنِي مَا جَنَاه (3)

* هو أبو الحسن المعا فري الشاطبي (-484 هـ) ينظر" الصلة في تاريخ أئمة الأندلس"ج 1 ص 391."

(2) "نفح الطيب" المجلد 4 ص 121

** ترجمته في" المغرب في حلى المغرب" ج 1 ص 396

(3) "نفح الطيب" المجلد 4 ص 31.

3.الحياة الثقافية في المغرب العربي قبل القرن الثالث الهجري:

إن طبيعة الموضوع المعالج توحي إلينا أن نولي اهتماما بعض الشيء بالجانب الثقافي للمنطقة قبل القرن الثالث الهجري . فمنذ أن أذن عثمان بن عفان- رضي الله عنـــه- إلى بن أبي السرح بفتح إفريقية و قال له : " إن فتح الله عليك فلك خمس الخمس من الغنائم " . (1) ثم كان الفتح الأكبر مع عقبة بن نافع، كانت الحركة الثقافية الدينيـــة تنتشـــر بانتشـــار الإسلام من قبائل البتر و البرانس: لواته ، زواغة و نفوسة و هوارة و زناتـــة ، فتأسســـت القاعدة الأولى الإفريقية و بوابة المغرب العربي " القيروان" ، التي دعا مؤسسها عقبـــة بـــن نافع بدعاء صالح لها حين قال : " اللهم املأها علما و عمرها بالمطيعين لك ، و العابدين و

اجعلها عزا لدينك ،و ذلا لمن كفر بك و أعز بها الإسلام ". (2).كما لا يفوتنا هنا أن نـــذكر أولئك العرب الأوائل من الصحابة كمبد الله بن عمر بن العاص و عبد الله بن الزبير وعبـــد الله بن عمر بن الخطاب وحمزة بن عمرو الأسلمي وعبد الله بن أبي بكر الصديق، وغيرهم (3) فهؤلاء وغيرهم كثير كان لهم باع كبير في تأسيس قواعد اللغة في هذه البلاد.

ولقد بين ذلك صاحب المؤلف الشهير " المغرب العربي تاريخه و ثقافته " رابح بونـــار حين ذكر أن الحركة العلمية والأدبية كانت مع دخول الفاتحين العرب لهذه المنطقة و أن تلك هي البذور الحقيقية لأي تفكير أدبي ولعلها بدأت بالنثر ثم انطلقت للشعر لحداثة أهل المغرب بالعربية. و لعلها بدأت بالخطابة فنجد عبد الله بن الزبير الذي قدم غازيا مع ابن أبي السرح سنة 27 هـــ كان خطيبا وعقبة بن نافع الذي نزل إفريقية سنة 50 هـــ كان كـــذلك ، حيـــن نذكر كلمته التي أوصى به أبناءه (4) ، ثم جاء موسى بن نصير سنة 88هـــ الذي لم يقل شأنا عنهما حين تشهد له خطبته " أيها الناس إنما كان قبلي على إفريقية أحد رجلين : مسالم يحب العافية ، و يرضى بالدون من العطية و يرضى أن يكلم و يحب أن يســـلم أو رجـــل قليـــل المعرفة ، راض بالهوينا ، و ليس أخو الحرب إلا اكتمل السهر و أحسن النظر ... (5)

---

(1) ابن خلدون. ج 2 ص 573

(2)" الجزائر في العهد الإسلامي من الفتح إلى العهد العثماني" ، ص 29

(3) ينظر أبي العرب " طبقات علماء إفريقية " ص 2

(4) (5) ينظر رابح بونار ص 48 ، 49

ونذكر ضمن هذه البدايات للحركة الأدبية في المغرب، قائدا عظيما هو طارق بن زيـــاد صاحب الخطبة الشهيرة التي تداولتها كتب التاريخ وكتب الأدب وكل من بحث في تلك الفترة أو تلك المنطقة . ونلج النوع الثاني من الأدب ألا وهو الشعر، حين نستشهد لهذه الفترة بشعر سابق المطماطي أو سابق البربري الذي قال واعظا عمر بن عبد العزيـــز الخليفـــة العـــادل (99هـــ-101هـــ)

إن الأُمُـــورَ إذَا اسْتَقْبَلَهَا اشْتَبَهَـــتْ ... وَ فِي تَدَبُـــرِهَا التبْيِـــانَ وَ العِبَـــرِ
وَ المَرْءُ مَا عَاشَ فِي الدُنْيَا لَهُ أَمَـــلٌ ... إذَا انْقَضَى سَفَـــرٌ مِنْهَـــا أَتَى سَفَر
لَهَا حَـــلاَوَة عَيْشٍ غَيْر دَائِمَـــة ... وَ فِي العَوَاقِـــبِ مِنْهَا المَدْ وَ الصبْر
وَ لَيْسَ يَزْجَرُكُمْ مَا تَوعَظُونَ بِـــهِ ... وَالبَهم يَزجرُهَا الرَاعِي فَتَـــنْزَ جِـــر

أَصْبَحْتُمْ جُزُرًا لِلْمَوْتِ يَقْبِضُـــــكُمْ كَمَا البَهَائِم فِي الدُنْيَا لَـــــكَم جَزَرِ (1)

كما نذكر عالم وأديب نبغ في هذه الفترة و هو عبد الرحمن بن زياد القيرواني المولود سنة 74 أو 75هـ و قتلته الخوارج سنة 140هـ (2) والذي يقول في حنينه إلى القيروان لما كان بالمشرق :

ذَكَرْتُ القَيْرَوَانَ فَهَاجَ شَـــــوْقِي وَ أَيْنَ القَـــــيْرَوَانَ مِنَ العِرَاقِ
مَســــــــيرَة أَشْهَرُ لِلعيس نصا وَ مِنْ يَرْجَى لَنَا وَ لَهُ التَـــــلاَقِي
بِأَن اللهَ قَدْ خَلَى ســــــــبِيلِي وَ جَدَ بِنَا المَسِيـــــــرُ إِلَى مَزَاقِ (3)

ونذكر كذلك في هذه الفترة الحسام بن ضرار الكلبي (ت 128هـ) ، الذي كان من الجنود العربية بإفريقية يقول ردا على الأمويين:

أَفَأَتَم بَيْنَ مَرْوَانَ قَيْســـــا دِمـــاءَنَا وَفِي اللهِ إِنْ لَمْ تَنْصِفُوا حَكَـــمٌ عَدْلُ
كَأَنكُمْ لَمْ تَشْهَدُوا مَرَجَ رَاهِـــــطٍ وَ لَمْ تَعْـــلَمُوا مَنْ كَانَ ثُم لَهُ الفضلُ
وَ قِينَاكُمْ حَدَ القِنَا بِنـــــــحُورِنـــَا وَلَيْسَ لَكُمْ خَيْلٌ سِوَانَا وَلاَ جَـــــلُ (4)

(1) رابح بونار ، ص 51
(2) المرجع نفسه ص 50 ، 60
(3) المرجع نفسه ص 60
(4) المرجع نفسه ص 51

ونذكر المساجلة التي دارت بين الوالي الأغلب بن سالم بن خفاجة التميمي و الحسن بن حرب الكندي الموالي للأمويين حين يقول الأول :

أَلاَ مِنْ مَبْـــــلِغ عَنِي مَقَـــــــالاً يَسِيرُ إِلَى الحَســـــنِ بْنُ حَـــرْبِ
بِأَنْ البَغِيْ أَبْعَدَهُ وَ بـــــــــــــال عَلَيْكَ وَ قَرْبـــَهُ لَكَ شـــرُ قُـــرْبِ
وَ إِنْ لَمْ تَدَعْنِي لِتَنَالَ ســـــــــلْمِي وَعفْوِي فَأَذن مِنْ طَعْنِ وَضَرْبِ (1)

وأجابه الحسن بن حرب بهذه الأبيات مشابهة لها :

أَلاَ قَوْلاً لأَغْـــــلَبِ غَيْرِ ســـــــرٍ مُغَلْغَلَةً عَنْ الحَســـــــنِ بْنُ حَـــرْبِ
بِأَنَ المـــــــوْتَ بَيْنَكُمْ وَ بَيـــــْنِي وَكَأْسُ المَـــــــوْتِ أَكْرَهُ كُلَ شُـــرْبِ
رُوَيْدَكُمْ فَيَوْمُكُمْ وَ يـــــــــوْمِي وَإِنْ بَعْدَا مَصـــيـــرُهُمَا لِقُـــــرْبِ (2)

وهناك شعراء آخرون عاصروا هذه الفترة : كثابت السعدي و سليمان الغافقي الذي كان بإفريقية على أيام ولاية يزيد بن حاتم المهلبي . كما نذكر الجانب الآخر من الأدب في هذه الفترة وهو النثر، حين نذكر خطبة حنظلة بن صفوان الذي ثارت عليه الخوارج 121هـ، والتي مطلعها : " من حنظلة بن صفوان إلى جميع أهل طنجة فإن أهل العلم بكتاب الله و سنة نبيه صلى الله عليه و سلم ..." (3).

كما نجد إدريس الثاني في المغرب الأقصى له نصيب في الخطابة ومطلع واحدة من خطبه:

" الحمد لله أحمده و أستغفره و أستعينه و أتوكل عليه ، و أعوذ به من شر نفسي ....." (4).

ومن أشهر الشخصيات العلمية و الفقهية التي كانت في المغرب في القرن الثاني نجد أبو كريب جميل المعافري ، و ابن فروح الفارسي و أبو زكرياء يحي بن عمر و صقلاب بن زياد الهمذاني و أبو عثمان حاتم بن عثمان المعافري وابن غانم ... و أسد بن الفرات و سحنون بن سعيد ... (5).

---

(1) رابح بونار ص 57
(2) نفسه ص 58
(3) نفسه ص 55
(4) نفسه ص 56
(5) نفسه ص 65،،73،71،68،67،66.

وإذا لاحظنا تلك المقاطع الشعرية في تلك الفترة والتي تكررت في كتب التاريخ وكتب الأدب نجدها قوية الأسلوب واضحة المعاني صادقة العواطف ، لا يوجد فيها تكلف ، خالية من الصيغة البيانية و التنميق البديعي لكن ما زانها هو عاطفتها الصادقة التي جعلتنا نقرأ من خلالها أفكار من عاشوا في تلك الفترة في منطقتنا العربية .

ولما كان موضوعنا هو الزهد أو شعر الزهد بالخصوص فلابد أن نذكر بعضا منه في هذه الفترة وإذا أردنا ذلك فيجب أن نوفر فسحة و لو قليلة للشاعر سابق البربري أو المطماطي حين يقول :

النَفْسُ تُكَلَفُ بِالدُنْيَا وَ قَدْ عَلِمَتْ ... أَن السَلاَمَةَ مِنْهَا تَرْكُ مَا فِيهَا
وَ الله مَا قَنَعَت نَفْس بِمَا رُزِقَت ... مِنَ المَعِيشَةِ إِلاَ سَوْفَ يَكْفِيهَا
أَمْوَالَنَا لِذَوِي المِيرَاث نَجْمَعُهَا ... وَدَوْرُنَا لِخَرَابِ الدَهْرِ نَبْنِيهَا

قِسْ بِالتَجَارِبِ أَحْدَاثَ الزمَنِ كَمَا تَقِيسُ نَعْلاً بِنَعْلٍ حِينَ تَحْذُوهَا
وَاللهِ مَا عَبَرَتْ فِي الأَرْضِ قَاطِرَةٍ إِلا وَ صَرَفَ اللَيَالِي سَوْفَ يَفْنِيهَا (1).

والأبيات كما هو ملاحظ سهلة الألفاظ ، لا تطلب جهدا لفهم معانيها أو شرحها و إن كان شعر الزهد كله واضح لا تكلف فيه ، فالنفس كما يصفها سابق تتعب من أجل دنيا زائلة وهذه النفس لو تركت هذه الدنيا الزائلة لسلمت ولكانت مرتاحة ، وإنها لو كانت قنوعة لكفاها ما رزقها الله و لو كان قليلا ، ثم إن الإنسان نجده يكد و يجتهد لجمع المال و هو تاركه لغيره غير مستفيد منه في تلك الدار الخالدة ، و أن كل شيء فوق هذه الأرض هو إلى زوال و إلى فناء لا محالة والشاعر نفسه في أبيات أخرى يطرق موضوعا زهديا آخر هو ذهاب الأمم السابقة حين يقول:

أَيْنَ المُلُوك التي عَنْ خَطْبَهَا غَفَلَتْ حَتَى سَقَاهَا بِكَأْسِ المَوْتِ سَاقِيهَا
غَرَتْ زَمَنٍ بِمُلْكٍ لاَ دَوَامَ لَهُ جَهْلاً كَمَا غَرَ نَفْسًا مِنْ يَمْنِيهَا
وَ صَبَحَتْ قَوْمًا عَاد فِي دِيَارِهِمْ بِمَفْظَعٍ يَوْمَ عَادَتْهُمْ عَتَوَادِيهَا
وَ تَتَبُعا وَ ثَمُود الحجر غَادَرَهُم يَبْ المَنُونَ رَمِيمًا فِي مَغَانِيهَا
فَكَيْفَ يَبْقَى عَلَى الأَحْدَاثِ غَابِرُهَا كَأَنَا قَدْ أَظَلَتْنَا دَوَاهِيهَا(2)

(1) عبد الله كنون ،" سابق البربري شاعر من المغرب" .مطبوعات مجمع اللغة العربية .بدمشق .سوريا .1969. ص 1
(2) نفسه ص 5

وذكر الأمم السابقة هو أحد المواضيع التي طرقها شعراء الزهد العربي ، فتجعل المتأمل فيها يعود أدراجه إلى الطريق المستقيم بعد أن كان غر نفسه بالأماني الدنيوية. فالشاعر هنا يذكرنا بتلك الأقوام التي كانت ذات بأس وقوة فكفرت بأنعم الله فعاقبها وزالت بطريقة أو بأخرى من على الأرض كما حدث بذلك القرآن الكريم ، بتلك الديار الخاوية على عروشها(1).

ولابد أن نشيد بالثقافة الدينية للشاعر سابق المطماطي فالتناص مع القرآن الكريم واضح في قوله : " و صبحت عاد " مع الآية " (2) "ألم ترى كيف فعل ربك بعاد"
" و ثمود الحجر" مع الآية (3)."وثمود الذين جابوا الصخر بالواد"

ولا شك أن هناك آخرون ممن أثروا الحياة الثقافية في المغرب العربي خلال القرنين الأولين نكون قد غفلنا أو قصرنا في البحث عنهم، ولعل الذي ساعد في تطوير هذه الحركة

الثقافية هو وجود أولئك الخطباء و الشعراء في جيوش الفتح و تلك المساجد التي كانت تبنى في كل منطقة تم فتحها ، كمسجد عقبة بن نافع بالقيروان والذي كان منارة علم وفقه تشبع بها أهل المنطقة ، ولعل تلك البعثة التي أرسلها عمر بن عبد العزيز و التي تكونت من عشر فقهاء تكون قد ساهمت بقسط كبير في التنوير و التعليم ، و كانت سببا للبذور الأولى للأدب المغربي ، و خاصة أن أغلب أدباء تلك الفترة الأولى وحتى وقت متأخر عليها كان لهم حظ من الدين أو نقول علماء فقه أو حديث أو متشبعين بالثقافة الدينية ، وهو الدافع الحقيقي لجعل أدبهم واضحا دون تعقيد متسما بالصدق والبساطة وعدم الاهتمام بالتنميق والتصنيع البيانيين (4).

(1) في معنى الآية "فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها" 45 من سورة الحج

(2)سورة الفجر .6

(3) سورة الفجر.9

(4) رابح بونار.ص 53،54

4. بعض المصادر و المراجع المعتمدة:

إن المجموعة الشعرية التي تمكنا من جمعها والتي تخص هذه الفترة المحددة في هذه القرون الأربعة أي من القرن الثالث الهجري إلى نهاية القرن السادس للهجري و الخاصة بمنطقة المغرب العربي هي مجموعة مهمة لكل دارس أو باحث أراد الكشف عن البنية الفكرية المغربية التي تنطلق منها جميع البنيات الأخري والتي تعبر عن ثقافة مجتمع و توجهاته ، و الملاحظ أن شعر الزهد هذا هو مشتت في تراجم الشعراء ضمن كتب التاريخ و كتب الأدب وعليه فقد حاولت الإحاطة بالمادة الشعرية اللازمة و اعتمدت على بعض من المصادر منها :

1 نفح الطيب:

يعتبر نفح الطيب من المصادر الأساسية للأدب العربي المغربي ، وجل الباحثين يعتمدون عليه وقد مدني بالمادة الشعرية الكافية ، وعلى الرغم من أن صاحبه خص به بلاد الأندلس إلا أن هذه البلاد لم تكن منفصلة تماما عن المغرب وكان الانتقال المتواصل سمه أولئك الشعراء

2 رياض النفوس:

إن مؤلف رياض النفوس ذخيرة هامة عند المغاربة ، فقد ترجم فيه صاحبه أبو عبد الله بن محمد المالكي لعدد من العلماء و الزهاد و النساك في القيروان و إفريقية وتعرض لأخيارهم و سيرهم و ذكر أشعارهم الزهدية ، وهو بظهر لنا الحياة الفكرية السائدة في حقبة من الزمن لتلك المنطقة و من تنقل و عاش فيها من علماء الفقه و الأدب و الزهد و التصوف .وهو الأخر يعد من طبقة الزهاد و العلماء و أصحاب المذهب السني في المغرب العربي.

3 خريدة القصر و جريدة العصر:

صاحب هذا المؤلف هو العماد الأصبهاني ترجم لجمع من الشعراء الأمة الإسلامية و ذكر بعض شعرهم ، ولقد أفادني في الثوثيق منه هو الآخر لبعض شعراء المغرب في "باب في ذكر عدة من شعراء المغرب من أهل العصر".

4 الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد :

لصاحبه محمد بن رمضان شاوش الذي يطرق فيه الشاعر الفد بكر بن حماد التاهرتي بعد أن تقدم بالحديث عن حالة المغرب العربي ومدينة تيهرت بالخصوص والتي سطع نورها في سماء المغرب في القرن الثالث الهجري , وقد خص شاعرنا هذا بترجمة مفصلة.

1.مصادر أخرى :

هناك مصادر ومراجع أخرى أذكرها، قد كان اعتمادي عليها هي الأخرى متفاوتا، كالإحاطة في أخبار غرناطة لصاحبه لسان الدين بن الخطيب و المغرب في حلى المغرب لابن سعيد و الأدب العربي في المغرب العربي لصاحبه العربي دحو والمغرب العربي،تاريخه وثقافته لصاحبه رابح بونار و مؤلفات أخرى نتفت منها النزر القليل أو الكثير لإتمام بحثي هذا.

الفصل الثاني

- موضوعات شعر الزهد عند المغاربة

1. فكرة الموت

2. فكرتا الزمان و الدنيا

ج.فكرتا الاعتبار و الاتعاظ

د. فكرتا القبور و ذهاب الأمم السابقة

ه.فكرة تزكية النفس

و. فكرتا الندم و طلب الصفح

ز. فكرتا الشباب و الشيب

ح. فكرة القناعة

موضوعات شعر الزهد عند المغاربة :

في هذا العنوان أحاول أن أضع موضوعات وجدتها من خلال اطلاعي على هذا النوع من الشعر. ولأكون محددا فكرتي أكثر أقول: عناوين لأفكار راودت أولئك الشعراء وسارت على ألسنتهم بعد أن اختلجت في صدورهم ، و ذلك بعد طول تأمل في قضايا الكون و مصير الإنسان و الوجود و الزمن و الموت و الولوج في عالم الغيبيات مستندين ومدعومين في هذا التأمل بالدين الإسلامي الذي وضع المفاهيم لهذه الحياة الدنيوية و دور الإنسان فيها . كل هذا عبر عنه هؤلاء الشعراء في مواضيع عدة كذكر الموت أو الدنيا الزائلة أو الزمان أو القبر أو ذكر التوكل على الله أو الشيب الذي هو باب الخروج من هده الدنيا أو ذكر الأمم الخالية ، أو الاعتبار من تغير حال الإنسان أو محاربة النفس الطماعة في ملذات الحياة أو الخوف من كثرة الذنوب أو طلب الصفح عل وعسى . هذه الأفكار النابعة من النزعة الزهدية والتي كانت تنطوي تحت محاور رئيسة كالوعظ والتذكير والحكمة حاولت تفكيكها ووضعتها كعناوين تتبعها نماذج من شعر هؤلاء المغاربة في تلك الفترة الزمنية الممتدة من بداية القرن الثالث الهجري إلى نهاية القرن السادس الهجري .

أ. فكرة الموت :

لعلها الفكرة الرئيسة عند شعراء الزهد . فالقلق الذي ينتاب الإنسان هو مصيره بعد هذه الحياة والتي بعدها – لا محالة– موت وهي ظاهرة حتمية في هذا الكون، تصيب المؤمن كما تصيب الكافر ولا تختص بجنس مخلوق دون آخر ، وهي خلق من خلق الله وهي ضد الحياة و الموات ما لا روح فيه ، ...و الموتة جنس من الجنون و الصرع والمستميت : الشجاع الطالب للموت ، مات : سكن و نام و بلي ... والهلاك كلمة تعني الموت الحتمي والقدر المقدور والحقيقة التامة . و قد يعبر بالموت النوم الثقيل و يستعار بها للفقر و الذل و السؤال و الهرم ... لأن النوم يزول معه العقل والحركة ... (1).

إن آيات القرآن الكريم كثيرة هي التي تذكر مصيرالإنسان وتذكر بالميعاد وتجسد نهاية مسيرة الكائن الإنساني في الحياة الدنيا . وتعبرعن مصيره المحتوم الذي لابد من لقائه :" قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعلمون " (2)

(1) " لسان العرب " ج 2 ص 90-94

(2) سورة الجمعة الآية : 8

و قوله تعالى في سورة الأنعام : " حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا و هم لا يفرطون"(1)
و قوله تعالى : " قل يتوافاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون "(2) ، و قوله تعالى :
" فلولا إذا بلغت الحلقوم " (3) ، و قوله تعالى : "كل شيء هالك إلا وجهه" (4)
و قوله تعالى : " إليه مرجعكم جميعا ، وعد الله حقا إنه يبدأ الخلق ثم يعيده " (5)

إن التهويل الضمني في هذه الآيات من الموت جعل شعراء الزهد يخذونه هاجسا لهم في شعرهم معبرين عنه و عن هذا الهول الكائن وراءه ، و إن كان الموت هو عملية بسيطة حين نقول هو " فصل النفس عن البدن أو هو انفصال العنصر الفاعل الإنساني الذي هو النفس الباقية عن العنصر المنفعل الظرفي الذي هو البدن الفاني " (6) ، إلا أن الرعب و الخوف يكون بعد تلك العملية التي تظهر بسيطة للإنسان . قال تعالى : " ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم و عذاب أليم بما كانوا يكفرون " (7) و الإنسان لا يعلم الغيب لهذا فالزاهد الحقيقي يخشى أن يكون ضمن الجزء الثاني من الآية الكريمة ، فنجده يعد العدة لهذا القدر المحتوم . لكل هذا كانت فكرة الموت محورا أساسيا عند شعراء الزهد كل حسب إيمانه و عقيدته وأمام هذه الحتمية التي يجد نفسه عاجزا عن دفعها و قد تأتيه بغتة و هو منهمك في مشاغله الدنيوية فكان الموت كما تصوره الشاعر الجاهلي هو نهاية الوجود الإنساني والتوقف عن ممارسة الحياة بكل متعها ، و الموقف الوجودي للشاعر الجاهلي يتمثل في كراهيته للفناء الذي يجعله يتوقف عن ممارسة ملذات الحياة (8).ظانا أن هذه المنية لا توجد بعدها حياة أبدية أخرى . وظانا أنها ظاهرة اعتياطية تصيب من تشاء و تترك من تشاء ، ترى ذلك في قول زهير بن أبي سلمى :

رَأَيْتُ المَنَايَا خبط عَشْوَاء منْ تَصُبهُ يَمُتْ و من تخطأ يعمر فَيَهْرم (9)

(1) سورة الأنعام الآية : 61
(2) سورة السجدة :11
(3) سورة الواقعة : الآية 83.
(4) سورة القصص الأية 88 .
(5) سورة يونس 04.
(6) موقع العلامة الشيخ عبد الكريم آل شمس الدين info@islamicbrain.com
(7) سورة يونس 04.
(8) عفت الشرفاوي – "دروس و نصوص في قضايا الأدب الجاهلي" . دار النهضة العربية للطباعة و النشر 1979 ص 287.
(9) الأعلم الشنتمري ."شعر زهير بن أبي سلمى". تحقيق د.فخر الدين قباوة . دار الأفاق الجديدة–بيروت.لبنان ط 3. 1980 ص 25

فزهير هنا يصور الموت كأنها ناقة عشواء لا ترى تضرب في الأرض دون مسار موجه.

وقد صور الشاعر المغربي المسلم الميتة أو الموت من خلال أشعاره _ وهنا لا نخص بها غرضا دون الآخر فقد كثر ذكرها في الرثاء كما كثر ذكرها في الزهد- فهذا محمد بن أبي دؤاد يرثي محمد بن سحنون قائلا:

مَا ضَرَهَا لَوْ أَمْتَعَتْ بِمُحَمَّدٍ هَيْهَاتْ ! رَبِ العَالَمِينَ قَضَى لَهَا
قُلْ لِلْمَنِيَةِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ تَكْسُو الخَلِيقَةَ بَعْدَهُ أَحْبَالَهَا (1)

فالشاعر يخاطب المنية على أنها لو تركت محمدا قليلا من الزمن يعيش ما ضرها ذلك لكنه يرجع إلى أنها قضاء وقدر وكل شيء في يد الخالق، ثم يرجع من حسرته على صاحبه وحزنه عليه فيخاطبها من جديد أنها لاضير أن تكسو الآن الخليقة كلها بعد محمد ما دام أنها أخذت هذا العلم الشهير بعلمه وفقهه و زهده.

ونلج إلى ذكر الموت في الشعر الزهدي عند المغاربة ، و لنبدأ بأشهر شعرائه ألا و هو بكر بن حماد التاهرتي (-295هـ) (2) بن سمك بن اسماعيل الزناتي الذي نشأ بتيهرت و أخذ عن علمائها (3) وتوفي بقلعة ابن حمه شمال مدينة تيهرت(4) التحق ببلاد المشرق مارا من القيروان سنة 217 هـ.وكل من ذكر المغرب العربي و الأدب المغربي قديما إلا و جاء على سيرته و على أنه اتصل بأهل المشرق من أمثال ابن الأعرابي الرياشي و بشر بن حجر و أبي حاتم السجستاني.

وأبي تمام و دعبل (5)، قال عنه الطمار " وهو يتزعم الحركة الزهدية في الأدب المغربي يومئذ كما كان يتزعمها أبو العتاهية في الشرق " (6). وهو من المجيدين في الرثاء لأنه أصيب في ولده، عاش في عصر كثرت فيه الفرق من أباضية (7)، و معتزلة (8)، و صفرية (9) ، و سنة .

(1) المالكي ، "رياض النفوس" ج 2. وينظر تراجم أغلبية ص 187.
(2) رابح بونار. "المغرب العربي تاريخه و ثقافته" ص 120.
(3) الدباغ "معالم الإيمان " ج 2 ص 292
(4) الأخضر السائحي. "بكر بن حماد شاعر المغرب العربي في ق 3 ".ص 14
(5) ينظر رابح بونار " المغرب العربي تاريخه و ثقافته" ص 121
(6) محمد الطمار ،" تاريخ الأدب الجزائري" ص 35
(7) الأباضية : هم أتباع عبد الله بن أباض وهم أكثر الخوارج اعتدالا ،... و أهم مراكزهم ميزاب ، غرداية – رابح بونار ص 87.
(8) المعتزلة : نشأت في العصر الأموي ...و أكثر العلماء يقولون أن رأس المعتزلة هو واصل بن عطاء رابح بونار ص 88.
(9) الصفرية : هم أتباع زياد بن الأصفر و لهم أراء.....ذكر بعضها رابح بونارفي كتابه المغرب العربي تاريخه وثقافته .ص 88.

كل هذا ولد له شعر الزهد المنبثق عن تأملاته في هذه الحياة . ونرجع إلى فكرة الموت الـــتي خاضها بكر في شعره حيث يقول :

أَيْنَ البَقَاءَ وَ هَذَا المَــوْتُ يَطْلُبُنـــــَا هَيْهَاتْ هَيْهَاتْ يَابَكْرُ بْنُ حَمَادِ
بَيْنَمَا نَرَى المَرْءُ فِي لَهْوٍ وَ فِي لَعِبٍ حَتَى نَرَاهُ عَلَى نَعْشٍ وَ أَعْوَادِ
وَ كُلُنَا وَاقِفٌ مِنْهـــــَا عَلَى سَفَــرٍ وَ كُلُنَا طَاعِنٌ يَحْدُوا بِهِ الحَادِي
فِي كُلِ يَوْمٍ نَــرَى نَعْشــًا نُشَيِعُــهُ فَرَائِحٌ فَارِقٌ الأَحْبَابِ أَوْ غــَادِ
المَوْتُ يَهْــدِمُ مَا نَبْنِيــهِ مِنْ بَــذَخٍ فَمَا انْتِظَارِكَ يَا بَكْرُ بْنُ حَمَــاد(1)

إذن مادام هناك موت يطلب الجميع فلا طمع في هذه الحياة و منه فلا طمع في ملذاتها الزائلة ، هيهات من البقاء يذكر نفسه و يعظها علها تعتبر ، فالإنسان ينتظر سفرا لابد رائحه محمول علـــى نعش فيغدو تحت التراب ويفارقه الأحباب والأصحاب. هذه هي صورة الموت الدرامية التي تحول كل ما يبنيه الإنسان في دنياه إلى خراب لا ينفعه بشيء ، فلزم على هــذا الإنســان أن يتعــظ و لا ينتظر و الزمن يمر ، و قد بني الشاعر أبياته هذه مخاطبا نفسه معبرا عن حالة الكل .

ويصوره بكر كذلك بأن الموت هو شيء ليس معه حيل :

أَحْــبُو إِلَى المَوْتِ كَمَا يَحْبُوا الجَمَــلُ قَدْ جـــَاءَ مَا لَيْسَ فِيهِ حِيـــَــلُ (2)

وها هو بكر مرة أخرى يصورها كأنها سحاب لابد مما طل و هذا الهطول سيصيب به كل من كتبت عليه المنية و انتهى أجله ، و هو بذكر ذلك لما كبر سنة و أتته كل داهية بعد ضعف جسمه ، ثم في بيت ثان يظهر هذا الهاجس كأنه صاحب أيد يخنق بها و يضرب بهـــا ضـــربات لا يمكـــن علاجها. فهو يصوره على أنه ينتظره كل يوم و ليلة ليأخذ روحه و قد كثر هلع حماد به حتـــــى أضعفه و سينقض عليه، فهو قد يصبح أقواما و هم غافلون، وقد يأتيك في حين نومـــك و يطـــرق بابـــك ، يقول بكر:

سَحَابُ المَنَايَا كُلَ يَوْمٍ يُظِـــــلُهُ فَقَدْ هَطَلَتْ حـــَــوْلِي وَ لاَحَ بُرُوقُهَا
وَأَيْدِي المَنَايَا كُلَ يَوْمٍ وَ لَيْـــــلَةٍ إِذَا افْتَقَتْ لاَ يُسْـــــتَطَاعُ رُتُوقُـــــهَا
يُصْبِحُ أَقْوَامًا عَلَى حِينِ غَفْـــــلَةٍ وَيَأْتِيـكَ فِي حِينِ البَيضاتِ طُــرُوقُهَا(3)

(1) رمضان شاوش ،" الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد" ص 80-81 و المالكي. "رياض النفوس" ج 2 ص 25
(2) أبو العرب. "طبقات علماء إفريقية و تونس" ص 246 ، رمضان شاوش "الدر الوقاد" ص 91
(3) رمضان شاوش" الدر الوقاد" ص 78

و هذا أبو عقال بن غليون (ت 290) :

و الذي توفي و هو ساجد خلف المقام (1) ، و الذي خرج من القيروان فأوطن الحرم و سكنه حتى مات به ، يقول عن الموت منغص اللذات:

وَ لَوْ كُنْتَ فِي الدَارَيْنِ حُرًا مُدَلَلاً لَنَغُصَ ذِكْرُ المَوْتِ عِنْدِي دَلاَلُهَا (2)

هذه التصويرات الشعرية التي تعبر عن الجزع و الهلع و المرارة من ذكر الموت أوالمصير المنتظر للإنسان – تجعل هذا الإنسان محاضر، يفتقد قدرة المقاومة ، فيبقى مستسلما لهذا الخصم القوي الذي حتما سيحسم النزال لصالحه ، إن الهلع هو في الحقيقة ليس من المنية نفسها بل ما بعدها أي مصيره في الحياة الأبدية هو المقصود خاصة عند من يظن نفسه مقصرا في جنب الله .

وقال المتصوف الزاهد **أبو عبد الله محمد بن أحمد الخياط الواعظ والذي يعرف بابن قمرة (ت 386هـ)*** :

مَاذَا تَقُولُ؟ وَ لَيْسَ عِنْدَكَ حُجَةٍ لِوَفْدِ أَتَاكَ مُنْغَصِ اللَذَاتِ ؟
مَاذَا تَقُولُ ؟ إِذَا دُعِيتَ فَلَمْ تَجِدْ وَإِذَا سُئِلْتَ وَ أَنْتَ فِي غَمَرَاتِ
مَاذَا تَقُولُ ؟ وَ لَيْسَ حُكْمُكَ جَائِزًا فِيمَا تَخْلُفُهُ مِنَ التَرَكَاتِ
مَاذَا تَقُولُ ؟ إِذَا حَلَلْتَ مَحَلَهُ وَلَيْسَ البُغَاةِ مِنْ أَهْلِهَا بِثِقَاتِ؟(3)

إنه يطرح هذه السؤالات عند حضور منغص اللذات و هادمها ، فهل يا ترى من يجيب وهو في تلك الغمرات و ليس ينفعك بعدها لا أهل ولا ولد إلا عمل صالح.

وهذا **أبو محمد بن إسحاق ابن التبان (ت 391)**عالم أهل القيروان في زمانه (4). الذي قال عنه صاحب المعالم كان متفننا في كل علم و ختم أربعة آلاف ختمة ، و قيل خمسة آلاف و بكر حتى عمى(5)، يقول أنه لابد من الاستعداد للموت و كل إنسان ذكي لابد أن يشغل ذكره بالموت ، و يتساءل كيف يلهو وهو يعلم أنه لابد راجع إلى التراب.

(1) المالكي "رياض النفوس" ج 1 : ص 527
(2) رياض النفوس ج 1 ص 541
*انظر الدباغ ."معالم الإيمان" ج 3.ص 108
(3) نفسه
(4) نفسه ص 130.
(5) نفســه

وهذا **علي الحصري القيرواني (–488 هـ)** يصور هول الموت بأنه سهم قاتل حين يقول :

إِذَا رُعِظَ السَهْمُ أَوْ عَظْـــعَظَا فَسَهْـمُ المَنِيـَةِ لـــَنْ يُـرْعَظَا
هُوَ المَـوْتُ لاَبُدَ مِنْ سَـهْمِه فَكَيْفَ ادَرَعْنَـا لِكَـيْ يُدْلِظَـــا
وَأَنْ المَـنَايـَا لِيُدْرِكَنَ مِـنْ وَنَى فِي الطَـرِيقِ وَ مَنْ أَرْكَظَا
قَضَـاءٌ مِـــنَ اللهِ لاَ عَاكِظًا إِذَا جَـــاءَ يَأْمَـن أَنْ يَعْكُـظَـا(1)

ويقول أنه لا يحلو له عيش في الدنيا من ورائه الموت:

مَا سَرنِي العَيْشُ بَعْدَ العَـــدَا إِذَا المَـــــوْتُ مِنْ فَاتَهُ أَدْرَكَا
إِذَا ذَكَرَ المَـــــوْتُ ذَا عِبْرَةٍ وَهُمْ بِغَـيْرِ التُقَى أَمْـــــسَكَا(2)

ثم يتحول واعظا معتبرا غير خائف من هول الموت محببا فيه:

فَشَرَ مِنَ المَـــــوْتِ عَيْشٌ أَذَل وَخَـــــــيْرٍ مِنَ الحَرِ عَبْدٌ زَكَا (3)

ويقول **أمية أبو الصلت (ت 529هـ)** في فاجعة الموت ويصور مشهدا حضره فيقول :

مَا أَنْشَبَتْ كَفُ المَنِيـَةِ ظَفْـــرُهَا فَيُنْجِـــي طَبِيبُ مَنْ شَبَـــاهَا وَ طِبُ
وَوَالَتْ مِـنْ صَيْدِهَا ذَاتَ مَـخْلَب بِه كُـلَ حِيـــنٍ مِنَ فَرَائِسِـهَا خَلَبُ
وَلاَ حَيدَرَ ذُو لبدتين غدنفرغَضَنْفَر لَهُ مِنْ قُلُـوبِ الأَرْضِ فِي صَدْرِهِ قلبُ
وَلَمْ أَرَى يَوْمًا مِثْلَ يَوْمًا شَـــهِدْتَهُ وَقَدْ غَابَ حُسْنُ الصَبْرِ وَاسْتَحْوَذَ الكربُ
وَمَـــأْتَمٍ شَكْـــــوَى وَانْتِحَـــاب دُمُـــوعُ البَوَاكِي فِيـــهِ وَاللُؤْلُـــؤُ الرَطْبُ
فَلاَ قَلْبُ إِلاَ وَ هُـــوَ دَامِعٌ مُفْجِـــعٌ وَلاَ دَمْـــــعِ إِلاَ وَ هُـــوَ مُنْهَمِـــل سكبُ
وَقَدْ كَسَفَتْ شَمْسُ العُلاَ وَتَضَاءَلَتْ لَهَا الشَمْسُ حَتَى كَادَ مِصْبَاحَهَا يَخْبُـــو(4)

ويقول أحد الوافدين إلى مصر من المغرب ألا و **هو أبو الحكم المغربي**(- **549**) *

لِلْمَنَايَا مَوَاقِيتٌ مُـــــــــقَدَرَة وَذَاكَ حُكْمٌ جَرَى فِي سَالِفِ الأَبَدِ
لَمْ تَزَلْ أَسْهُمُ الأَقْدَارِ صَـــــائِبَةٌ وَلاَ سَبِيلَ إِلَى عَقْلٍ وَلاَ قُـــــودِ(5)

(1) الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث(قسم الدواوين الشعرية)
(2) المصدر نفسه
(3) المصدر نفسه
(4) محمد المرزوقي " ديوان أبي الصلت أمية بن عبد العزيز".ص 50
* هو أبو الحكم عبيد الله بن المظفر بن عبد الله المريني المغربي .ذكره الأصفهاني في جماعة من أهل المغرب . ينظر ""خريدة القصر وجريدة العصر" ج 2 ص 488
(5) "الخريدة ج 2 ص 493.

إنها عنده مواقيت مقدرة من الله عز و جل و هو حكم حكم به الله على البشرية جمعاء منذ بدء الخليقة و ليس هناك رد لحكمة ولا جدال فيه .

وهذا عبد الحق الإشبيلي الأزدي(ت 581) الذي رحل إلى بجاية *يعبر هو الآخر عن الموت حين يقول :

إنَ فِي المَوْتِ وَ المَعَادِ لَشُـــغْلاً وَادِكَارًا لِذِي النُـــهـَى وَ بَـلاَغَا
فَاغْتَنِمْ خُطَتَيْنِ قَبْلَ المَـــنَايَا صِحَةُ الجِسْمِ وَ يَا أَخِـي وَالفَرَاغَا(1)

فهو يحذر من الغفلة قبل أن تحضر المنية و على المرء أن يذكر و يستغل وقته ولا يهدره فيوم المعاد لابد من قدومه. و يرى أن كأس المنية لابد سائر إلى الإنسان وأن دوره سوف يحين إما آجلا أو عاجلا :

إن كُؤُوسَ المَوْتِ بَيْـــنَ الوَرَى دَائِـــرَةٌ قَدْ حَثَـا السَيْـرُ
وَقَـدْ تَيَقَنَـــتْ إِنْ أَبْطَـــأَتْ أَن سَـــوْفَ يَأْتِيكَ بِهَـــا الدَوْرُ
وَمَنْ يَكُـنْ فِـي سَيْرِهِ جَـــائِر بِاللَـــهِ مَا فِي سَيْرِهَـا جُـــورُ (2)

وهذا أبو القاسم الفازاري(– 627) الذي خرج مع أبيه إلى مكة ثم عاد إلى القيروان ** الذي يهوله و يروعه مصير الإنسان بعد موته فيصور ذلك حين يقول :

وَبَعْدَ المَـــوْتِ أَهْوَالُ عِـــظَامٍ يَشِيبُ لِبَعْضِهَا الطِفْلُ الصَغِيرُ (3)

وهذا أبو الفضل ابن شرف القيرواني (– 534) لا يهاب الموت و لا هوله و لكنه لم يجد الأحباب الذين يبكونه حين يقول :

وَلَمْ أَجْزَعْ لِهَوْلِ المَـــوْتِ لَكِـنْ بَكَيْتُ لِقِلَةِ الـــبَاكِي عَـــلَيَا(4)

ويأتي أبو حفص بن عمر الأغماتي (603هـ)*** و يشبه الموت بالليث الذي يأتي على مكان الصيد و لما يختار طريدته فلا يمكن لها أن تفر :

* ينظر الغبريني." عنوان الدراية" ص 73 . "بغية الملتمس " ج 2 ص 134
(1) نفح الطيب . مجلد 4 ص 326، الديباج المذهب ص 193
(2)" بغية الملتمس" ج 2 ص 134
** الصفدي.الوافي بالوفيات .من مكتبة الموسوعة الشعرية رقم الصفحة 16753
(3) إبراهيم الدسوقي ، جاد الرب . " شعر المغرب حتى خلافة المعز" ص 267
(4) نفح الطيب ج 3 ص 208
*** سكن فاس ، وولي قضاء تلمسان ." أزهار الرياض".ج 2 ص 361

وَكَمْ رَامُوا الـفِرَارَ مِنْ الرزَايَا ... وَلَـــــكِنْ أَيْنَ مِنْ أَجْـلِ فِرَارِ
تُدَارُ عَلَيْهُمْ حَـمُو المَـــنَايَا ... بِكَأْسٍ فِيهِ عُقْرُ لاَ عِـــــقَارِ
إِذَا مَا اللَّيْثُ أَصْبَحَ فِي مَـــحَلٍ ... فَمَـــــا لِطَـــــرِيدَةِ فِيهِ قَرَارِ(1)

وهذا الأمير بن عبد المؤمن سليمان بن عبد الله الزناتي (ت 604هـ) ، يتذكر الموت فيقول :

إِذَا مَا ذَكَرْتُ المَوْتَ فَاضَتْ مَدَامِعِي ... عَلَى كُلِ مَا فَرَطَتْ فَيْضَ السَحَائِبِ (2)

وهذا الجياني عبد الله بن محمد بن فرج (ت ؟) من أعلام سبتة (3) يتساءل عن تكفير شكوته إلى من هو مصاب بالموت مثله :

أَمُوتُ وَأَشْكُو إِلَى مَنْ يَمُـــو ... تُ بِمَاذَا أَكْفُـــــرُ هَـــــذَا بِمَا ؟ (4)

(1)" نفح الطيب" ج 3 ص 209
(2) الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث(قسم الدواوين الشعرية).
(3) المقري التلمساني " أزهار الرياض" ج 1 ص 156. " جذوة المقتبس" ج 1 ص 253
(4)" بغية الملتمس" ج 2 ص 134.

ب . فكرتا الزمان و الدنيا:

إن الزاهد المغربي عاش تلك الصراعات المذهبية من شيعة و خوارج وسنة والصراعات السلطوية من حكم أموي وعباسي، وشاهد تلك الدويلات تميل إلى جهة و تنحرف عن جهـــة ، جعله كل هذا يكون حكيما (1) . وجعله يميل إلى عكس مسار الحياة الدنيوية و يزهد فيها متيقنا أنها حالة مؤقتة و ستزول ، ومن هنا تظهر فكرة الزمن الذي قد يقال لساعات الليل و النهار أو

قد يقال زمن طويل و زمن قصير (2). و هو العصر و الدهر و الفصل و اليوم و الليلة و الشهور، كما الدنيا هي في حد ذاتها زمن معين .

و الزمن والزمان هو عند بن منظور اسم لقليل الوقت وكثيره ....وأزمن الشيء: طال عليه الزمان والاسم من ذلك الزمن والزمنة.....والدهر والزمان واحد...والزمان يقع على الفصل من فصول السنة.(3)

والزمن من الأمور التي شغلت تفكير لإنسان منذ القدم وقد حاول تفسيره لأنه شيء غير مادي أي غير محسوس ولكن الإنسان يشعر به ويستعمله في تقدير أموره وحركة الأشياء وتغيراتها هي التي جعلت هذا الإنسان يلاحظ الزمن ومروره.قال تعالى "هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب، ما خلق الله ذلك إلا بالحق، يفصل الآيات لقوم يعلمون"(4) فعلم عدد السنين لا يكون إلا بحركة القمر. وحياة الإنسان هي جزء من الزمن أو الدهر قال تعالى"هل أتى على الإنسان حين من الدهر"(5).وقد بدأ الشعراء في لوم الزمن وإنما يلومون شيئا خفيا لم تتفق البشرية على تحديده واعتبرته أحد المطلقات.

والدنيا هي من دنا من الشيء دنوا و دناوة : قرب ، و في حديث الإيمان : ادنه هو أمر بالدنو و القرب ، قال : الليث و سميت الدنيا لدنوها ، و لأنها دنت و تأخرت الآخرة .(6)

وقد قال عنها المسيح"الدنيا لإبليس مزرعة وأهلها له حراث".(7)

---

(1) ينظر العربي دحو ، الشعر المغربي من الفتح إلى نهاية الإمارات الأغلبية و الرستمية و الإدريسية ص 54

(2) بن الأثير – " الكامل"، دار الكتاب العربي – بيروت لبنان : ج 1 ص 10

(3) .ينظر" لسان العرب "في مادة "زمن"

(4) الآية 5 من سورة يونس

(5) الآية (1) من سورة الإنسان

(6)ينظر " لسان العرب" في مادة "دنو"

(7) الحصري . "زهر الآداب" ج 4 ص 7

وقال عنها لقمان لابنه :"يا بني بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا، ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعا".(1)

ولقد اعتبر الشاعر المغربي موضوع الزمن بكافة ماهياته أهم شيء في حياة الإنسان ، نتيجة خوفه و ذعره الشديد من تقلبات الدهر وخداع الدنيا فيندم على ما فات.فيجعله ذلك يتهم و يذم هذا الزمن و كل وفق إحساسه وشعوره ،فإما يشارك الآخرين في هذه الحياة أوينعزل عنها تماما ، و في هذا الصدد نطرق بعض ما وجدناه من شعر مغاربي دل على ذلك .

يقول **أحمد بن أبي سليمان داود الصواف** (-291) : *

أَرَى الدُنْيَا تَغْمُرُهَا اللَيَـــــــــالِي وَأَيَـــامًا مُؤَلَفَـــــةً شُهُورَا
أَرَى يَوْمًا يَجِئُ بِكُلِ خَـــــــيْرٍ ويَوْمًا بِالحَـــــوَادِثِ مُسْتَطِيرَا (2)

معبرا عن الخير الذي يأتي به هذا الزمن و السرور التي تندس في أيام أخرى .

وها هو متشائم من الزمن ومن أحداثه ويشكوه حين يقول :

أَلَمْ تَرَ أَن الدَهْرَ أَوْقَـرَ أَهْـــلَهُ هُمُومًا، وَ أَنَ العَيْشَ صَارَ مُنْكَرَا
فَمَـــا حَـــلَ يَوْمٌ فِيـــهِ إِلاَ بِفَجْعَـــةٍ وَأَنْتَ لأُخْرَى فِيـــهِ مُنْتَظِرُ غَدَا
وَمَا قَرَتْـــهُ إِلاَ سَتُصْبِـــحُ تَرْحَـــةً وَمَا صَاحِبُ إِلاَ سَيُصْبِحُ مُفْرَدَا (3)

ولقد شكا الدهر كذلك **علي الحصري (-488)** **حين يقول :

وَاحْـــذَرِ مِنَ الدَهْـــرِ طَارِقَـــاتٍ كَمْ يَخِـــلُ مِنْهَـــا ذُرَى وَقِيعَـــةً
وَقَائِـــعُ الدَهْـــرِ فِـــي شَتَـــى وَهَـــذِهِ يُسْرُهَـــــا وَقِيعَـــــةً (4)

وهذا **أبو عقال بن غلبون (- 290)** :يشكو اعتداء الزمان عليه حين يقول :

إِن الزَمَـــانَ عَدَا عَلَـــي فَزَادَنِـــي عِلْمًـــا بِأَنَـــكَ سَيِـــدِي تَحْقِيقَـــا (5)

لكنه يتوجه إلى الذي خلق هذه الدنيا وهذا الزمان فيرتاح عندما يجدهما مسيرين، فيحاول أن يتحكم

(1) الغزالي." الإحياء" ج 3 ص 208
* كان تلميذ سحنون ، اشتهر بالحكمة . رابح بونار ص 82.
(2) القاضي عياض ترتيب المدارك ، تحقيق محمد الطالبي ، نشر الجامعة التونسية 1968 ص 509
(3) المالكي . رياض النفوس ج 1 ص 509
** هو أبو الحسن علي بن عبد الغني الحصري الكفيف .ينظر الأدب العربي في الأندلس والمغرب. مطبعة جامعة دمشق.سوريا 1983
(4) الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث.(قسم الدواوين الشعرية)
(5) المالكي. "رياض النفوس"ج 1 ص 532

فيهما فليس هما القوة الأخيرة ، فيرجع ويتدارك ما فاته :

فَلَئِنْ مَضَى صَـــدْرَ الزَمَانِ بِصَفْـــوَةٍ فَلأَخْدِمَهُنَ لِسَيِـــدِي المَنَـــانِ (1)

و هذا **سعيد بن الحداد** : (ت 302 هـــ)* يصور لنا سخطه على هذا الزمن المتقلب معبرا عن حياة اجتماعية عاشها :

مَازِلْتُ مِنْ حَادِثَاتِ الدَهْرِ مُتَعَجِبًا حَتَى انْقَضَى عَجَبِي بَعْدَ الثَلاَثُمَائَة
لاَ بَارَكَ اللهُ فِي عَـــــامٍ فِي سَنَةٍ كَانَت لِشَـــرِ زَمَانٍ كَـــانَ مَختبئـــه

عَادَت أَسَافِلَــهُ طَرا أَعـــَـاليِــهِ وَلاَ أَعَالِي وَإِلاَ وَهِيَ مُنْكَفِئَـــــــة (2)

وهي شكوى صارخة لسعيد من الزمن حين تلحظ قوله" لا بارك الله في عام .."

ولهذا قال مالك بن دينار : بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك و بقدر ما تحزن لآخـــرة يخرج هم الدنيا من قلبك "(3)

وهذا **أبو الفضل ابن شرف القيرواني (-534هـ)** : يقول

لَعُمْرَكَ مَا حَصلْتَ عَلَى خَطَرِ مِنَ الدُنْيَا وَلاَ أَدْرَكْـتَ شَيْئَا
وَمَا أَنَا أَخْرُجُ مِنْهَا سـلْبِيـًا أَقْلِبُ نَادِمًـا كلْتَـــــا يَدَيـَا
وَأَن الدَهْرَ لَمْ يَعْلَمْ مَـكَانـِي وَلاَ عَرَفَـتْ بنُـوه مَا لَـدَيَا
زَمَانٌ سَوْفَ أَنْشُرُ فِيـهِ نَشْرًا إِذَا أَنَا بِالحَمَـامِ طُـوِيتُ طيَا (4)

هو الآخر يحذر من الدنيا وأن كل إنسان سوف لن يدرك منها شيء و إن طاوعها ســوف ينـــدم حتما فهذه الدنيا تقبل عليها الأنفس لترتكب المعاصي ومن أراد أن يتصدى لها لابد أن يزهد فيها .

وهناك من أعلن الحرب على الدنيا وحمل السلاح لها وعرف أين يهزمها كمثـل **ابـن شـرف (ت 367هـ)** حين يقول :

سَأَبْقَى عَلَى الدُنْيَا بِصَوْلَةِ حَرْبٍ وَ إِلاَ عَلَى الأُخرَى بِوَصْلَةِ مِحْرَابِ
وَ لاَ خَيْرَ فِي عَيْشٍ يَكُونُ قَوَامَهُ بِمِحْنَـةِ مَكْذُوبٌ وَ مَدْحِـهِ كـذَابِ (5)

(1) المصدر السابق ص 541.
* ترجمته في" رياض النفوس" ج 2 ص 57.
(2) المالكي "رياض النفوس" ج 2 ص 110
(3) الغزالي . "إحياء علوم الدين" ص 208.
(4)" نفح الطيب" ج 3 ص 208
(5) الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث(قسم الدواوين الشعرية)

ويحذر **القاضي أبو العباس ابن الغماز البلنسي (ت؟)** نزيل تونس و قاضيها: من تفويت الزمن في غير الخوف من الله عز و جل، ويحرض على الأعمال الحسنة في الدنيا التي تنفع يوم الحساب حين يقول :

إِيَاكَ أَنْ تَمْضِي فِي الدَهْرِ سَاعَةً وَلاَ لَحْظَةً إِلاَ وَقَلْبـُكَ وَاجِـــفٌ
فَبَادِرْ بِأَعْمَالٍ يَسُرُكَ أَنْ تَـــرَى إِذَا طُوِيَتْ يَوْمَ الحِسَابِ الصَحَائِفُ.(1)

وهذا **بكر بن حماد** صاحب الثقافة الدينية العالية يصور لنا مرور الزمن بمعناه الليـــالي على الذات الإنسانية اللاهية التي لم تتوصل إلى الدواء بعد و هذا الزمن هو زمن ســـريع قـــد لا تدركه هذا الذات المنغمسة حتى يمر :

تَمُرُ اللَيَالِي بِالنُفُوسِ سَرِيـــعَة وَيُبْدِي رَبِي خَلْـــقَهُ وَ يُعِيد (2)

وهذا الشيخ **أبو علي الطليطلي المغربي(ت؟)*** : وقد ذكره صاحب الخريدة في باب "جماعة مـــن أهل المغرب" ، قد مل من الدنيا والعيش فيها و استبين أن الإقبال عليها ينقص من التمسك بالدين

قَدْ مَلَلْتَ العَـيْشَ فِي دَارِ دُنْيـــا حُلْوُهَا مـــــــــرٌ فَمَا إِنْ تَمَلُ
وَ أَرَى دِيـــنِي فِيهـــا عَـــيَانـــاً كُلَمَا أَكْثَـــــــــرْتَ مِنْهَا يَقِـــلُ
كُلَمَا زَادَتْ يَزِيدُ انْـــــتِقَاصـــاً فَإِذَنْ لَوْ كَمُلَتْ يَضْـــــــــمَحِلُ(3)

وهذا **ابن جبير(ت 614)**** يقول :

عَجِبْتُ لِلْمَرْءِ فِي دُنْيـــاهُ تُطْعِمُـــهُ فِي العَيْشِ وَالأَجَلِ المَحْتُومُ يَقْطَعُهُ
يَغْتَرُ بِالدَهْرِ مَسْرُورًا بِصُحْبَتِـــــهِ وَقَدْ تَيَقَـــنَ أَن الدَهْـــرَ يَصْرَعُـــهُ(4)

هي الحيرة الدائمة" عجبت" التي تنتاب الإنسان حين يتأمل في هذه الدنيا، لكنه يدرك حقيقة هذا الزمن المتكرر من ليل و نهار وقد ظل يأمل في هذه الدنيا ولكن الدهر قد غره وغدر بـــه بعـــد أن ظنه صاحبه واستأنس له . ومع ذلك ما عليه سوى الصبر رغم علمه بحقيقتة:

(1) "نفح الطيب" ج 3 ص 321.
(2) الأخضر السائحي ."بكر بن حماد "شاعر المغرب العربي في القرن 3 " ، ص 88
* كان حيا سنة 524 هـــ."الخريدة "ج 2 ص 498
(3) " الخريدة " ج 2 ص 498
** هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير صاحب الرحلة ، و الذي سكن سبتة .توفي بالإسكندرية سنة 614 هـــ . .ينظر." شجرة النور الزكية "ج 1ص 174 .
(4) " نفح الطيب " المجلد 2 .ص 490 ."شجرة النور الزكية".ص 174.

يَمْشِي وَيُصْبِحُ فِي عَشْوَاءِ يَخْبُطُهَا أَعْمَـــى البَصِيـــرَةِ وَالآمَالِ تَخْدَعُهُ
صَبَرْتُ عَلَى غَدْرِ الزَمَانِ وَ حِقْدِه وَ شَابَ لِي السُمُ الزِعَافِ بِشَهْدِه (1)

وهذا **موسى بن بهيج المغربي الأندلسي (ت ؟.)** : يجعل الدنيا كوقت قصير وهي ساعة فالأحرى بالإنسان أن تكون هذه الساعة في طاعة الله ، حين يقول :

إِنَمَا دُنْيـــــــــاكَ كَسَاعَة فَاجْعَلِ الســـــــاعَةُ كَطَاعَة
احْذَرْ التَقْصِـــــــــيرَ فِيهَا وَ اجْتَـــــــــهِدْ مَا قَدْرَ سَاعَة(2)

يقول **أبو الصلت أمية بن عبد العزيز (ت 529هـ)**

سَكَنْتُكِ يَا دَارَ الفَنَاءَ مُصَـدِقًا بِأَنِي إِلىَ دَارِ البَقَـاءُ أَصِيـرُ
وَأَعْظَمُ مَا فِي الأَمْرِ أَنِي صَائِرٌ إِلىَ عَادِلٍ فِي الحُكْمِ لَيْسَ يَجُورُ (3)

قد أيقن أمية حالها وعلم كيف يتعامل معها وأنها فانية " يا دار الفناء " ، وأنه لابد ذاهب إلـــى دار أخرى أبدية "دار البقاء" فيطلب الرحمة عله ينجو يوم الحساب.

فهذا الإنسان منذ ولادته يرتبط بالدنيا فإما تتحكم فيه فيجعلها في قلبه كما قال **أبو الأصبع عبد العزيز بن علي المعروف بابن الطحان الاشبيلي (ت 559)**

دَعِ الدُنْيـــــــــــا لِعَاشِقِهَـا سَيُصـــْـــبِحُ عَنِ رَشَـائِقِهَا
هَلاَكُ المـــــــــرْءِ أَنْ يُضْحِي مُجَـــــــدِدًا فِي عَلاَئِقِهَـا (4)

وهذا **القاضي الكبير الأستاذ الشهير أبو العباس أحمد بن الغماز البلنسي**- نزيل إفريقيـــا- يندب حظه السيء الذي جعله يضيع عمره في دنيا أحبها وآخرة نفرها وقد عـــبرعن العمـــر هنـــا بالزمان وهو دلالة على العمر الطويل ، و قد علم أن هذا الزمن الذي مر لا يرجع لينتفع فيه :

تَقْضِى الزَمَـــــانَ فوا حسرتي لِمَا فَاتَ مِنْـــهُ وَ مَا ضيعـــَا
تَقْضِى الزَمَـــــانَ وَ لاَ مَطْمَع لِمَا قَدْ مَضَى مِنْهُ أَنْ يَرْجِعَا (5)

والحسرة القوية التي أصابت الشاعر تظهر في عبارة " وا حسرتي ..." فهو يستغيث ضمنيا و الندم مصور في كلا البيتين حين يكرر عبارة " تقضى الزمان ".

---

(1) نفسه
(2) "المصدر السابق. المجلد 2 ص 220.
(3) محمد المرزوقي " ديوان أبي الصلت أمية " . المصدر السابق المجلد 3 ص 297.
(4) نفح الطيب المجلد 2 ص 634
(5) نفح الطيب ج 4 ص 340

فالأولى كانت للاستغاثة عل وعسى والثانية هو آيس من رجوع هذا الزمان أو العمر .

وهذا **أبو زيد الفازازي *(ت 627هـ)** نزيل تلمسان والذي مات بمراكش ، يندب حظه أنه سار في درب الدنيا التي تظهر السلم و تدس الغدر والخداع :

صبوت إلى الدنيا وذو اللب لا يصبو وغرك منها السلم باطنها حرب (1)

وها هو **أمية بن أبي الصلت (ت 529 هـ)** يسخر منها و قد علم أنها غير باقية و هيهات أن يأمل فيها أو منها أو يأخذ منها شيئا:

تُضَايِقُنَــا الدُنيَا وَ نَحْــنُ لَهَا نَهِبُ وتُوسِعُنَا حَرْبًا وَ نَحْنُ لَهَا حَرْبُ
مَا وَهَبَــت إلاَ اسْتَــرَدَتْ هِبَاتِهَــا وَجَدْوَى اللَيَالِي إنْ تحققتها سَلْبُ
تؤمل أَنْ يَصْفُو بِهَــا العَيْشُ ضِلَة وَهَيْهَاتَ أَنْ يَصْفُو لِسَاكِنِهَا شُرْبُ
أَلاَ إنَمَا أَيَــــامَ الحَيَــــاةِ بِأَسْرِهَا مَرَاحِلُ تَطْوِيهَا وَنَحْنُ بِهَا رَكْبُ (2)

و هذا **أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن الأموي (ت 625)** ** يشبهها بالراح العنيفــة الــتي أضرت أكثر مما نفعت :

ألا إنما الدنيا كــراح عنيفــــة أراد مديروهــا بهــا جلب الأنس
فلما أداروها أثارت حقــــودهم فعاد الذي رامو من الأنس بالعكس(3)

أما **علي بن عبد الله النميري الششتري (ت 608)** ***: فيرى أنه لم يبــالي بالزمن أو الدهر أو الدنيا لأنه كان تائها في التجرد ساكن مع الفقراء ، فهو لم يعب الدهر بل ترفع عنه حين لم ينطو تحت لوائه :

لَقَدْ تُهْتُ عَجَبًا بِالتَجَرُدِ وَ الفَقْرِ فَلَمْ أَنْدَرِجْ تَحْتَ الزَمَانِ وَلاَ الدَهْــرُ
جَاءَت لِقَلْبِــي نَفْحَــةٌ قُدُسِيــةٌ فَغِبْتُ بِهَا عَنِ عَالَمِ الخَلْقِ وَ الأَمْــرُ
طَوَيْتُ بِسَاطَ الكَوْنِ وَالطَيُ نَشْرَه وَمَا القَصْدُ إلاَ التَرْكُ لِلْطَي وَ النَشْرُ (4)

*المعروف بابن يخلفتن ، ترجمته في" تحفة القادم" ص 274. " المعجب" ص 230
(1) ينظر الموسوعة الشعرية (قسم الدواوين الشعرية)
(2) محمد المرزوقي." ديوان أبي الصلت أمية بن عبد العزيز" .
**قاضي الجماعة بمراكش . ينظر "الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث "(قسم المكتبة "من"الوافي بالوفيات رقم الصفحة 6267")
(3) التكملة ص 141.
***ذكره صاحب عنوان الدراية في من كان في بجاية . ينظر "الإحاطة"ج 4 ص 220
(4) "الإحاطة في أخبار غرناطة" ج 4 ص 220.

ج. الاعتبار والاتعاظ:

إن هذه الفكرة تأكدت لدي لما كنت أتصفح تلك المدونة الشعرية الخاصة بشعر الزهد لدى هؤلاء الشعراء وقد يوافقني فيها البعض وقد يخالفني في اختيارها أو حتى فــي تســميتها آخرون ولنأخذ نماذج من هذه الفكرة ونبدأ بالشاعر :

أبو عقال غلبون بن الحسن بن غلبون (-291هـ) يقول عند توبته بأن سبيل الله والصراط المستقيم يجعلك تترك كلما يلهيك عن دينك من أهل وغير ذلك:

أَبْصِرْ بِالقَلْبِ سَبِـــــيلَ الرُشْدِ فَبِـــــايَنَ الأَهْلَ مَعًا وَ الوَلَدِ
وَجَدَ فِي السَيْرِ إِلَى رَبِـــــــهِ مُشَمِـــــرًا يَطْلُبُ مُلْكَ الأَبَدِ
فَقَدْ سَارَتْ الدُنْيَا بِأَقْطَـــــارِهَا عَلَيْهِ كَالسِـــــجْنِ فَمِنْهَا شَرَدِ(1)

و يقول و اعظا ناصحا:

أَيَا مِنْ يَـــــرَى الرُشْدَ فِي غَيِهِ وَ يَتَخَبَطُ فِي الدَاجِيَاتِ القَتَادَا
تجَافَ بِنَفْسِـــــكَ عَنْ حَتْفِهَا وَخُـــــذْ لأَمَانِكَ مِنْكَ انْقِيَادَا
أَجِـــــبْ دَاعِي اللهِ لاَ تَعْصِهِ فَقَدْ جَادَ بِالنُصْحِ جَهْرًا وَنَادَى (2)

وهذا **داوود الصواف (ت 291)** يقول كغيره من الشعراء المغاربة الذين تشبعوا بثقافة الدين الحنيف هذه الأبيات التي ندرجها في فكرة الاعتبار والوعظ الذي أكثروا منه ، وهو واجب الدعوة والنصح وفي الأبيات يلحظ شيئا هاما وهو الرسوخ الواضح والبين للآيات القرآنية فـــي صـــدور هؤلاء الشعراء:

وَكَمْ مِنْ طَالِبٍ لِلْمَـــــالِ يَسْعَـــى وَيَرْكَبُ فِي مَطْـــلَبِهِ البِـــحُورَا
فَصَارَ يَوَدُ أَنْ لَوْ كَـــــانَ أَمْسَى وَلَيْـــــسَ بِمَالِكٍ مِنْهُ نَقِـــيرَا
وَقَدْ حَبَـــسَ اللِسَانَ فَلاَ كَـــــلاَمٌ وَقَدْ سَمِـــعَ الصِيَاحُ المُسْـــتَطِيرَا
فَإِمَا مُؤْمِـــنٌ يَـــــرْجُو خَلاَصَا وَإِمَا كَافِرٌ يَصْـــلَى سَعِيـــرَا
فَوَيْلٌ لِلْشَـــــقِي إِذَا تَـــــرَدَى وَصَارَ إِلَى التِي سَاءَتْ مَصِـــيرَا
إِلاَ نَـــــــارٌ تَلْظِيهَا شَدِيدُ وَتُزْفِرُ فِي تَغَيِـــــظُهَا زَفِيـــرَا
و طُوبَـــــى لِلْـــسَعِيدِ إِذَا حَبَاهُ إِلَهُ العَرْشِ فِي الفِرْدَوْسَ حُـــورَا(3)

(1) الدباع." معالم الإيمان" ج 2 ص 219.
(2) العربي دحو. "الأدب االعربي في المغرب العربي".ص 256.
(3) المالكي ."رياض النفوس" ج 1 ص 513 .

وطَـــــابَ لَهُ الجِـــنَانُ الخُلْدِ حَالاً أَحَـــــلُ لَهُ مَعَ الذَهَبِ الحَرِيرَا
وصَـــــارَ شَرَابَهُ مِنْ سَلْسَـــبِيلاَ وَأَنْهَـــــارًا مُفَجَرَةٌ خُمُورَا(1)

و يقول أيضا:

يَا لَذَةٌ لَمْ يَبْقَـــــى إِلاَ إِذْكَارَهَا فَحَسْبِي مِنَ اللَذَاتِ ذِكْرِي لَهَا حَسْبِي
وَمَا اللَهْوُ إِلاَ حُلْمُ يَقْظَانَ صَـــادِقٍ قَدْ يَحْلُمُ النُوَامُ بِالصِدْقِ وَالكَـــذِبِ(2)

إن لذات أو ملاذ الحياة هي شيء آني غير دائم فهو عابر لا محالة قد يبقى ذكره فحسب وما هي إلا كأحلام اليقظة قد تصدق وقد تكذب.

وهذا **أبو بكر محمد بن مسعود التميمي (ت 344هـ)** * يقول ناصحا كل من بحث عن السعادة ولم يجدها:

إِذَا القُـــــــوتَ تَأْتِي لك وَالصِـــــحَةُ وَ الأَمْـــــنُ
وَأَصْبَـــــــحْتَ ذَا حَزْنٍ فَلاَ فَارَقَـــــــكَ الحـــزَنُ(3)

إن كل من كثر كلامه كثر غلطه ولابد ستأتي بعد ذلك المعصية التي تضع في خانة المسيئين ،لذا نجد أبو بكر كذلك ينصح كل إنسان سعى للصلاح والفلاح بأن يلجم لسانه:

سِـــجْنُ اللِسَانِ هُوَ السَلاَمَةُ لِلْـفَتَى مِنْ كُلِ نَـــــازِلَةٌ لَهَا اسْتِئْصَالِ
إِنَ اللِسَـــانَ إِذَا حَلَلْتَ عُقَـــــالَهُ أَلْقَـــــــاكَ فِي شَنْعَاءِ لَيْسَ تُقَالِ(4)

وهذا **علي الحصري القيرواني (-488هـ)** يعود إلينا في هذه الأبيات واعظا كل من أراد بيع الآخرة بالدنيا وملذاتها ويحذره من الانصراف عن دينه ويستبدله بالهوى الدنيوي الزائل:

دِيـــــنُكَ أَغْلَى الـــعُلُوقِ عَلْقًا إِيَاكَ بِالبَـــــــــخْسِ أَنْ تَبِـيعَهُ
صِـــرَاطٌ ذِي العَرْشِ مُـــسْتَقِيمٌ مَنْ يَـــــــمْشِ فِيهِ يَكُنْ تَبِيعَهُ
وَاحْـــذَرِ مِنَ الدَهْرِ طَـــارِقَاتٌ لَمْ يَـــــــخِلُ مِنْهَا ذرَى وَقِيعَهُ
وَقَائِـــــعُ الدَهْرِ فِي شَـــتَى وهَـــذِهِ سِـــــــرُهَا وَقِيعَـــهُ(5)

(1) المصدر السابق ص 513 .

(2) "خريدة القصر" ج 2 ص 259.

* هو محمد بن مسعود أبو بكر التميمي إمام الجامع بالقيروان. ينظر. المالكي "معالم الإيمان" ج 3 ص 53.

(3) المالكي" معالم الإيمان" ص 53.

(4) المصدر نفسه ص 53.

(5) الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث.(قسم الدواوين الشعرية)

وهذا **أبو العباس بن الفضل ابن نصر الباهي (بن رايس) (ت ؟)** (1) يقول:

مَاذَا تُرِيـــــــكَ حوَادِثُ الأَزْمَانِ وَصُـــرُوفُهَا وَطَـــوَارِقُ الحَدَثَانِ
وَالجَارِيَاتُ السَبْـــعِ فِي الفُلْكِ الذِي يَجْرِي بِتَـــــقْدِيرِ العَظِيمِ الشَانِ(2)

إنه يتأمل تلك الأحداث المتكررة وغير المتكررة عبر الزمن ويعتبر منها ثم يسلم أن تلك لهـــا صاحب عظيم الشأن هو الذي يسيرها كيف يشاء.

وفي الاعتبار من كيد الزمن وخداع الدنيا وقرب الأجل يذكر **أبو الوليد الباجي سليمان بن خلف (-474)** نفسه و الآخرين حين يقول:

إِذَا كُـــــنْتُ أَعْلَمُ عِلْمًا يَقِينًا بِأَنَ جَمـــــيعَ حَيَاتِي كَسَاعَةٍ
فَـــــلِمَ لاَ أَكُونُ ضَنِينًا بِهَا وَأَجْعَلُهَا فِي صَلاَحٍ وَ طَاعَةٍ(3)

ولنختم فكرة الوعظ والاعتبار بهذه الأبيات **لعبد الحق بن عبـد الرحمـان ** (ت 581هـ)** التي يجعل فيها الموت والمعاد واعظا و يجعلها الشغل الذي لا بد- أن يشغل الإنسان نفسه بـــه وعلى هذا الإنسان أن يغتنم صحته وشبابه قبل أن يأتي عليه الزمن وتدركه المنية:

إِنَ فِي المَوْتِ وَالمَعَادِ لَشُـــــــــــغْلاً ادِكـــارًا لِذِي النـــهَى وَبَلاَغـــا
فَاغْتَـــــــــــنِمْ خُطَتَيْنِ قَبْلَ الـــــمَنَايَا صِحَةُ الجِسْمِ يَا أَخِي وَالفَـــرَاغَا (4)

وهذا **أبو مدين شعيب (-594هـ)** يرى رؤيته الخاصة لهذه الحياة الدنيا حين يرى لذة العيـــش والسعادة هي في عيشة الفقراء وهو يرى أنه لابد من التأدب بآدابهم ولديه كـــذلك جملـــة مـــن المواعظ في هذا النحو:

مَا لَذَةُ العَيْشِ إِلاَ بِصُـــــــحْبَةِ الفُقَرَا هُمْ السَلاَطِينُ وَ السَادَاتَ وَ الأُمَرَا
فَاصْحَبْهُمْ وَ تَأَدَبْ فِي مَجَـــــالِسَهُمْ وَخَلِ حَظَكَ مَهْمَا خَلَفـــــوكَ وَرَا
وَاسْتَغْنِمْ الوَقْتَ وَ احْضُرْ دَائِمًا مـــعَهُمْ وَاعْلَمْ بِأَن الرِضَى يَخُصُ مَنْ حَضَرَا
وَلاَزِمْ الصَمْتَ إِنْ سُئِـــــــــلْتَ فَقُلْ لاَ عِلْمَ عِنْدِي وَ كُنْ بِالجَهْلِ مُسْتَنِيرَا(5)

(1) كان فقيها صالحا...سكن سوسة ثم انتقل منها إلى القيروان . ينظر "معالم الإيمان "ج 3 ص 55.
(2) المالكي "معالم الإيمان "ج 3 ص 55." الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي" ص 343.
(3) " الخريدة "ج 2 ص 697.
** يعرف بابن الخراط نزل بحاجة عند الفتنة التي وقعت بالأندلس عند انقراض الدولة اللمتونية ." الديباج المذهب " ص 193
(4) " نفح الطيب " المجلد 4 ص 329 ."الديباج المذهب"ص 193.
(5) بن مريم " البستان " ص 11

وَلاَ تَرَا العَيْبَ إِلاَ فِيـــــــــكَ مُعْتَقَدَا عَيْبًا بِـــــــــــدَا بَيِنًا لَكِنَهُ اسْتَتَرَا
حُطَ رَأْسِكَ وَاسْتَـــــــغْفِرْ بِلاَ سَبَـــبٍ وَقُمْ عَلَى قَدَمِ الإِنْصَـــــــاف مُعْتَذِرَا
إِنْ بَدَا مِنْكَ عَيْبٌ فَاعْـــــــتَرِفْ وَقُمْ وَجِهْ اعْتِذَارِكَ عَمَا فِـــيكَ مِنْكَ جَرَا(1)

وقال أيضا:

كُلُ يَنـــــــــــالُ مِنَ المَقْدُورِ قِسْمَتَهُ قَوْمٌ تَرَقُوا وَ قَوْمٍ فِي الهَوَى سَقَطُوا

حـــــــكْمٌ مِنَ اللهِ عَدْلٌ فِي بَرِيَـــــتِهِ فَرَضٌ عَلَيْنَا لَهُ التَسْلِيمُ مُشْـــــتَرَط
مَنْ تَصَـــــدَى لِحُكْمِ اللهِ مُعْتَرِضـــــا فَقَدْ تَصَدَى لَهُ الخِذْلاَنُ وَالغَـــــلَطُ(2)

إن أبا مدين شعيب الزاهد يؤدي واجبه النصحي والوعظي حين يحدد للمرء وجهة لا بد أن ينتهجها ، فإما يكون ممن نجا أو يكون ممن هلك ، هذا حكم الله في خلقه ولا يمكن للمـــرء أن يتصدى لحكم الله ويعترض على قدره.

وهذا أبو حفص **بن عمر الأغماتي (ت 604هـ)** يقول عن الغافل الذي لا يبصر الأمور كما هي على حقيقتها ويبصرها على مظهرها.

بِلَقْبِكَ يَا غَافِـــــــــــــلاً فَأَنْظُرْ وعَيْـــــــــــنَيْكَ غَمِضْهُمَا تُبْصِرُ
إِذَا أَرْسَلَ الطَـــــرَفُ هَامَ الفُؤَادِ وَبَـــــــعْضَ المَرَائِي عَمَى البَصَرُ
وَآفَـــــــــــةُ قَلْبِ الفَتَى عَيْنَهِ فَإِنْ تَرْعَ قَـــــــــــلْبَكَ لاَ تَنْظُرُ(3)

وهذا **بن جبير (ت 614هـ)** يتعجب في هذه الأبيات من المرء الذي يزرع الآمال في هـــذه الدنيا ناسيا مصيره ومآله الحقيقي:

عَجِبْتُ لِلْمَرْءِ فِي دُنْيَـــاهُ تُطْعِمُـــهُ فِي العَيْشِ وَالأَجَلُ المَحْتُومُ تَقْطَعُهُ
يُمْسِـــي وَيُصْبِحُ فِي عَشْوَاءْ يَتَخَبَطُهَا أَعْمَى البَصِيرَةِ وَ الآمَالِ تَزْرَعُهُ(4)

ويقول أيضا:

النَاسُ مِثْلَ ظُرُوفُ حَشْوِهَا صَبْرُ وَفَوْقَهُ أَفْوَاهًا شَيءٌ مِنَ العَسَلِ
تُغْرِ ذَائِقَهَا حَتَى إِذَا كَشَـــــفْتَ لَهُ تُبَينُ مَا تَـــحْوِيهِ مِنْ دَخَلِ(5)

(1) نفسه
(2) الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث. (قسم الدواوين الشعرية)
(3)" نفح الطيب "ج 3 ص 209.
(4) "نفح الطيب" المجلد 2 ص 491
(5) نفسه

ويقول كذلك:

وَشَاهَدْتُ فِي الأَسْفَارِ كُلُ عَجِيبة فَلَمْ أَرَ مَنْ قَدْ نَالَ جِـــــدًا بِجِدِهِ(1)

. أبيات تصدم كل من اعتقد دنياه نفعا من مال أو حسب أو جاه أماني هي كل أمور لـــــن تنفع من جد فيه وتسعى إليها بكلٍّ. ومثل الناس مثل ظروف مغلقة لا تعرف ما بـــداخلها وقـــد غره مظهرها.

وهذا **أبو زيد الفازازي(ت 627هـ)*** يعظ ناصحا الابتعاد عن كل ما ينسيك امتداح محمد صلى الله عليه و سلم، فمن أراد الفوز في الآخرة ما عليه إلا أن يشغل نفسه بمدح النبي:

أَلاَ فَاقْبَلُوا مِني نَصِيحَةٌ مُرْشِدٌ يَصِيغ إِرْشَادَهَا كُلُ مُهْتَدِ
إِذَا شِئْتُمْ أَنْ تُحَرِزْ الفَوْزَ فِي غَدٍ ذَرُوا كُلُ شُغْلٍ لِامْتِدَاحِ مُحَمَدِ
فَذَاكَ مَنْحَى لِلْنَجَاةِ وَمَأْخَذِ(2)

(1) نفسه

*سكن مدينة تلمسان .ترجمته في " نفح الطيب" المجلد 4 ص 468

(2) الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث (قسم الدواوين الشعرية)

د.فكرتا القبور و ذهاب الأمم السابقة :

إن الفكرتين مرتبطتين لكل عاقل، إذ أن الواقف على قبر يعرف أنه دفن ها هنا ذات يوم إنسان سواء كان أبا أو جدا أو أما أو أخا أو كان غير قريب أو كان من الأمم السالفة ، وهنا يكون الترابط بين الهاجسين اللذين عبر الشاعر الزاهد عن خوفه منهما في شعره .

إن شعراء الزهد المغاربة ما نطقوه شعرا أرادوا به الاعتبار إلا وكان نتاج التأمل والتذكر في حال الأمم السابقة أو حتى الأحباب والجيران والخلان، حين يرى القبر وفي هذه المعاني يقول **بكر بن حماد (ت 295هـ)** : يوجه الاتهام الصريح إلى من هدم دعائم الأمم السابقة و يخص بذلك الزمن المتمثل في الليل و النهار حين يقول :

نَنَهَارُ مُشْرِقٌ وَظَلاَمُ لَيْلٍ أُلِحُ بِالبَيَاضِ وَبِالسَوَادِ

هُمَا هَدَمَا دَعائِمَ عُمْـرُ نـُـــوحٍ وَلُقْمَــانُ وَشَـــدَاد وَعَـــــادِ(1)

إنه صنيع الزمن بالأمم السابقة التي ظنت أنها خالدة بطريقة أو أخرى .و ليتفكر الإنســـان الضعيف مثلا في نوح عليه السلام الذي عمر طويلا . لكنه استسلم في الأخير إلى عامل الزمن وأين قوة عنترة و قوم عاد الذين ادعوا القوة من قبل. إن الاتعاظ والاعتبار لابد أن يكون مـــن خلال هذا التأمل وإلا لا. ثم ها هو يكشف حقيقة الزمن بشتى عوامله و يهون من شأنه :

قِفْ بِالقُبُورِ فَنـــــادَ الهَامِدِينَ بِهَا مِـــــنْ أَعْظَمٍ بَلَيْتَ فِيهَا أَجْسَادِ
قَوْمٌ تَقَطَّـــــعَتْ الأَسْبَابُ بَيْنَـــهُمْ مِنَ الوِصَالَ وَصَارُوا تَحْتَ أَطْوَادِ
رَاحُوا جَمِيعًا عَلَى الأَقْدَامِ وَ ابْتَكَرُوا فَلَنْ يَرُوحُوا وَلَنْ يَغْـدُو لَهُمْ غَادِ (2)

إن الزمن فعل فعلته بأصحابه فأصبحوا هادمين في قبور لا حول ولا طاقة لهم .

وغير بعيد عنه يقول **ابن زهر الحفيد** (-595): يتصور نفسه يوما في هذا القبر

تُرَابُ الضَرِيحِ عَلَى صَفْـــــحَتِي كَـــــأَنِي لَمْ أَمْشِ يَوْمًا عَلَيْهِ
أُدَاوِي الأَنَامُ حَذَارِ المَنُـــــــونِ فَمَـــا أَنَا قَدْ صِرْتُ رَهَنَا لَدَيْهِ (3)

(1) الدر الوقاد ص 76
(2) الدر الوقاد . ص 80 . رياض النفوس ج 1 .ص 25 . الأدب العربي في المغرب العربي ص 188 . معالم الايمان ج 2 ص 285 .
(3) " نفح الطيب " المجلد 3 ص 434

هـــ . تزكية النفس:

سميتها هكذا و قد يسميها غيري غير ذلك كجهاد النفس أو وعظ النفس أو مسمى آخر. فالزاهد في لدينا لابد أن يكف النفس عن ملذات الحياة ، من هوى ولهو وغير ذلك وإلا كيف يسمى زاهدا ، وهذا ما طرقه الشعراء أو المغاربة وهم الذين اختبروا الحياة أيما اختبار وارتحلـــوا أيمـــا ارتحال ، في البلاد الإسلامية فتمسكوا بدينهم أيما تمسك .

ولنبدأ هذه الفكرة بالشاعر المشهور **بكر بن حماد التاهرتي** حين يقول :

لَقَدْ جَحَمَتْ نَفْسِي فَصِدْتُ وَأَعْـرَضَتْ وَقَدْ مَرَقَتْ نَفْسِي فَطَالَ مُرُوقُـهَا
فَيَا أَسَفِي مِنَ جُنْحِ لَيْلٍ يَقُـــــــودُهَا وَضَوْءِ نَهَارٍ لاَ يَزَالُ يَسُـــوقُهَا
إِلَى مَشْهَدٍ لاَبُدَ لِي مِنْ شُـــــــهُودِهِ وَمِنْ ضَرْعٍ لِلْمَوْتِ سَوْفَ أَذُوقُهَا(1)

إن الشاعر قد علم شيئا مهما وهو أن مسايرة النفس وركوبها لأهواء الدنيا قد طال وإعراضـــها عن الطاعات والعبادات والنفس المقصود بها ...

ثم يأتي ذلك العامل الذي لابد من جعله سببا في كل هذا و هو الزمن بما يمثله من ليل ونهـــار يقودان هذه النفس إلى حتفها حقيقة.

وهكذا **ابن غليون أبو عقال** يقول :

مَنَايَ وَ تَسْـــويفِي بِنَفْســي أذلهَا وَأعلمُـــــــــهَا فِيمَا عَلَيْهَا بِمَا لَهَا
تَمِيلُ إِلَى حَظِ مِنَ القُـــوتِ دَارِس يَخُطُ مِنَ الدَارِ التِي لاَ أَنْقَاضَ لَهَا(2)

إن محاولة تذليل النفس التي ينشدونها في أشعارهم دائما إنما هي في الواقع إبعادها عن ملذات و شهوات الحياة وهنا يقع الصراع بين قلب المؤمن الذي يرى أن ذلك الزمن المتمثل فـــي الـــدنيا أو الدهر ما هو إلا وسيلة بينما تريد هي الميل له لجعله غايتها المطلوبة والمنشودة .

ويقول و هو سجال مع نفسه :

كَأَنِي وَنَفْسِي بَيْنَ حَرْبٍ وَهُدْنَـــــةٍ إِذَا سَاعَدَتْنِي فِي السُهَادِ بَدَا لَهَا
تُخَالِفُنِي فِي كُلِ أَمْـــــرٍ أُرِيـــدُهُ وَتَقْطَعُ مِنِي بِاليَمِـــــينِ شِمَالَهَا
فَمَنْ لِي بِنَفْسٍ لاَ تَزَالُ غَـــــوِيَةٌ تُسَاعِدُ شَـــيْطَانًا يُرِيدُ ضِلاَلَهَا(3)

---

(1) محمد الطمار ،" تاريخ الأدب الجزائري" ص 35 . رمضان شاوش "الدر الوقاد" ص 12.
(2) المالكي." رياض النفوس" ج 1 ص 541.
(3) نفسه

فلَو كَانَ لِي التَخْيِير فِي بدء خلقتِي تَعَوَذْتُ من نَفْسِي فَلَمْ أَرَحَالَهَا (1)

ولكنه لما صبر في حربه مع نفسه التي كانت تساعد ذلك الشيطان الذي يريد هلا كها قد تفـــوق عليها في الأخير:

فأَلْزَمْتُ نَفْسِي مَدَى ضَـــــيْرَهَا وَخَالَفْتُهَا فِي هَوَاهَا عِنـــــادَا
وبَايَنَتْ مَا كُنْتُ أَلْهُو بِـــــــــهِ فَأَمْسَى وَأَصْبَحَ عِنْدِي سِهَادَا (2)

وهذا **الفقيه خطاب التلمساني**(-؟)* يقول عنها :

حَرَامٌ علَى نَفْســـــــي لَذَاذَة عَيْشَهَا إِلَى أَنْ تَقِرُ الـــنَفْسَ عَيْنًا بِمَا تَدْرِي
بِعِلْمٍ يُزَكِي النَـــــــفْسُ عِنْدَ مَلِيكِهَا وَ تُؤْنِسُهَا أَنْوَارُهُ فِي دُجَـــــى القَبْرِ(3)

فهو يرى أن هذه النفس لو كانت تعلم علما يقينا لما تلذذت بملذات الحياة ولكفاها علم ينفعها يـــوم الحساب وقبله في ظلمات قبرها.

وهذا **أبو الأصبع عبد العزيز بن علي (ت 559)**** المعروف بابن الطحان الاشبيلي يـــدعو إلى معاداتها –أي النفس– فإن كانت تطلب أشياء دنيوية وجـــب منعهـــا وإن هلاك الإنســـان فـــي مجاراتها و طاعتها، وكل من خاف الرحمن وجب عليه أن يدللها حتى يسلم من الآخرة :

وَعَادَ الـــــنَفْسُ مُصْطَبِـــــرًا ... وَ نَـــــكُبُ عَنْ خَـــــلاَئِقِهَا
هَلاَكُ المَرْءِ أَنْ يُضَـــــحِي ... مُجَـــــدِدًا فِي عَـــــلاَئِقَهَا
وَذُو التَقْوَى يُذْلِـــــلْهَا ... فَيَسْـــــلَمْ مِنْ بَـــــوَائِقِهَا(4)

وَ هَا هُوَ **الأمير ابن عبد المؤمن (ت 604)** يزجرها و يحذرها من عواقب الزمن :

يَا نَفْسُ حَسْبُكِ مَا فَرَطْتَ فَازْدَجِرِي ... عَنِ الذُنُـــــوبِ فَإِن القَبْرَ مَثْوَاكِ
خَافِي الإِلَهَ لِمَا قَدَمْتَ مِنْ زَلَـــــلِ ... وَاعْصِي هَوَاكِ فَـــــإِن اللهَ يَرْعَاكِ
إِن الهَوَى قَلَمَا تُجْـــــدِي هَوَادَتُـــهُ ... وَهُوَ الذِي عَنْ سَبِيلِ الرُشْدِ أَقْصَاكِ
لَشد مَا تَعْلَمِينَ الفَرْقَ بَيْنَـــــــهُمَا ... مَا كَانَ أَحْـــرَاكَ بِالأَجدَى وَأَوْلاَكِ (5)

(1) المالكي "رياض النفوس"ج 1 ص 541.
(2) المصدر نفسه ص 539.
* هو أبو الحسن الخطاب بن أحمد بن عدي بن خطاب.....كان إماما فاضلا.ينظر "الخريدة".المجلد 2 ص 698
(3) "نفسه
** أخذ القراءات ببلده اشبيلية ثم انتقل إلى فاس...ينظر" نفح الطيب" ج 2 ص 634.
(4) المصدر نفسه .
(5) الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث.(قسم الدواوين الشعرية)

إِلَى مَا تُلْهِينَ عَنْ قَوْلِي مُـــــغَالَطَة ... وَتُوقِنِـــــينَ بِأَنِي غَيْرَ أَفَـــــاكِ
أُصْغِي إِلَى فَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ أَحَدٍ ... أُلْقِي إِلَيْـــــهِ صَـــرِيحَ النُصْحِ إِلاَكِ
تُوبِي إِلَى اللهِ إِنَ اللهَ يَقْـــــــبَلَهَا ... وَاسَمِي بِجُهْدِكِ فِي تَحْسِينِ عُقْبَـــاكِ(1)

تحذير الأمير للنفس متواصل في الأبيات الستة كلها فهو يحاورها و يرهبها و يرغبها فلا أحد أنصح لها كصاحبها ،وأما في البيت السابع فيأمرها بالتوبة إلى الله ويخبرها أن الله يقبل التوب على الرغم من كثرة الذنوب عل ما بقي من العمر يحسن من العاقبة.

(1) نفسه

و.فكرتا الندم و طلب الصفح:

إن فكرتي الندم وطلب الصفح مكملتين لبعضهما لذا أردت وضعهما في عنوان واحد فالأول يؤدي إلى الثاني وقد أورد الشعراء المغاربة هاتين الفكرتين أوالموضوعين في أشعارهم بكثرة فكل إنسان تأتي أوقات من عمره تنقلب عليه أهوائه وشهواته ويخسر معركته مع نفسه و الشيطان ثم يتدارك ذلك على حسب قوة إيمانه ويكسب معاركه فتبدأ حالة الندم وهي أول طريق إلى تفوقه وهي وسيلة كذلك لطلب الصفح من المولى عز وجل. الندم طلب الصفح دون شك يؤديان بصاحبها إلى اعتزال ملذات الحياة والزهد فيها وتصغيرها.

و**هذا أبو جعفر أحمد بن سليمان داوود الصواف** الذي كان يقول: "أزهد الناس في الدنيا من لم يرضى منها إلا بأخذ الحلال و إن رآه الناس متكئا عليها"(1) وهو القائل في ما يندم عليه الإنسان وإن كان قد سر فيه لزمن معين:

يَا لَذَةٌ قَصُرَتْ وَ طَالَ بَلاَؤُهَا عِنْدَ التَذَكُرِ فِي الزَمَانِ الأَوَلِ
لَمَا تَذَكَرَهَا وَقَالَ نَدَامَة مِنْ بَعْدِهَا يَا لَيْتَنِي لَمْ أَفْعَلِ(2)

و يقول و قد تيقن أن لا طريق غير طريق الله وألا ملجأ إلا إليه:

أَجِرْنِي مِنْ عَذَابِكَ وَ اعْفُ عَنِي وَكُنْ لِي مِنْكَ يَا أَمَلِي مُجِيرَا

فَإِنِـــــــــــي قَدْ كَبِرْتُ وَ رَقَ عَظْمِي لَجَـــــــــأْتُ إِلَى فَنَائِكَ مُسْتَجِيرَا
وَأَنِـــــــــي لَمْ أَزَلْ أَرْجُو عَفْوًا لأَنَكَ لَمْ تَزَلْ رَبًا غَـــــــــفُورَا(3)

وهذا **أبو عقال بن غلبون** يرى أن مصائب الزمان ما زادته إلا يقينا بوجود ربه ، وقـــد أوكل نفسه إليه فهو الذي علم مصالحه وأمنه وكان رفيقا له في البلاء وحوادث الدهر:

إِنَ الزَمَانَ عَـــــــدَا عَلَيَ فَزَادَنِي عِلْمـــــــــــًا بِأَنَكَ سَيِدِي تَحْقِيقَا
مَا نَـــــــــالَنِي ضُرٌ بِوَجْهٍ مَسَاءَةٍ إِلاَ وَجَـــــــــدَتْ بِهِ إِلَيْكَ طَرِيقَا
حَسْـــــــــبِي بِأَنَكَ عَالِمٌ بِمَصَالِحِي إِذْ كُـــــــــنْتَ مَأْمُونًا عَلَى شَفِيقَا
فَامْـــضِي القَضَاءُ عَلَى الرِضَى مِنِي بِهِ إِنِي رَأَيْتُـــــــــكَ فِي البَلاَءِ رَفِيقَ(4)

(1) الدباغ ." معالم الإيمان" ج 1 ص 207.
(2) نفســـه .
(3) المالكي."رياض النفوس" ج 1 ص 513.
(4) نفســه ص 527.

ويتحسر على ما فات من العمر وقد ضاع في اللهو وحب للشهوات ولذائذ الدنيا ثم يطلـــب العفو والصفح ممن لا يخذله دائما:

لأَهْـــــــجُرَنَ أَحِبَتِي وَمَعَـــارِفِي وَلأَقْطَـــــــــعَنَ عِصَابَةَ المجَانِ
وَلأَبْـــكِينَ عَلَى الصِبَا وَلَمَا مَضَى مِنْ غَـــــــرَتِي فِي سَالِفِ الأَزْمَانِ
فَلَعَـــــــلَ مِنْ شَمْلِ العِبَادِ بِفَضْلِهِ يَحْيَي الفُـــــــؤَادُ بِكَثْرَةِ الأَشْجَانِ
فَامْـــــــنُنْ عَلَيَ بِمَا أُومَلُ مِنْكَ يَا مُعْـطِي الجَمِيلِ وَمُسْدِي الإِحْسَانِ(1)

وهذا **عبد الرحمان أبو القاسم بن محمد الحضرمي المعروف باللبيدي (-440)** ولبيدة من قرى الساحل من مشاهير علماء إفريقية ومؤلفيها توفي بالقيروان** يقول داعيا:

أَنْتَ العَلِيُ وَ أَنْتَ الخَالِقُ البَـــارِي أَنْتَ العَـــــــلِيمُ لِمَا تُخْفِيهِ أَسْرَارِي
أَنْـــتَ العَلِيـــمُ لِمَا فِي الخَلْقِ مَقْدِرَةٌ فِي وِسْعِ عَيْشٍ وَ فِي بُؤْسٍ وَافْتِـــقَارِ
عَسَى المَلِيكُ يَذُودُ النَفْسَ عَنْ عَطَبٍ يَجْلُو العَمَـــــــاءُ بِتَوْفِيقٍ وَ أَنْوَارِ(2)

يخاطب عبد الرحمان أبو القاسم ربه و قد تضرع إليه خيفة، إنه يواجه ربه بفقره فهو حتى في هذه الدنيا ليس له كمال ولا جاه فيها يغويه و يبعده عن طريق الصواب.

وهذا **عياض بن موسى اليحصبي(ت 544)*** يقول:

أَعُـــــــــوذُ بِرَبِي مِنْ شَرِ مَا يَخَافُ مِنْ الإِنْـــــــــسِ وَ الجِنــَةِ
وَ أَسْئِـــــــــلَه رَحــمَة تَقْتَضِي عَـــــــــــوَارِفُ تُوصَلُ بِالجَنَةِ
فَمَـــــــــــا لِلْخِلاَنِ مِنْ نَارِهِ سِوَى فَضْـــــــــلُ رُحْمَاهُ مِنْ جنَةِ (3)

إن الشاعر يتضرع إلى خالقه ،عله يجد طريق النجاة و يتعوذ به من كل لاهية تلهيه عن ذكر ربه وتجعله ينسى رحمة ربه.

وهذا **أمية بن عبد العزيز بن أبي الصمت (ت 529 هـ)** يقول:

حَسْـــــبِي فَكَمْ بَعُدَتْ فِي اللهِ أَشْوَاطِي وَطَالَ فِي الغَيْ إِسْرَافِي وَإِفْرَاطِي(4)

---

(1) نفسه ص 527.

** نفسه ص 168.

(2) نفســه

* القاضي الإمام المجتهد يكنى أبا الفضل سبتي الدار و الميلاد أندلسي الأصل... الإحاطة ج 4 ص 233

(3) الإحاطة ج 4 ص 233.

(4) محمد المرزوقي "ديوان أبي الصلت أمية بن عبد العزيز" ص 115 . وينظر "الخريدة " ج 2 ص 456

أَنْفَقْتُ فِي الــلَهْوِ عُمْرِي غَيْرَ مُزْدَجِر وَجَدْتُ فِيهِ فوري غَيْرَ مُحْتَــاطِ
عَلَيَ أَخْلَــصْ مِنْ بَحْرِ الذُنُوبِ وَ قَــدْ غَرَقَتْ فِيهْ عَلِي بَعْد مِنَ الشَاطِي
نعَمْ وَمَـــــالِي مَا أَرْجُو رِضــَاكَ بِهِ إِلاَ اِعْتِرَافِي بِأَنِي المُــذْنِبُ الخَاطِي(1)

إنها أبيات ظاهرة المعنى بينة المبنى لأمية هذا فقد كانت بدايتها في الندم على ما فات وما جرى من كثرة الأخطاء والمعاصي ، وقد أنفق جل العمر في غير رضا الله" أنفقت في اللهو عمـــري غير مزدجر" ثم يأتي بعد ذلك الاستغفار.وطلب الصفح " نعم ومالي لا أرجو رضاك" عنـــد الله القدير قابل التوب وغافر الذنب. ويقول إما يكون عقابه شديد أو ينال عفوا فقد فاز بنعيم دائم:

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ أَلْقَاهُ عِنـــْدَهَا وَزَادِي قَلـــــــــيلُ وَ الذُنُوبُ كَثِيرُ
فَإِنْ أَكُ مُجْزِيًا بِذَنْبِـــــــي فَإِنـــَني بَشَرٌ عِقـــــابُ المُذْنـــبِينَ جَدِيرُ
وَإِنْ يَكُنْ عَفْوٌ بِذَنْبِـــــي فَإِنَنِـــــي فَثَمَ نَعِـــــيمٌ دَائِمٌ وَسُـــــرُورُ(2)

وهذا **بن جبير** يقول طالبا الصفح والعفو من الله عز وجل متضرعا إليه في صورة الخائف الذي قام بجريمته وينتظر حسابها وعقابها.

وَقُلْ رَبِ هَـــــبْ رَحْمَةً فِي غَدٍ لِعَـــــبْدٍ بَسِيمِ العُصَــاةِ اتَسِمِ
جَرَى فِي مَيَادِينَ عِصـــــــيَانِهِ مُســـــيئًا وَ دَانِ بِكُــفْرِ النِعَمِ

فَيَا رَبُ صَـــــــــفْحُكَ عَمَا جَنَى يَارَبُ عَفْـــــــــوَكَ عَمَا اجْتَرَمِ(3)

وهذا **القاضي الكبير الأستاذ الشهير أبو العباس أحمد بن الغماز البلنسي** نزيل إفريقية يدعو كل من أسرف في دنياه وأمضى عمره في لهو أن يبادر بالتوبة وليتذكر يوم الحساب " إذا انتشـــرت يوم الحساب الصحائف" وألا ييأس من رحمة الله وإن عظمت ذنوبه:

وَبَـــــــادِرْ بِأَعْمَالٍ تَسُرُكَ أَنْ يَرَى إِذَا انْتَشَرَتْ يَوْمَ الحِسَابِ الصَحَائِفُ

وَلاَ تَيْأَسْ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَـــــــهُ لَرَبُ العِبَـــــــــادِ بِالعِبَادِ لَطَائِفُ(4)

وهذا **الأمير بـــن عبـــد المؤمـــن (-604هـ)** يقول:

وَأَذْكُرْ يَـــــــــوْمَ الحَشْرِ إِنْ جِئْتَهُ غَدَا وَذَنْبِي مَعِي وَ الذَنْبُ أَخْبَثُ صَاحِبِ(5)

(1) المصدر السابق.

(2) " نفح الطيب" المجلد 2 ص 129.

(3) نفسه ص 494.

(4) نفسه ج 4 ص 316.

(5) الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث . (قسم الدواوين الشعرية)

وَلَكِنْ أَرْجُـــــــــو اللهَ فِي كُلِ حَالَةٍ وَأَخْشَ بِمَا قُمْـــــــتُ سُوءَ العَوَاقِبِ

فَيَا خَيْرُ مَنْ يُدْعَـــــــى لِكُلِ مُلِمَةٍ وَأَكْـــــرَمُ مَنْ يُرْجَى لِنَيْلِ الرَغَائِبِ

أَقَـــــــلُ عَثْرَتِي إِنِـــي أَتَيْتُكَ تَائِبًا وَلَيْـــــسَ مُقِيمٍ فِي الذُنُوبِ كَتَائِبِ(1)

وهذا **الزاهد أبومدين شعيب** يقول:

يَا مَنْ عَلَى فَرَأَى مَا فِي القُلُوبِ وَمَا تَحْتَ الثَرَى وَظَلاَمُ اللَيْلِ مُنْـــدَلِ

أَنْتَ المُغِيثُ لِمَنْ ضَاقَتْ مَذَاهِبَـــهُ أَنْتَ الدَلِيلُ لِمَنْ ضَاقَتْ بِهِ الحِيَلُ

إِنَا قَصَدْنَاكَ وَ الآمَالُ وَاثِـــــــقَةٌ وَالكُلُ يَدْعُوكَ مَلْهُوفٌ وَ مُبْتَـــهِلُ

فَإِنْ غَفَرْتَ فَذُو فَضْلٍ وَ ذُو كَـــرَمٍ وَإِنْ سَطَوْتَ فَأَنْتَ الحَاكِمُ العَـــادِلُ(2)

إن كل من زهد في هذه الدنيا يرى عاكفا على طلب الثواب والمغفرة ويصـــف الإلـــه بكل ما حدثته به نفسه " أنت المغيث"، "ترى تحت الثرى" ،" أنت الدليل" وقد أكـــثر الـــدعاء ليتيقن الاستجابة.

وهذا **أحمد بن عبد الرحمان بن محمد بن صـــقر الأنصـــاري الخزرجـــى أبـــو العباس*** **(-569)** وقد شد نظره إلى الإله العظيم واشتكى إليه حاله ونعى بأعماله إلى خالقه و قد وجد نفسه فقير ، ضعيف لا حول له و لا قوة.

إِلَهِي لَكَ المُلْكُ العَـــــــظِيمُ حَقِيقَة وَ مَا لِلْـــــورَى مَهْمَا نَعَتْ نَقِيرُ
تَـــــجَافِى بَنُو الدُنْيَا مَكَانِي فَسَرَنِي وَمَا قَدْرَ مَـــــــخْلُوقٌ جَدَاهُ فَقِيرُ
وقالوا: فَـــــــقِيرٌ وَهُوَ عِنْدِي جَلاَلَهُ نَعَمْ صَـــــــدَقُوا إِنِي إِلَيْكَ فَقِيرُ(3)

وهذا **عبد الرحمان السهيلي (ت 581)**** يقول داعيا ربه وقد جد في ذلك فهو أكثر من حرف النداء "يا" الذي يدل على طلب الاستعانة في الحالة الشديدة:

يَا مَنْ يَرَى مَا فِي الضَـــمِيرُ وَ يَسْمَعُ أَنْتَ المُـــــــــعِدُ لِكُلِ مَا يَتَوَقَعُ(4)

---

(1) نفسه

(2) نفسه

* من الثغر الأعلى لسرقسطة ثم تحول ‘لى سبتة ثم إلى فس ثم استوطن مراكش . ينظر الديباج المذهب ص 62 . وينظر الإحاطـــة ج 1 ص 82

(3)" الديباج المذهب" ص 62. " الاحاطة "ج 1 ص 82. "الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي" ص 344

** هو أبو القاسم أبو زيد عبد الرحمان بن الخطيب.وتوفي بحضرة مراكش . الديباج المذهب ص 166. " الاستقصاء" ج 1 ص 190

(4) "المطرب من أشعار أهل المغرب" ص 234 . "الديباج المذهب" ص 166.

يَا مَنْ يَرْجَـــــــــى لِلْشَدَائِدِ كُلُهَا يَا مَنْ إِلَيْهِ المُشْـــــتَكِي وَالمُفْـــزِعُ
يَا مَنْ خَزَائِنُ مُـــــلْكَهُ فِي قَوْلِ كُنْ آمَـــــــنْتُ فَإِن الخَيْرَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ
مَالِي سِوَى فَقْرِي إِلَيْكَ وَسِـــــيلَة فَبِافْتِـــــــــقَارُ إِلَيْـــكَ فَقْرِي أَدْفَعُ
مَالِي ســـــوَى قَرْعِي لِبَـــابِكَ حِيلَة فَلَئِـــــنْ رَدَدْتُ فَأَيَ بَـــابٍ أَقْرَعُ(1)

ز.فكرتا الشباب و الشيب:

إن البكاء على الشباب والفزع من الشيب عند الشعراء المغاربة شغل حيزا ليس بالهين و هذا الإحساس هو طبيعي عند البشرية جمعاء وقد صار معها عبر العصور وعبر عنه شعراء كل عصر حين يبدؤون كلامهم بالعجز وقلة الحيلة ويتمنون أكثر من ذلـك أي الخـروج مـن عبودية الكبر وأن يعود لهم زمن الشباب وهيهات أن يعود ذلك العمر. وقد قـال الحجـاج بـن يوسف الثقفي "الشيب نذير الآخرة" ولكن الشاعر المسلم وجب عليه التسليم لحقيقة الأمر وأنه لا رجعة في الزمن الماضي.

وهذا الشاعر **عيسى بن مسكين بن منصور بن جريح بن محمـــد الإفريقـــي (ت 295)*** يقول:

لَمَا كَـــــــــبِرْتُ أَتَتْنِي كُلُ دَاهِيَةٍ وَكُلُ مَا كَـــــــــانَ مِنِي زَائِد نقْصَا

أُصَافِحُ الأَرْضَ إِنْ رَمَتْ القِيَامَ وَإِنْ مَشَـــيْتُ تَصْحَبُنِي ذَاتَ اليَمِينِ عَصَا(2)

إن الدواهي التي تلحق بالإنسان هي لا تشك مرتبطة بضعفه أو سقمه و ان الكبر لا محالـــة جالب الضعف الذي تمثل في مصافحة الأرض عند القيام والاتكاء على العصا وحملهـــا أثنـــاء المشي. ويتحسر **عيسى بن مسكين** في نص آخر عن ساقه التي أصابها السقم وقد كان يمشـــي بها إلى أماكن العلم ، فما عليه الآن سوى القعود والبقاء منفردا وحيدا:

أَصَـــــــابَ الدَهْرُ مِني عَظْمَ سَاقِ بِهِ قَدْ كُـــــــــــنْتُ مَشَاءٍ جَلِبدَا
إِلَى الفُـــــــقَهَاءِ أَنقُلُهَا وَأَطْـوِي بِهَا لِلْـــــــــــحَاجَةِ البَلَدِ البَعِيدَا
إِذَا رِجْـــــــــلُ الفَتَى يَوْمًا أُصِيبَتْ وَطَـــــــــــالَ سقَامهُ أَلْفَ القُعُودَ
وَصَـــــــــــارَ لِبَيْتِهِ جَلِسًا وَأَمْسَى مِنْ الإِخْـــــــــوَانِ مُنْفَرِدَا وَحِيدَا(3)

(1)" نفسه

* من تلاميذ سبحنون انتقل عبر الشام و الأردن و توفي سنة 295 هـ .ينظر " المغرب العربي تاريخه و ثقافته "ص 114. وينظر الأدب العربي في المغرب العربي" ص 237.

(2) العربي دحو ." الأدب العربي في المغرب العربي "ص 237.

(3) نفســـه ص 238.

وهو ككل الشعراء المسلمين يتقبل الوضع والانصياع للقضاء والقدر شأنه في ذلك شأن **بكـــر بن حماد** حين امتد به الزمن وعجز عن التصرف في أموره فأنشد يرثي نفسه:

أَحْـــبُو إِلَى المَوْتِ كَمَا يَحْبُو الجَمَلُ قَدْ جَـــــــاءَ مَا لَيْسَ لِي فِيهِ حِيَلُ (1)

إن الموت لا بد مدرك الإنسان فلا حيلة معه وهذه الحتمية ستأتي بعد حالة الكبر–لا محالة– الذي يدل عليه حبو الإنسان بعد ما كان جلدا قويا.

وهذا **أبو العرب أحمد بن محمد بن تميم*** وقد ضعفت حيلته وما عليه إلا الشكوى إلـــى الله وتسليم نفسه إليه بعد أن فقد الشباب:

ضَـــــعُفَتْ حِيلَتِي وَقُلْ اِصْطِبَارِي وَإِلَى اللهِ أَشْـــــــــتَكِي كُلَ مَا بِي
وَهَنَ العَـــــظْمُ بَعْدَ أَنْ كَانَ صَلْبًا وَفَقَـــــــــدْتُ الشَبَابِ أَيُ شَبَابِ(2)

وهذا **أحمد بن أبي سليمان** وقد خلى بنفسه و أيقن أن زمن الشباب قـــد مضـــى فتأمـــل واعتبر ورأى أن المشيب يأتي للإنسان بالرؤية الصحيحة للحياة الدنيا وحقيقة وجـــوده فيـــزداد تقوى لخالقه ،وتراه يصحب كتب العلم ويعكف على المساجد، ويصير لحياته معنى. وقد أوعـــاه

ذلك كله ما أضاعه من زمن في غير منفعة ، فسيستدرك الزمن الباقي ويضعه تحت تصرفه حتى لا يغدر به.

ولَمَـــــــــا نَحَا عُمْرِي ثَمَانِينَ حُجَةً ... وَأَيْقَنْتُ أَنِـــــي قَدْ قَرَبْتُ مِنَ المَدَى
تَرَكْـــــــــــتُ تَكَالِيفَ الحَيَاةِ لأَهْلِهَا ... وَجَانَبـــــــْتُهَا طُوعًا جَانِبَي الرَدَى
أَرَانِي بِـــحَمْدِ اللهِ فِـــــي المَـــالِ زَاهِدًا ... وَفِي شَـــرَفِ الدُنْيَـــا وَ فِي العِزِ أَزْهَدَ
فَخَلَـــــــــيْتُ مِنْ دُنْيَـــــايَ إِلاَ ثَلاَثَـــةً ... دَفَاتِرَ مِنْ عِـــــــلْمٍ وَ بَيْتًا وَ مَسْجِدَا(3)

وهذا **أبو عقال بن غلبون** يقول:

لاَحَ المَشـــــــيبُ بِلَهْتِي فَنَـــعَانِي ... وَنَفَى الـــــصِبَا عَنِي وَذَمَ عِنَانِي
وَنَأَتْ خُطُـــوبَ الحَادِثَاتِ بِأُسْرَتِي ... فَبَقِيـــــــــتُ مُنْفَرِدًا مِنَ الأَقْرَانِ(4)

(1) رمضان شاوش." الدر الوقاد" ص 91.

*أبو العرب أحمد بن تميم صاحب كتاب" طبقات علماء افريقية". ينظر" رياض النفوس" 306.

(2) المالكي "رياض النفوس" ص 312.

(3) القاضي عياض ."ترتيب المدارك "ج 3 ص 244. الدباغ" معالم الإيمان"ج 1 ص 207. المالكي "رياض النفوس "ج 1 ص 507.

(4) المالكي " رياض النفوس" ج 1 ص 539.

إن الشاعر مستعد لقبول واقعه فقد أدركه الشيب وهو نذير بلا شك بالتقدم في السن وسيذهب الخلان والأهلون والأقران واحدا تلو الآخر فيصارع ما بقي له من الزمن منفردا فتتوضح طريقه حينها . ويضيف قائلا:

فَلَـــئِنْ مَضَى صَدْرُ الزَمَانِ بِصَفْوِهِ ... فَلأَخْـــــــــدِمَنَ لِسَيِدِي المَنَانِ(1)

فهو قد استسلم في الأخير إلى ذلك الإيمان الذي ثبت في قلبه باعتباره مسلم.

ويقول **الصواف** في هذه الأبيات وقد ذهب عكس ما ذهب إليه عيسى بن مسكين حين رحب بالشيب:

دُعِيتَ مُـــعَلِمًا إِذَا صِرْتَ شَيْخًا ... وَأَيَام الشَـــــبِيبَةِ كُنْتَ بُـــورَا
لَئِنْ كَانَ المَشـــــيبُ أَتَى نَذِيرًا ... فَإِنِي ســـــوْفَ أَدْعُوهُ بَشِيـــرَا
فَأَهْلاً بِالمَشِيـــــــــبِ لَنَا لِبَاسًا ... وَقَـــــــارًا نَسْـــــتَزِيدُهُ وَقُورَا
وَجِـــزْتَ تِسْعَةَ وَسَبْعِينَ عَامًا ... وَقَدْ ضَـــــمِنْتَ أَصْحَابِي القُبُورَا(2)

إنه يرحب بالشيب وقد رأى فيه السعادة التي كان يطلبها في شبابه ولم يجدها " كنت بـــورا" لأن الشيب قد ألبسه الحكمة والوقار والاحترام " فأهلا بالمشيب لنا لباسا" ويرجع هذا الاستسلام

للزمن الذي أوقع عليه الشيب لثقافته الدينية وتمسكه بدينه فلا تفسر هذا الترحيب بالشيب على أنه ضعف وقلة حيلة جعلاه يزهد هذه الحياة فالصواف كان ثقة صالحا عاقلا كريم الأخلاق برا بمن يأتيه وهو القائل" أزهد الناس في الدنيا من لم يرضى منها إلا بأخذ الحلال وإن رآه الناس متكئا عليها"(3) .

(1) المالكي ."رياض النفوس" ج 1 ص 539.

(2)القاضي عياض" ترتيب المدارك"ج 3 ص 244. رابح بونار"المغرب العربي تاريخه و ثقافته" ص 112، 113 .الدباغ "معالم الايمان" ج 1 ص 211.

(3) الدباغ." معالم الإيمان "ج 1 ص 207.

ح .فكرة القناعة:

كنا صغارا ونسمع تلك الأمثال والحكم التي تطرب لها الآذان ولا تعيها القلوب إلا بعد جهد. كنا نسمع تلك الحكمة القائلة " القناعة كنز لا يفنى". وحتى يدرك الإنسان ذلك لا بد أن يحارب كل وساوس الشيطان التي تدله على الحرص والطمع وتعده الغنى من الفقر وتسير لغايتها بوسائل المرض والعجز والذل وأنه هو في غفلة وهو لا يدري. لكن الإنسان المسلم وقد تيقن أن الله هو الرزاق " ومن يتقي الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب"(1) وأن رزقه سوف يأتيه كما كتب له ذلك " وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها"(2) . فقد حارب تلك الوساوس ليفوز بكنز القناعة التي تبقيه سعيدا في الدنيا والآخرة ذلك هو الدرب الذي طرقه شعراء الزهد المغاربة وعبروا عنه بعد أن تيقنته أنفسهم.

وهذا **أبو حفص عمر بن خلف بن مكي(-؟)***ينصح كل من حرص بأنه لا يعيش سوى في بؤس وعناء ويتعب نفسه في هذا الحرص وأن الله قد قسم الأرزاق فما عليه سوى القناعة:

يَا حَرِيصًا قَطْعَ الأَيَامِ بُؤْسَ وَعَيْشٌ وَعَنَاءٌ وَتَعَبِ
لَيْسَ يَعْدُوكَ مِنَ الرِزْقِ الذِي قَسَمَ اللهُ فَأَجْمِلَ فِي الطَلَبِ(3)

وهذا **حماد بن علي الملقب بالبين(-؟)****يقول:

اِقْتَنِعْ وَاقْنَعِ بِرِزْقِ اللهِ تَنَالَهُ بِلُطْفٍ لَعَلَ اليُسْرَ يَذْهِبُ العُسْرِ

وَأَطْــرِقِ إِطْرَاقِ البِغَاثِ لَدَى الصَقْرِ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ إِذْ ذَلَـــــكَ مِنْهُ عَلَى ذِكْرِ(4)

إنه حثٌ على القناعة فلعل الله يفرج ما كان للإنسان من شدة . ولينظر هذا الإنسان في خلق الله الضعيف وكيف أوجد الله له رزقه وجعل له الأسباب لذلك.

وهذا **بن جبير (ت 614هـ)** يحذر من الوساوس التي تترك الإنسان يجري وراء الدنيا التي جعلهـا هنا "الملبس" الذي يؤدي بالإنسان إلى الكبر ويحثه على التواضع فهو الذي يرفعه وليس الملبس:

---

(1) الآية 2 سورة الطلاق

(2) الآية 6 سورة هود

** انتقل إلى تونس و ولي قضائها و هو فقيه محدث .الخريدة ج 2 ص 389.

(3) نفسه

*** ذكره صاحب الخريدة في باب جماعة من أهل المغرب الأوسط في عهد بني حماد ج 2 ص 429

(4) " الخريدة "ج 2 ص 429.

إِيَاكَ وَالشُـــــــهْرَةَ فِي مَلْـــبَسِ وَالْبِسْ مِنَ الأَثْـــــــوَابِ أَسْمَالَهَا

تَـــــــــوَاضَعَ الإِنْسَانَ فِي نَفْسِهِ أَشْرَفُ لِلْنَفْسِ وَأَسْمَـــــــى لَهَا(1)

ويقول كذلك إن الكد لا ينال صاحبه الرزق مالم يكتبه الله له:

وَمَا يَحْـــــرُمُ الإِنْسَانَ رِزْقًا لِعَجْزِهِ كَمَا لاَ يَنَالُ الرِزْقَ يَـــــــوْمًا لِكَدِهِ

حُظُـــــوظُ الفَتَى مِنْ شَقْوَةٍ وَسَعَادَةٍ جَرَتَ بِقَضَـــــــــاءٍ لاَ سَبِيلَ لِرَدِهِ(2)

وهذا **أبو عقال بن غلبون** وقد قنع ورضي بأقل ما يكفي الإنسان من القوت وهي لا شك من أكـــبر القناعات ولكنه في ظل ذلك كان توكله واعتماده على الله عظيمين:

رَضِيتُ بِدُونِ الكِفَايَـــــــةِ قُوتًا وَبِاللهِ عَنِ كُـــــلِ خَلْقِ عِمَـــــادَا(3)

وهذا **الصواف (ت 291هـ)** يتكلم عن نفسه ، وقد قنع من هذه الدنيا بعد أن تـــدبر أمرهـــا وعرف خداعها بشتى أساليبها:

أَرَانِي بِحَـــــمْدِ اللهِ فِي المَالِ زَاهِدًا وَفِي شَـــرَفِ الدُنْيَا وَفِي العِزِ أَزْهَـــدَا(4)

وهذا **أبو بكر بن مجبر (-588هـ)*** يمقت الذي يحرص على الدنيا وتنعدم قناعته فينسى ما عنده ويتلهف على ما في أيدي الناس حسدا وطمعا:

أَلاَ مقت الله سَعَـــــــي الحَرِيص فَمَـــــــــا جَازَهُ الذَمُ إِلاَ إِلَيْـــهِ

يُســـــــــرُ بِمَا فِي يَدَي غَيْرِهِ وَيَنْسَى السُرُورُ بِمـــــا فِي يَدَيْـــهِ(5)

وهذا **بن عربي (-638)** ** يقول:

لاَ تَحْسَـــــــــــبَنَ المَالَ مَا تَرَاه ... مِنْ عَسْـــــــــــجَدٍ مُشْرِقٍ لِرَاءِ
بَلْ هُوَ مَا كُـــــــــــنْتَ يَا بُنَيَ ... بِهِ غَنِـــــــــــيًا عَنِ السوَاءِ
فَكُنْ بِرَبِ العُـــــــــــلاَ غَنِيَا ... وَعَامِلُ الخَـــــــــــلْقِ بِالوَفَاءِ(6)

---

(1)"نفح الطيب" المجلد 2 ص 485-490.

(2) نفســـــه ص 485-490.

(3) المالكي "رياض النفوس "ج 1 ص 539-541.

(4) نفسه ص 507.

* من شعراء الأمير يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن المتوفى بمراكش ينظر "نفح الطيب"المجلد 3 ص 237

(5) الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث.(قسم الدواوين الشعرية)

** هو محمد بن علي الطائي بن عربي الصوفي من إشبيلية وأصله من سبتة . ينظر "عنوان الدراية " ص 158

(6) "نفح الطيب " المجلد 2 ص 184

الفصل الثالث

1. هواجس خالجت شعراء الزهد:

أ. الغفلة

ب. الخوف من كثرة الذنوب

ج. الدعوة للتزود بالتقوى و الشكوى من قلة الزاد

د. الصبر على الملذات

هـ. الحث على العلم

2. مصادر المعجم الشعري

أ. القرآن الكريم

ب. التراث العربي القديم

3. التشكيل الفني في شعر الزهد

أ. اللغة و الأسلوب.

ب. الصورة

ج الموسيقى الشعرية

هواجس خالجت شعراء الزهد:

إن الشعراء المغاربة أكثروا من شعر الزهد وما ذاك إلا تمسكا منهم وثيقا بقيم دينهم وارتباطهم به ارتباطا صحيحا. وقد رأيت في هذا الشعر بالإضافة إلى الأفكار التي أوردتها أن هناك مواضيع أخرى تمثلت في غفلة الإنسان والصبر على الملذات والدعوى للتزود بالتقوى والحث على العلم والخوف من كثرة الذنوب ،وقد يرى غيري مواضيع أخرى أو يجدها في أشعار لم أستطع حيازتها في هذا البحث:

1-الغفلة:

يلوم شعراء الزهد أنفسهم وغيرهم بكثرة وينسبون ذلك للسذاجة التي جعلتهم يغفلون أمور توضحت لهم فيما بعد، وكانوا فيها غير مبالين.

فهذا **أمية أبو الصلت (ت 529 هـ)** وقد استفاق من غفلته يقول:

حَسْبِي فَكَمْ بَعُدَتْ فِي اللهِ أَشْوَاطِي وَطَالَ فِي الغَيْ إِسْرَافِي وَإِفْرَاطِي
أَنْفَقْتُ فِي الهَوَ عُمْرِي غَيْرَ مُزْدَجِرٍ وَجَدْتُ فِيهِ فوفري غَيْرَ مُحْتَاطِ(1)

أدرك أمية أن الزمن قد غدره وهذا الزمن هو العمر الذي مضى فقد قطع أشواطا في غير تقوى الإله بل أنفق ذلك الزمن في لهو ولم يجد من يزجره على ذلك.

و هذا **الأمير بن عبد المؤمن** يقول:

يَا غَافِلاً عَنْ ذِكْرِ مَوْلاَه وَذَاهِلاً عَنْ شُكْرِ مَولاَه
وَرَاتِعًا فِي غَيِهِ لاَهِيًا قَدْ كَحُلَتْ بِالنَوْمِ عَيْنَاه
كَمْ تَصْحَبُ الغَفْلَةَ عَنْ ذِكْرِهِ وَكَمْ يُرَاعِيكَ وَ تَنْسَاه
يَا عَجَبًا تُكْثِرُ عِصْيَانَهُ وَتَدَعِي أَنكَ تَخْشَاه(2)

ينادي الشاعر كل عاقل محذرا له من غفلته وقد " رتع" في الظلام وكأنه دابة لا يعقل وتصاحبه الغفلة ، ويدعي هذا الغافل أنه يخشى ربه وهو على عكس ذلك حين يعصيه وينام ملئ عينيه وما على هذا الإنسان إلا إيقاظ نفسه من غفلتها ويتوب إلى مولاه:

فُعدْ عَنْ ذِكْرِ الصِبَا جَانِبًا وارج الذِي تَأَمَل رُحْمَاه(3)

(1) محمد المرزوقي "ديوان أتبي الصلت أمية بن عبد العزيز" .وينظر " الجريدة "ج 2 ص 456.
(2) الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث.(قسم الدواوين الشعرية)
(3) نفسه.

ب- الخوف من كثرة الذنوب:

إن هذا العنصر لهو دافع كبير لهؤلاء الشعراء لإطلاق ما جادت به قرائحهم، والتعبير عن ذلك بصدق زاهدين في هذه الحياة ، ونذكر من هؤلاء بعض من وجدناه .

فهذا **أبو حفص عمر بن حسن ابن السطبرق*** يقول:

سَيَـــــــلْقَى العَبْدَ مَا كَسَبَتْ يَدَاه وَيَـــــقْرَأُ فِي الصَحِيفَةِ مَا جَنَاه
وَيَسْـــــــــأَل عَن ذُنُوبٍ سَالِفَاتٍ فَيَبْـــــــقَى حَائِرًا فِيمَا دَهَـــــاه(1)

يحذرالشاعر من اقتراف المعاص والبطش بغير حق، فكل قد وثق عند الله وستحسب هذه الذنوب ويتعجب هذا الإنسان يومها .وقد كان خوف الزهاد من ارتكاب الذنوب خوفا كبيرا

فهذا **الأمير بن عبد المؤمن (ت 604هـ)** يقول وقد تذكر يوم الحشر وأنـــى لـــه أن يتخلص يومها من ذنوبه التي صاحبته:

وَأُذْكُـــرْ يَوْمَ الحَشْرِ إِنْ جِئْتَهُ غَدَا وَذَنْبِي مَعِي وَالذَنْبُ أَخْبَثُ صَاحِبِ(2)

إن تذكر يوم الحشر يجعل صاحبه يرتجف من معاصيه التي ارتكبها في حياته.

وهذا **علي بن القاسم بن عشرة (-597)** يقول:

إِلَى كـــــتم ذَا التَمَادِي فِي المَعَاصِي أما تخشى هيلت مِنَ القِصَاصِ
ذُنُـــــــــوبُكَ كُلَ يَوْمٍ فِي ازْدِيَادِ تُسَـــرُ بِهَا وَعُمْرُكَ فِي انْتِقَاصِ(3)

إن ذنوب الإنسان تتزايد مقابل كل عمل يعمله في غير عبادة الله ، ومقابل ذلك أيام عمره في تضائل فهي عملية عكسية وهذا ما دلت عليه عبارة " في ازدياد" و هذا خـــداع مـــن الزمن للإنسان مرة أخرى.

ج). الدعوى للتزوّد بالتقوى والشكوى من قلّة الزاد:

إنها الغاية لكل إنسان عل وعسى أن يظفر بفوز يوم الحشر وهذا ما دعى إليه شعراء الزهد المغاربة فنجد **أبو الفضل جعفر بن شرف(-هـ 534)** يقول وهو يظن أن زاده الذي أعده ليوم القيامة قليل. لكنه يفرج عن نفسه غمها حين يذكر أنه نزيل كريـــم وســـيرحمه ويعفو عنه.

---

*ذكره الأصبهاني في(قسم شعراء المغرب) .ينظر " الخريدة "ج 2 ص 389

(1) نفسه

(2) الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث.(قسم الدواوين الشعرية)

(3) نفســـه.

رَحَلْتُ وكُنْـــــــتُ مَا أَعْدَدْتُ زَاد وَمَا قَصَـــــــرْتُ عَنْ زَادِ المُـقِيمِ
فَهَا أَنَا قَدْ رَحَـــــــلْتُ بِغَيْرِ شَيْءٍ ولَكِـــــــــنْ نَزَلْتُ عَلَى كَرِيمِ(1)

لقد تكلم شعراء الزهد المغاربة عن الزاد وحذروا من قلته مقابل تلك الذنوب الكثيرة وكيـــف يكون حال صاحبه أمام الله تعالى.

يقول **أبو الصلت أمية بن عبد العزيز :**

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ أَلْقَاهُ عِنْـــدَهَا وَزَادِي قَلِـــــــــيل وَالذُّنُوبُ كَثِير(2)

ويلاحظ أن لفظة "زاد" في العادة تطلق على ما يحمله المسافر من أكل يتزود به علـــى مشـــقة الطريق أو على شق السفر وقد وضعها الشعراء في قصائدهم وكأنها شيء محسوس لعالم مجرد يكمن في العمل الصالح الذي يأخذه معه كل إنسان.

وهاهو **بكرين حماد** يوضح هذه الصورة في قول ناصحا نفسه:

فَيَا بَكْـرُ بْـنُ حَمَاد تَعْـــجَبْ لِقَومٍ سَافَرُوا مِنْ غَـــــــيْرِ زَادِ (3)

وقال أيضا:

زُرْنَـــا مَنَازِلَ قَوْمٍ لاَ يَزُورُونَـــا إِنَا لَفِي غَـــــــــفْلَةٍ مِمَا يُقَاسُونَا
لَوْ يَنْطِقُون لَقَالُوا : الزَادُ وَيَحْكُمُ جد الرَحِيل فَمَـــا يَرْجُو المُـــلاَقُونَا(4)

د). الصبر على الملذات:

إن الصبر هو الأصل في الزهد ، فالزاهد عندما يصبر إنما يحارب نفسه وهواها وشيطانها ويحارب مغريات الدنيا وملذاتها وشهواتها ولقد عبر عنه هؤلاء الشعراء في قصائدهم . فنجد **محي الدين بن عربي (ت 638)** يدعوا إلى الصبر على العبادة حين يغفل الناس وينياموا:

مَا فَازَ بِالتَـــــــــــوبَةِ إِلاَ الذِي قَدْ تَابَ قُـــــــــدُمًا وَالوَرَى نَوْم
فَمَـــــــــــنْ يَتُبْ أَدْرَكَ مَطْلُوبَهُ مِنْ تَوْبَـــــــــةِ النَاسِ وَلاَ يَعْلَم(5)

وهذا **أبو بكر محمد بن محرز الزهري البلنسي*** **(-655)** يقول حين يسقط الابتلاء على العبد فما عليه سوى التحلي بسمة الصبر، حتى يأتي الفرج المنتظر.

(1)" الخريدة" ج 2 ص 601.
(2)" محمد المرزوقي "ديوان أبي الصلت أمية "ص 87 .نفح الطيب" المجلد 2 ص 107
(3) العربي دحو."الأدب العربي في المغرب العربي" ص 185.
(4) الدباغ ."معالم الإيمان "ج 2 ص 282.
(5)" نفح الطيب" المجلد 2 ص 174.
* هو محمد بن أحمد بن عبد الرحمن أبو بكر الزهري البلنسي كان في مراكش ثم صدر إلى بلنسية ".ينظر"تحفة القادم " ص 252

اشـــــــــــكر لربك وانتظـــر في إثر عســـــــر الأمـــــر يسرا
واصـــــــبر لربـــــــك وادخر في ســـــــتر ضـــر الفقر أجرا(1)

وكما يكون الصبر على الفقر يكون الصبر كذلك على ألم المرض فهذا **حمديس القطان** (ت 289) * وقد اعتل في آخر حياته يقول لمن أراد أن يكون سببا في شفائه:

بيـــد اللـــــــــــه دوائـــــــي هو الـــــــــــذي يعلم دائـــــي(2)
إنمـــــا أظلـــم نـــــفســـــي بإتبـــــــاعي لـــــهوائـــــــي
كلـــــــما داويـــت دائـــــي غـــــــلب الـــــداء دوائي

وقد يكون الصبر على الشهوات هو من أكبر أنواع الصبر فهذا **القاضي أبي حفص ابـــــن عمر الأغماتي (-604)** يقول محذرا:

علـــــــــــيك يا غافـــــلا فانظر وعيـــــــــــنيك غمضهما تبـــصر
إذا أرســـــــــل الطرف هام الفؤاد وبعـــــــض المرائي عمى المبـــصر
وآفـــــــــــــة قلب الفتى عينه فإن ترع قلبـــــــــــــك لا تنظر(3)

وهذا **أبو الأحوص أحمد بن عبد الله (ت 284)** ** يحدثنا عن صبر آخر وهو الصـــبر على العبادات يقول :

أبـــــوا أن يرقـــــــــــــدوا الليل فـــــــــهم لـــــله قـــــــــوام
أبـــــوا أن يفطـــــــــــــروا الدهر فـــــــــهم للـــــه صـــــــــوام
أبـــــوا أن يخدمـــــــــــــوا الدنيا فـــــــــهم للـــــه خـــــــدام(4)

يمدح أبو الأحوص من اتخذ العكوف على العبادة منأى له عن مغريـــات الحيـــاة الـــدنيا ، ويصور لنا ذلك في عنصرين للعبادة هما الصلاة والصوم وهذين العنصرين يؤديان إلى عنصر ثالث وهو الابتعاد عن ملذات وشهوات الدنيا .

(1) "تفح الطيب "المجلد 4 ص 339.
* هو أحمد بن محمد الأشعري عاصر بن الأغلب. .ينظر العربي دحو " الأدب العربي في المغرب العربي "ص 239
(2) الدباغ "معالم الإيمان "ج 1 ص 205.
(3) عبد الله " النبوغ المغربي" ج 3 ص 134.
** هو صاحب سحنون وسكن سوسة. ينظر العربي دحو ."الأدب العربي في المغرب العربي".ص 240
(4) المالكي." رياض النفوس" ج 1 ص 528. العربي دحو . "الأدب العربي في المغرب العربي".ص 240

إن قيام الليل يلزمه صبر عظيم لا بد أن يكون صاحبه زهد كل ما يؤدي إلى دنيا زائلة .

وفي هذا يقول **أبو عقال ابن غلبون** :

وَنَاشِئَة اللَّـــــــــــيْلَ البَهِيمَ يقومها رِجَالُ أَضَـــــاعَتْ فَرْشَهَا وَحِجَالُهَا (1)

ويقول في من اجتهد للطاعة وداوم عليها:

قَرِينُ الحُـــــــــزْنِ ذُو هَمٍ يَجُـــول أَخُو سَـــهْرٍ إِذَا نَامَ الغَفُـــــــولْ

دَؤُومُ الكَـــــــــــدِ أَوَاهُ إِذَا مَـــــا تَذْكُرْ مَا تُوعِـــــــــــدُهُ الجَلِيلْ(2)

هـــ. الحث على العلم:

لا بد أن يكون الحث على العلم هو طريق كل من علم سرائر هذه الحياة الدنيا يقول فـــــي ذلك **علي الحصري القيرواني (ت 488)** :

ورح واغد للـــــــعلم دأبا ترث به العـــــز والنسب الأبركا

فَمَا الكَـــــــــنْزُ إِلَا هُدَى عَـــالِم وَلَا الفَـــــــقْرُ إِلَا غِنَى أنوكا(3)

هذه إحدى نصائح علي الحصري لقراء شعره. هو يدعو للالتزام بـــالعلم لأن صـــاحبه يرث به العز والنسب فهو الكنز الذي لا بد أن يظفر به الإنسان، وغير ذلك هو الفقر عينه.

وفي العلم يقول **أحمد بن أبي سليمان** " يا طالب العلم إذا طلبت العلم فاتخذ له قبـــل طلبـــه أدبا تستعين به على حمله و من دأب العلم الحلم، والحلم كظم الغيظ وأن يغلب حلمك علمك هواك إذا دعاك إلى يشينك".(4)

وهذا إمام الدولة الرستمية **أفلح بن عبد الوهاب** *(ت 258هـــ) يقول:

العِلْمُ أَبْقَى لِأَهـــــــْـــلِ العِلْمِ آثَارُ يُرِيـــــــكَ أَشْخَاصُهُمْ زَوْجَا وَأَبْكَارَا

حَيُ وَ إِنْ مَاتَ ذُو عِلْمٍ وَذُو وَرَعٍ مَا مَاتَ عَـــبْدٌ قَضَى مِنْ ذَاكَ أَوْطَارَا

وَذُو حَيَاةٍ عَلَى جَهْلٍ وَ منـــــقصة كَمَيْتٍ قَدْ ثَوَى فِي الرَمْـــسِ أَعْصَارَا(5)

---

(1) المالكي "رياض النفوس" ج 1 ص 539.

(2) نفســــــه.

(3) الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث.

(4) القاضي عياض" تراجم أغلبية " ص 276.

* هوأحد أئمة الدولة الرستمية يشهد له بالعدل و التقوى بنظر العربي دحو الشعر المغربي ص 207 و ينظر ابن صغير في" أخبار الأئمة الرستميين القرن الثالث الهجري". تحقيق و تعليق محمد ابراهيم بحار. دار الغرب الاسلامي. بيروت ، لبنان 1986 ص 57.69.

(5) العربي دحو ."الشعر المغربي في الأدب العربي " ص 207. بحاز إبراهيم " الدولة الرستمية" ط 1 1985 ص 360.

و لكنه يذم من كان يرائي بهذا العلم أو تلك العبادة أو يجعلها في دنيا يصيبها حين يقول:

تَعْسًا لِكُلِ مَرَاءٍ غَيْـــــــرَ مُقْتَصِدْ وَقَدْ تُقَلَّـــــــــــــــــدْ آثَامًا وَ أَوْزَارَا

لِيَصْـــــطَادَ بِالْعِلْمْ أَمْوَالَ العِبَادِ كَمَا يَصْـــــــــطَادَ مُقْتَنِصُ بِالْبَازِ أَطْيَارَا(1)

ويقول أيضا في تفضيل أهل العلم على غيرهم وأنه لا بد أن يبحث عن العلم وأن تشد له الرحال.

لِلَهِ حلية أَهْلِ العِـــــــــلْمِ أَنْ لَهُمْ فَضْـــلًا عَلَى النَاسِ غِيَابًا وَحِضَارَا

العِلْمُ عِـــــــلْمٌ كَفَى بِالعِلْمِ مَكرمة وَالجَهْلُ جَـــــهْلٌ كَفَى بِالجَهْلِ إِدْبَارَا

أُشْدُدْ إِلَى اَلْـــــعِلْمِ رِحْلاً فَوْقَ رَاحِلَة وَجُلِ إِلَى الـــعِلْمِ فِي الآفَـــاقِ أَسْفَارَا(2)

وهذا **بن عمر الأغماتي (-604هـ)** يخبرنا عن فضل العلم وأنه هو طريق التقوى.

العِلْمُ يَكْسُو الحِلَلَ الفَـــــاخِـــرَة وَالـــــــعِلْمُ يُحْيِي الأَعْظم النَاخِرَة

كَمْ ذَنْـــــــــــب أَصْبَحَ رَأْسًا بِهِ وَمُـــــــــــــذْنِبٌ أَبْحَرَ زَاخِرًا

مَا شَـــــــــرَفُ النِسْبَةِ إِلاَ اِلْتَقَى أَيْـــــــــنَ تَهْتَمُ الأَنْفُسُ الفَاخِرَة(3)

فهذا الذي كان لا يكاد يبين أصبح بالعلم رأسا في قومه وكم من مذنب رده علمه إلى الصواب.

وقال **أبو عبد الله الحميدي * (-488هـ)**

مَنْ لَمْ يَكُنْ العِلْم عِنْـــــــدَ فَنَائِهِ أَرِجٌ فَـــــــــــإِنَ بَقَاءَهُ كَفَنَائِهِ

بِالْعِـــــلْمِ يَحْيَى المَرْء طُولَ حَيَاتِهِ فَإِذَا انْـــــــقَضَى أَحْيَاهُ حَسَنَ ثَنَائِهِ(4)

فالإنسان الذي لا علم له سواء بقي حيا أو مات فذاك سيان.وكل علم نافع سيبقى صـــاحبه حي يذكر به. وفي هذا المجال يقول **أبو سعيد سحنون****: " مثل العلم القليل في الرجل الصالح مثل العين العذبة في الأرض العذبة يزرع عليها صاحبها ما ينتفع به ومثل العلـــم الكـــثير فـــي الرجل الطالح مثل العين الخرارة في السبخة تهر في الليل والنهار ولا ينتفع بها"

(1) نفســـه.

(2) رابح بونار " المغرب العربي تاريخه و ثقافته" ص 111.

(3) عبد الله كنون "النبوغ المغربي" ج 3 ص 134.

* صاحب جذوة المقتبس.سمع بمكة وبإفريقية وبالأندلس و بمصر والشام والعراق .ينظر "وفيات الأعيان "ج 4 ص 282.

(4) نفح الطيب المجلد 4 ص 332.

** هو عبد السلام سحنون بن سعيد التنوخي المتوفى 240هـ. ينظر" المغرب العربي تاريخه وثقافته ".ص 73

2.مصادر المعجم الشعري :

إن هذه المواضيع التي سقناها في هذا البحث والخاصة بشعر الزهد والـــتي طرقهـــا الشعراء المغاربة قد تكون غايتها واحدة وكلها سبل لذم الزمن الذي هو الرابط بينها ، وقد تتقاطع هذه الموضوعات أو الهواجس عند الشاعر الواحد بل وفي القصيدة الواحدة بل أكثر من ذلك في البيت الواحد ، وكل الهواجس انسجمت في لغة بسيطة انبثقت من أسس اللغـــة العربية المعروفة كالمأثور الشعري الجاهلي والقرآن والسنة.

أ.القرآن الكريم :

نبدأ بالقرآن الكريم لأن شعر الزهد نابع من تأثر ديني لدى هؤلاء الشعراء ، فالقرآن الكريم هو المنبع الأساسي لأفكارهم ، فقد تناصت مع سور القرآن إما لفظا أو معنا لتشبعهم بالثقافة الإسلامية ولنأخذ نماذج عن ذلك ولنبدأ بالشاعر **بكر بن حماد** الذي استفاد من دون شك من الآية الكريمة من سورة البقرة " فإن خير الزاد التقوى "(1) في قوله :

وَاللَه لَوْ رَدُوُا وَ لَـــــوْ نَطَـــقُوا إِذَا لَقَالُوا : اتَّقَى مِنْ أَفْضَلْ الزَاْد (2)

ومن الآية " وما الحياة الدنيا إلا لهو ولعب "(3) في قوله :

بَيْنَمَا نَرَى المَرْءُ فِي لَهْوٍ وَ فِي لَـــعْبٍ حَتَى نَـــــرَاهُ عَلَى نَعْشٍ وَ أَعْوَادٍ(4)

ومن الآية " إنه هو يبدئ و يعيد " (5) في قوله :

تَمُرُ اللَـــــــــيَالِي بِالنُفُوسْ سَرِيعَة وَيُبْدِي رَبِي خَـــــــــلْقَهُ وَيُـــعِيدْ (6)

ويلحظ تناص عند **أحمد بن أبي سليمان** في قوله :

ويـــــوما بالحوادث مستطـــــــيرا (7)

وقد سمع الصياح المستـــــــــطيرا (8)

و مع الآية : " يوفون بالنذر و يخافون يوما كان شره مستطيرا"(9)

(1) الآية 196 من سورة البقرة .
(2) رمضان شاوش.ص.75
(3) الآية 64 سورة العنكبوت
(4) .رمضان شاوش.ص 80
(5) الآية 13 من سورة البروج.
(6) رمضان شاوش.ص 74
(7) الرياض : ج 1 ص 510. العربي دحو" الأدب العربي في المغرب العربي" ، ، ص 253.
(8) نفســــــــه.
(9) الآية 7 من سورة الإنسان .

و قوله " و صار إلى التي ساءت مصيرا "(1) و" ساءت مصيرا " مع الآيتان 97 و 115 من سورة النساء و الآية 6 من سورة الفتح ، و كذا قوله : " تزفــــر فـــي تغيظها زفيرا" (2) مع الآية 12 من سورة الفرقان : " إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا و زفيرا "

و في قوله في أبياته الشهيرة التي زاوج فيها بين الرثاء والزهد .

فَلَـــــيْتَ الخَلَق إذا خُلِقُوا بَوَاقِي وَلَيْتَكَ لَمْ تَكُنْ يَا بَكْرُ شَيْئًا(3)

مع الآية 23 من سورة مريم : " يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا "

ولنكتفي بهذه النماذج ومن بحث في هذا المجال لا شك سيجد هذا التقاطع مع القرآن الكريم عام في شعر المغاربة هذا إن دل على شيء فهو يدل على أن هؤلاء الشعراء كانوا حـــــافظين للقرآن ، ومتفقهين فيه ،وحتى القارئ حين يقرأ هذه الأشعار يستنبط تلك الثقافة الدينية ولاشـــك أن مدونة الأستاذ الدكتور محمد مرتاض التي وسمها ب" شعر الفقهاء" في الخمســـية الهجريـــة الثانية " لدليل على أن هذا الصنف من الناس كان غالبا في جغرافية المغرب العربي .

لقد تأثر شعراؤنا تأثيرا كبيرا بالقرآن الكريم فأمدهم – خاصة الزهاد منهم– بذلك التصـــوير البديع للنفس البشرية ، وتلك القيم السامية التي توضحت لنا من خلال أشعارهم الخالدة . والـــتي اتسمت بالحكمة والسداد.

ب.التراث العربي القديم :

إنه بذرة أساس استعان بها الشعراء في العصر الإسلامي ، كما كان كذلك شعراء الإسلام في المغرب ، فقد كان لهم اطلاع كبير على الموروث العربي من تلك المدارس الـــتي أسســـت لتعليم اللغة والدين فكان إعجابهم بالشعراء الجاهلين واعتبارهم مثلا أعلى يقتدى به ، فهذا أحمد بن أبي سلمان داود الصواف يتقاطع مع زهير بن أبي سلمى في قوله :

سَئِمَتْ تَكَالِيفْ الحَيَاةْ وَمَنْ يَعِـــــــشْ ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَا لَكَ يَسْـــأَم (4)

حِينَ يَقُولُ: تَرَكْتُ تَكَالِيفَ الحَـــــــيَاةِ لِأَهْلِهَا وَجَانَبْتُهَا طَوْعَا مُجَانَبَتِي الرَدَى(5)

(1) العربي دحو." الأدب العربي في المغرب العربي ". ص 254.
(2) نفســـه.
(3) رمضان شاوش ." الدر الوقاد .لبكر بن حماد" ص 87.
(4) الأصفهاني . "الأغاني" ج 14 ص 213.
(5) العربي دحو .المرجع السابق ص 251.

و حين يقول :

وَلَمَا مَحَا عُمْرِي ثَمَانِينَ حُـــــجَةً هَجَرَتْ تَكَالِيفُ الحَيَاةْ لَمَا فَجَا(1)

وهذا **أبو عقال بن غلبون** وقد أوضح هذا التقاطع والتأثر وهو يتأمل في الماضي وبعـــده الحاضر وخائفا من المستقبل في حركة انفعالية يوصلها إلى المتلقي في قالب زهدي محض ، في اتباعه لمنهج القدامى :

وَأَقْفَرَتْ الرُبْـــــــــعَ مِنْ أَهْـلِه وَأَبْقَـــيْتُ خلوف النَـــدَامَى فُرَادَى
وَشُتِتَتْ الشَـــــمْلَ بَعْدَ ائتِلَـــاف فَلَمْ تَبْـــــــــقَ لِلرَائِـــدِينَ ارْتِيَادَ
بَلَوْتُ الزَمَانَ وَ دُسْـــتُ البِـــلاَدَ وَنَافَسْـــــتُ فِي كُـــــل شَيءٍ عِنَادَا
شَرِبْتُ المـــدام وَسُسْتُ القِيَـــانَ وَرُضْتُ الجِـــــيَادَا وَرُعْتُ الشِدَادَا
وَصُـــعْلِكْتُ فِي البَرِ وَالبَحْرِ دَهْرَا أخلف أَهْلِي عَلِي حَـــــــــدَاد (2)

إلى أن يأتي التخلص من هذا التقديم و الماضي فسيرى إلى الحاضر و المستقبل معاقبا نفسه و معاتبا لها :

فَجَـــــــــلَى مِنَ القَلْبِ إِظْلَامِه وَأَنـــــــــور مَا كَانَ مِنْهُ سَوَادَا
فَأَلْزَمْـــــــتُ نَفْسِي مَدَى ضيرها وَخَالَفْتُـــــــهَا فِي هَوَاهَا عِنَادَا(3)

فتلك الحركـــة والنشـــاط الحيـــاتي لقطف اللذة (بلـــوت، شـــتتت الشمـــل وصـــعلكت ، نافســـت ،.....). شابهت تلك التي كانت عند القدامى حين يكون في موقع الفخر أو الغـــزل فهذا عنترة بن شداد العبسي يقول :

أَنَا فِي الـــــــحَرْبِ العَـــوَانَ غَـــــــــيْرَ مَجْهُولِ المَكَانْ
أَيْنَـــــــــمَا نَادَى المُنَادِي فِي دَجَى النَـــــــقْعِ يَرَانِـــي
وَحَـــــــسَامِي مَعَ قَنَاتِي لفعـــــــالي شَاهِـــــدَانْ
أَنَنِـــــــــي أَطْعَـــنُ خَفِيفِي وَهُـــــوَ يَقـــــــظَانَ الجِنَانِ (4)

(1) المرجع نفسه ص 251.
(2) المالكي "رياض النفوس" ج 1 ص 539.
(3) نفســه.
(4) ديوان عنترة ص 221.

3.التشكيل الفني في شعرالزهد :

إن هذه القصائد الشعرية يصعب علي أن أحدد جوانبها الفنية ، فهي تعبيرات لشعراء من أربع قرون ، فقد تتقارب وقد تتباعد الرؤى وماهي إلا خوالج سارت على ألسن هؤلاء الشعراء باختلاف مشاعرهم إما غاضب من واقعه أوسعيد بتقدمه في العــم متشــائم منــه وحزين لأمره أو متأمل في الوجود أو مسافر يرى أحوال هذه الدنيا فزهدها وإما خــائف من عاقبته . ومن هذه النظرة فقد رأيت أن أخذ أكثر من نمودج واحد للتحليل بحسب :

1. اللغة والأسلوب
2. الصورة
3. الموسيقى الشعرية

محاولا أن أوقع أغلب هذه المدونة على هذا النسق.

أ-اللغة والأسلوب:

إن شعر الزهد هو في الحقيقة تعبير عن موقف الإنسان من هذه الحياة أو مــن الوجود عموما . ومع اختلاف تلك المعاني التي تقع في ذهن هذا الانسان من قبول ورفض وإقبال وإدبار محاولا فهم ما يجري حوله وتفسير كل ظاهرة تفسيرا صحيحا . يلوم نفســه مرة على ما فرطت و ما أغفلت و يجهز عليها بالحرمان والمجاهدة ويلوم الزمن مــرات ويحمله الأعباء كلها ، كل تلك التساؤلات أخرجها الشاعر المغربي الزاهد في لغة بســيطة معبرة واضحة غير مــعقدة مفهومة هي لغة المحيط أو البيئة الاجتماعية التي يحياهــا وإن اتسمت ببعض الموروث إلا أنها ظلت واضحة ، سهلة الفهم سلسلة على اللسان يفهمها الجميع كيفما كانت موضوعاتها فهي كلها تصب في تجهيز النفس البشرية إلى يوم المعاد ، من خلال جعلها تزهد و تنفر من هذه الحياة الدنيا التي هي غير دار المقر بــل هــي دار الممر.

وهذا **بكر** وقد استعمل لغة العتاب واللوم قاصدا بذلك نفسه التي أرقتها الظنون :

لَقَدْ جَمـــــــحَتْ نَفْسِي وَأَعْرَضَتْ ... وَقَدْ مَـــــــرَقَتْ نَفْسِي فطَالَ مروقها
فَيَا أَشْفَى مِنْ جُـــــــنَحِ لَيْلٍ يَقُودُهَا ... وَضَوْءُ نَهَارٍ لَا يَزَالُ يَسُوقُهَا(1)

(1) رمضان شاوش ،" الدر الوقاد" . ص 77.

إِلَى مَشْهَدٍ لَابُدَ لِي مِنْ شُـــــــهُود ... وَمِنْ جُـــــرْعٍ لِلْمَوْتِ سَوْفَ أَذُوقُهَا
سَتَأْكُـــــلُهَا الديدَانُ فِي بَاطِنِ الثُرَى ... وَيَـــــــذْهَبُ عَنْهَا طِيبُهَا وَخَلُوقُهَـــا
مَوَاطِـــــــنُ لِلْقِصَاصِ فِيهَا مَظَالِمُ ... تُـــــــؤَدِي إِلَى أَهْلِ الحُقُوقِ حُقُوقِهَا
سَحَـــــــابُ المَنَايَا كُلُ يَوْمٍ مُظْلِمَةٍ ... فَقَدْ هَـــــطَلَتْ حَوْلِي وَلَاحَ بروقها
وَ لِلنَفْسِ حَاجَاتٍ تَرُوحُ وَتَغْتَـــــدِي ... وَلَكِنْ أَحَادِيـــــــــثُ الزَمَانِ تُعَوقُهَا
تَجَهَمَتْ خَمْسًا بَعْدَ خَمْـــــسِينَ حُجَةً ... وَدَامَ غُرُوبُ الشَمْسِ لِي وَشُـــرُوقُهَا
وَأُبْدِي المَنَـــــــــايَا كُلُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ... إِذَا فَتَـــــــــقَتْ لَا يُسْتَطَاعُ رُتُوقُهَا
يُصْـــــبِحُ أَقْوَامْ عَلَى حِينِ غَفْلَـــةٍ ... وَيَأْتِيكَ فِي حِينِ البَـــــيَاتِ طُرُوقُهَا(1)

إن هذه الألفاظ والعبارات التي استعملها بكر بن حماد مبثوثة في محيطه وأمكنـــه بهـــذا المعجم وضع القارئ أمام أحداث وحالات هي واقعة لكل إنسان على الأرض .إنه يعـــترف بالذنب الذي ارتكبه في حق الله وما جموح النفس ومروقها إلا دليل على ذلـــك (جمحـــت ، مرقت)، ويلوم الزمن على هذه الحالة (جنح ليل يقودها ، ضوء نهار يسوقها).

لكنه يذهب إلى لغة الهدوء والاستسلام واجتراع الحقيقة المرة بدون مقاومة حين يذكر هذه النفس بما هو عليها (مشهد ، جرع الموت ، ستأكلها الديدان – مواطن القصاص).

ثم يأتي لغة التذكير والإنذار قبل العاصفة التي عل وعسى تجعل هذه النفس تتدارك ما فاتها في تعويض عنـــه (سحاب المنايا ، لاح بروقها ، أيدي المنايا ، يصبح أقوامـــا يـــأتي فـــي البيات). إنه الإنذار بالموت بغتة فلابد من الاستعداد . نستشف من ذلك أن دلالات المـــوت طغت على دلالات الحياة وكانت هي الغالبة لأنها هي المآل ، و لقد انجذب إليها بكر كغيره من شعراء الزهد نابعة لغتهم تلك من الألم والاقتناع والرضوخ ، أنظر إلى هذه الأبيات :

أُحْبُو إِلَى المَوْتِ كَمَا يَحْبُوا الجَمَلُ ... قَدْ جَـــــــــاءَنِي مَا لَيْسَ فِيهِ حِيَلُ (2)
وَ خَـــــالَطَ عَيْنِي العِشَا بَعْدَ حِـــدَةٍ ... وَصَـــــــــارَ لِسَانِي إِنْ تَكَلَمَ لجلبـــا (3)
وَفِـــــي أُذُنِي وَقْرُ وَظَهْرِي بِهِ حِنَا ... وَمَا أَبْتَـــــــغِي مِمَا أَنَا فِيهِ مُخْرِجَـــا (4)

(1) رمضان شاوش ،" الدر الوقاد ". ص .77.
(2) المرجع السابق ص 92.
(3) البيت لأحمد بن أبي سليمان داوود الصواف ، ينظر العربي دحو ." الأدب العربي في المفرب الغربي "ص 252.
(4) نفســه

كُلٌ يَنَال مِنَ المَقْدُورِ قِسْـــــمَتَهُ قَـــوْمٌ تَرَقُوا وَقَوْمٌ فِي الهَوَى سَقَطُوا (1)
وَأن الـــمَنَايَا لَيُدْرِكَنَ مَـــــنْ وَنَـــــــى فِي الطَرِيقِ وَمَنْ أَرْكَضَا (2)
المَوْتُ فِي كُلِ حِينٍ يَنْشِرُ الكَـفَنَا وَنَحْنُ فِي غَـــــــفْلَةٍ عَمَا يُرَادُ بِنَا(3)
سَكَنَتْكَ يَا دَارَ الفَنَاءْ مصـــــدفا بِأَنِي إِلَى دَارِ البَقَاءِ أَصِـــــــــيرُ (4)

إن هذا المعجم اللغوي المتكون من هذه النماذج (العشا ، تلجلج اللسان، الحبو، الـــوقر في الأذن ، انحناء الظهر ، كل ينال قسمته ، تدركنا المنايا ، الموت في كل حين ، ينشـــر الكفنا ، نحن في غفلة ، دارالفناء ، دار البقاء ، أصير...). يصـــب فـــي وعـــاء واحـــد ينصرف إلى معجم دلالات المحتم أو الموت اللازم، وهو المعجم الذي ســـار عليـــه جـــل شعراء الزهد في المغرب وقد نلـــحظ ذلك في المدونة التي تم جمعها واستعمالهم لغة البكاء والحزن والتحسر واليأس وظلم الزمـــــن بارتكابه آثام المرض بأنواعه والوهن والضعف والكبر والنكد لتصوير خوالجهم ووجـــــدانهم والعمق النفسي الذي يعيشونه ، وأثبتـــت هذه الألفاظ انصراف شعر الزهد إلى حقيقة واحدة متفوقة وهي المعجم الـــدلالي للمـــوت بشتى معانيها المخولة لها . حتى وان ظل بعض الشعراء يـــذكرون ويعددون هروبهم إلى الماضي لكننا نكتشف أن هروبهم ذلك ما هو إلا هروب لحظي وستـــتم الأوبة، والعودة للحاضر المستقبل الحتميين و الهروب إلى الماضي إن دل على شيئ فإنما يدل على الحياة فيستعمل الشاعر الألفاظ الدالة على الحياة ، كما نلحظ ذلك من خلال هذه النتائج:

بَلَوْتُ الزَمَـــــــانَ وَدُسْتُ البِلاَدَ وَنَافَسْتُ فِي كُلِ شَيْءٍ عِـــــــنَادَا
شَرِبْتُ المَـــــدَامَ وَسُسْتُ القِيَـــانَ وَرُضْتُ الجِيَادَ وَرعت الشِـــــدَادَا
أَصِـــــــيدُ الغَزَالَ وَأُمَ الرِئَالَ بِطَـــــــرَفٍ أَرَاهُ يُجِيدُ الطِـــــرَادَا
وَصُعْلُكْتُ فِي البَرِوَالبَحْرِ دَهْـــرَا أُخْـــــــلِفُ أَهْلِي عَلَى حِـــــدَادَا
أَسُومُ البِعَادَ وَ أَهْوَى الـــــــلِذَاذَا وَأُظْهِرُ فِي الأَرْضِ مِنِي الفَسَـــــادَا
أُرَوِحُ عَلَـــى هَـــــــذَا وَذَاكَ أَدِيمُ السِهَادَ وَأَجْفُو المِـــــــــهَادَ(5)

(1)البيت لأبي مدين شعيب . البستان ص 11.
(2)البيت لعلي الحصري القيرواني . الموسوعة
(3)البيت لابن أبي زمنين ." نفح الطيب" ج 3 ص 554.
(4)البيت لأبي الصلت أمية ،" نفح الطيب "ج 3 ص 297
(5) الأبيات لأبي عقال .ينظر العربي دحو . " الأدب العربي في المغرب الغربي "" ص 257.

إن الألفاظ الدالة على الحركة والنشاط والتي رمزت لمعجم الحياة (بلـوت الزمـــان ودست البلاد ، و نافست ، شربت ، رضت ، أصيد و رعت ، صعلكت ، أسـوم ، أهـوى اللذاذا، أظهر الفساد ، أديم السهاد ــ أجفو المهاد) ، هي ألفاظ تدل على قوة هـذا الانسـان التي يفتخر بها و يظن في وقت ما أنها خالدة ، و لقد نحى الشاعر في هذه المقدمـة منحـى الجاهلين كما رأينا من قبل في هذا البحث .

إن هذه الألفاظ ستتكسر أمام ألفاظ أقوى منها تكون هي التي ترمز إلى الحقيقة التي لا بد من ظهورها ، يقول بعد ذلك الشاعر **أبو عقال** :

إِلَى أَنْ تَنَاهَتْ حُـــدُودُ القَضـَاء وَأنفذ سُلْـــــــطَانه مَا أَرَادَا
فَجَلَى مِنَ القَلْبِ إِظْـــــــلاَمَهُ وَأُنورُ مَا كـَـــــانَ مِنْهُ سَوَادَا
فَأَلْزَمْتُ نَفْسِي مَدَى صَـــــبْرِهَا وَخَالَفْـــــــتُهَا فِي هَوَاهَا عِنَادَا(1)

و يقول :

لاَحَ المَشِيبْ بلهتي فَـــــــنَعَانِي وَنَـــــفَى الصبَا عَنِي وَذَمْ عَنَانِي
وَنَاءَتْ خُطُوبُ الحَادِثَاتِ بِأُسْـــرَتِي فَبَقِيـــــــتُ مُنْفَرِدَا مِنَ الأَقْرَانِ(2)

إن الألفاظ التي عاد إليها أبو عقال و التي نذكر منها (تناهت حدود القضاء ، ألزمت نفسي خالفتها ، لاح المشيب ، نفى الصبا، الخطوب ،الحادثات ، الإنفراد)

شكلت فوهة كبيرة ارتسمت فيها صور الألم والحزن واليأس والضعف والشيب والكبر.... سقطت فيها تلك الألفاظ التي دلت على الحركة والحياة في بادئ الأمر وهي ضمنيا تلـــوم الزمن وما فعله بهذه النفس البشرية .

وقد رأينا ذلك من خلال تلك الموضوعات ،التي استخر جنا من شعر أولئك الزاهدين، فـي أسلوب خبري دل على الوعظ أو الاعتبار أو الحث على القناعة أو التذكير بالموت أو ذكـــر الأمم الخالية أو الندم كما وردت في أسلوب إنشائي دل عليه الرجـــاء أو طلـــب الصـــفح أو الاستفسار وطلب الأوبة وقبول التوبة. فالوعظ والاعتبار اللذين ظهرا عند **بكر بن حماد** فـــي قوله:

قِــفْ بِالْقُــبُورِ فَنَاءَ الهَامِدِينَ بِهَا مَنْ أَعْظَمَ بُلِيــــتُ فِيهَا وَأَجْسَادَ (3)

(1) رياض النفوس ج 1 ص 539.
(2) المصدر نفسه ص 539.
(3) رمضان شاوش. الدر الوقاد. ص 80 ، وينظر . المغرب العربي تاريخه و ثقافته ص 133.

والتذكير بالموت الذي يظهر عند **عبد الحق بن عبد الرحمان المعروف بالخراط (ت 581)**

إِنَ فِي المَوْتِ وَالمعَــــــــادِ لَشُغْلَا وَادِكَارَا لذي النهــــــــــــى وبلاغا
فَاغْتَــــــــنِمْ خُطَتَيْنِ قَبْلَ المَنَايَا صِــــحَةُ الجِــسْمِ يَا أَخِي وَ الفَرَاغَا (1)

والحث على القناعة الذي ظهر عند **بن رشيق المسيلي :**

يَعْــــطِي الفَتَى فَيَنَال لِي دعــة مَا لَمْ يَــــــــــنَلْ بِالْكَدِ وَالتَعَبِ
فَاطْــــــلُبْ لِنَفْسِكَ فَضْلُ رَاحَتِهَا إِذْ لَيْــــــــــسَتْ الأَشْيَاءُ بِالْقَلْبِ (2)

والامتعاض من الشيب والذي يظهر عند **عيسى بن مسكين :**

لِعُمْرِي يَا شَبَابِي لَوْ وَجَــــدْتُكَ بِمَا مَلَكَــــــتْ يَمِينِي لَارْتَجَعْتُــكَ (3)

والابتعاد عن اللذات ومحاربة النفس الذي يظهر عند **الصواف :**

حَبِسْتُ نَفْسِي بَيْنَ بَيْتِي وَمَسْــجِدِي وَقَدْ صِرْتُ مِثْلَ النِسْرِ أَهْوَى التَعَرُجَا(4)

وغيرها من الأفكار التي ذكرناها أو التي لم نذكرها جاءت في غرض أدبي دل على القنــوط واليأس وإبداء الضجر والملل فمن تذكر الموت أو من حاور الشباب ليبتعد عن الشيب لــحظة مــن الزمن أو حرم النفس من لذائذ الحياة أو من نظر إلــى القــبر واستحضــر مــا حــوى وكيــــف أصبح. لابد أنه في حالة شكوى من ألم الزمن، وهمه أن الموت لابــد مــدركه لا محالة . فيخرج كل ذلك من صدره و يعبر عنه مستحضرا ما ملكت يمينه من لفة ورثهــا أو اكتسبها.

ويخــاطب القارئ بلغة منسجمة مع واقعه المعيش.و لقد ارتسمت هــذه اللغــة فــي أفعــال ماضــــية " وجدتك ، ملكت ، خــــالط ، لحلجا " و ما تبعها من فواعــل و مفعــولات أو كانت مضــــارعة " ينشر الكفنا ، يراد بنا ، أصير إلى دار البقاء " ، وما يتبعها هي الأخرى وما يلزمها وما تقتضيه هذه اللغة من أدوات ربط وتنسيق، جعلت المتلقي يأخذ المعنى كما هو دون أن يذهب إلى أن يقلد ذلك ويحول هذه الأقوال إلى أفعال فذاك أمر آخر بل يخلص إلــى نزعة الشاعر الزهدية فقط، إلى ذلك التصوير الفني الذي اتسم به الشاعر المغربي في فترة من الفترات ، وذلك البعد الدرامي الذي خلص إليه النص الشعري في نهايته.

(1) " الديباج المذهب" ص 193.
(2) رابح بونار "المغرب العربي ، تاريخه و ثقافته " ص 312.
(3) العربي دحو . "الشعر المغربي "ص 175.
(4)المالكي" رياض النفوس "ج 1 ص 510.

ب. الصورة عند شعراء الزهد المغاربة:

إن الصورة الشعرية هي" أساس العمل الأدبي "(1) فهي جوهر النص الشعري وهي ليست مستحدثة عند شعراء الزهد في المغرب العربي، بل هي موجودة مع وجود اللغة العربية التي وصلتنا سواء عند الجاهلين أو من العصر الإسلامي في المشرق وهي قد تكون أكمل من بعض أو أنقص منها في إيصال المعنى إلى المتلقي وفي استفادته من هذا المعنى. ولعلنا في في دراستنا البسيطة نحصرها في بعض التشبيهات أو الاستعارات أو صور البديع التي ظهرت لنا في هذه النصوص الشعرية، ونحن نعلم أننا لا نوفها حقها من التحليل. وقد يرى القارئ لهذه الأشعار أنها لا تخلو من هذا النوع من التصوير من قريب أو من بعيد ، إن دل ذلك على شيء فإنما يدل على سعة أولئك الشعراء للغة العربية ومعانيها وألفاظها وتوظيف كل ذلك كما شاءوا في النص الشعري حتى تتضح الدلالة " فالمعنى الواحد يستطاع أداؤه بأساليب مختلفة في وضوح الدلالة " (2). هذه الصورة الشعرية لها أشكال مختلفة ، فمنها ما هو بسيط ومنها ما هو معقد يستعمل صاحبه الرمز والاستعارات التي لابد من التمعن فيها بدقة حتى نجد تلك العلاقات الخفية بين أطرافها أو العلاقات المحدثة بين هذه الأطراف (3) و لعلنا نأخذ بعض النماذج من هذه المدونة ونحاول أن نجد فيها هذا التصوير قصد وضع رؤية خاصة لها ، و لننظر إلى هذا التصوير عند **أحمد بن أبي سليمان** :

أَرَى البَرْقُ مِنْ نَحْوِ العَصِيبِ تُوقدا ... تَغِيبُ طُورًا لَمْعَهُ وَتَرَدَدَا
دَعِيتُ مُعَلِمًا إِذْ صِرْتَ شَيْخَا ... وَ أَيَامَ الشَبِيبَةِ كُنْتَ بُورَا
لَئِنْ كَانَ المَشِيبُ أَتَى نَذِيرَا ... فَإِنِي سَوْفَ أَدْعُوهُ بَشِيرَا (4)

إن البرق يشق ظلمة الغيوم و ينير الليلة الحالكة، كذا المشيب عند الصواف قد ظهر من ظلمة سواد الشعر هذا التصوير الجميل للشاعر يظهر كذلك في تشبيه أيام الشباب بالأرض البور التي لا ينمو فيها أي زرع كذا توظيف الشاعر لصورة بيانية أخرى في البيت الثالث حين شبه المشيب بالإنسان وحذف المشبه به ورمز إليه بأحد لوازمه وهو نذير فجاءت هذه

(1) د محمد مرتاض ."النقد الأدبي القديم في المغرب العربي . نشأته و تطوره" (دراسة وتطبيق). ، منشورات اتحاد كتاب العرب ص

(2) عبد اللطيف شريفي و.زهير دراقي " الاحاطة في علوم البلاغة"– ديوان المطبوعات الجامعية – الساحة المركزية . بن عكنون– الجـــزائر 2004 . ص 112

(3) ينظر عبد القادر الرباعي." الصورة في شعر أبي تمام" . ص 14.

(4) العربي دحو."الأدب العربي في المغرب العربي" ص 255.

الاستعارة لتبرز المعاني في صورة حية محسوسة ، تمكن المتلقي من الوقـــوف علـــى علاقـــة الشاعر بالواقع و فهم أحاسيسه تجاه ذاته كذلك وصورة أخرى نراها عند **بكر بن حماد** في قوله :

قِفْ بِالْقُبُورِ فِنَاءَ الهَامِدِينَ بِهَـــا مَنْ أَعْـــــــظَم بَلِيتُ فِيهَا وَأَجْسَادَ

وَالمَوْتُ يَهْدِمُ مَا بَنَيْتَهُ مِـــنْ بَذَخ فَمَـــــا انْتِظَارَكَ يَا بَكْرُ بْنُ حَمَادَ(1)

لقد علم الباث والمتلقي أن من سكن القبر لا يمكن له أن يجيبك حين تناديه . لكـــن براعـــة الشاعر التي وضعتنا أمام هذا التشكيل اللغوي الذي جعل الصورة بنية واحدة الذي اخـــــتزل المسافة بين طرفي الصورة و ترقى بخياله ليوصل للمتلقي المعنى كاملا واضحا ، وقد جعـــل للموت معولا أو فأسا يهدم بها فكان أن حذف المشبه به"الإنسان" ورمز له بأحد لوازمه"يهـــدم" فتمت الاستعارة و كانا طرفي التشبيه قد تقاربا حتى التصقا ، وهذا **الحصري** يشبه الموت بالعـــدو القاتل الذي لابد يصيب صاحبه بسهمه و هي صورة فيها تحريك للمجرد و جعله مادة محسوســـة وإن كانت حركة هذا المجرد مؤدية إلى نتيجة مأسوية ، حين يقول :

هُوَ المَـــوْتُ لَابُدَ مِنْ سَـــهْمِه فَكَيْـــفَ ادرعنـــا لكي يدلـــظـــا

أَنَا المَنَايَـــــــــا لَيُدْرِكَنَ مَنْ وَ نَـــــى فِي الطَرِيقِ وَ مَنْ أَرْكَظَا(2)

و في البيت الذي يليه و غير بعيد عن المعنى الأول يصور لنا الموت بذاك الشيء الـــذي يأخـــذ اليابس والأخضر في طريقه و هو تصوير بليغ فإن هذا الموت سوف يأتي علـــى الذي تأنى فـــي مشيته و يأتي كذلك على من ظن أنه سيهرب و كان يركض بما أوتي من قوة ، فيحس المتلقـــي بشراسة الموت و يستشعر ذلك التصوير الفني الذي أوقفه علـــى مصيره . و لقد شغلت فكـــرة الموت أغلب شعراء الزهد فوظفوا فيها صورا شتى تعـــبر عن خوالجهم وآلامهم وخوفهم في آن واحد ، فانظر إلى هذه الأبيات :

أُصَـــــافِحُ الأَرْضَ إِنْ رَمَتْ القِيَـــام تَصْـــــحَبْنِي ذَاتَ اليَمِينِ عَصَا (3)

أَحْبُو إِلَى المَوْتِ كَمَا يَحْبُو الجَـــمَلُ قَدْ جَاءَنِي مَا لَيْـــــسَ فِيهِ حِيَلَ(4)

ففي البيتان صور الاقتراب الخفي للموت و قروب أجل كلا الشاعرين فالعجـــز الـــذي

(1) المرجع السابق. ص 188.

(2) الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث(قسم الدواوين الشعرية)

(3) إبراهيم الدسوقي .جاد الرب ." شعر المغرب حتى خلافة المعز" ص 175.
(4) رمضان شاوش." الدر الوقاد". ص 91.

يجلب الاتكاء على العصا والحبو الذي أدى إليه الكبر كلاهما دليل على اقتراب المنية ، ولقد جاء التصوير الفني عند عيسى بن مسكين بديعا فصورة الشيخوخة شاخصة في عبارة « أصافح الأرض » و هي كناية عن الكبر ، لها نفس المعنى و نفس الرمزية مع عبارات « تصحبني ذات اليمين عصا » و « أحبو إلى الموت » و « قد جاءني ما ليس فيه حيل » و تصوير آخر نستشفه عند **بكر** في بيته الموالي :

وَأَيْدِي المَنَايَا كُلُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ إِذَا فَتَقَتْ لَا يُسْتَطَاعُ رُتُوقُهَا(1)

فقد استعار للمنايا أيد تريد أن تخنق صاحبها الموكلة إليه وهي تزوره بتكرار على مر الزمن وتقترب منه أكثر فأكثر وتحدث فيه ندوبا تستنزفه إلى أن يلقى حتفه .

وهذا **بن عبد ربه وبن حمد يس الصقلي** وقد عبرا هما الآخران عن الفكرة وصوراها أحسن تصوير ونقلوا لنا ذلك التحويل من المجرد إلى المحسوس معتمدان في ذلك على التشكيل اللغوي الذي يحدد الصورة البيانية التي تجعل الجامد متحركا نابضا بالحياة .

يقول بن عبد ربه :

بَادَرَ إِلَى التَوْبَةِ الخُلَصَاءِ مُجْتَهِدَا وَالمَوْتُ وَيْحَكَ لَمْ يُمْدَدَ إِلَيْكَ يَدَا (2)

ويقول بن حمد يس الصقلي :

دب مَوْتَ السُكُونِ فِي حَرَكَاتِي وَخَبَا فِي رَمَادِهِ حَمْرُ جَمْرِي(3)

إن الموت لن يترك لصاحبه فرصة و لن يساعده بل هو يتحين الوقت المناسب، وقد استعار **بن عبد ربه** للموت يدا التي لن يمدها للمساعدة وهي صورة جميلة جعل صاحبها المعنى مجرد محسوسا و ذلك لتسليم الذات البشرية لهذا المصير المحتوم . و تقريبا نفس العمل قام به **بن حمديس** حين جعل هذا الموت حركيا و صاحب نشاط فهو قد أوجد له الفعل " دب " ، حتى أن تلك الحركة الحية " حمر جمري " قد اندست تحت الرماد الكثيف الذي غطاها ، والشطر الثاني من البيت هو تعبير عن صورة بيانية مشعة يتجلى من خلالها القول الشهير " رب كناية تربي على إفصاح " فقوله " و خبا في رماده حمر جمري " كناية عن ما تبقى له من حركة وحياة واصفا لنا انفعالاته وأفكاره و تجاربه وعواطفه على غرار كل شعراء الزهد.

(1) رمضان شاوش،" الدر الوقاد" ص 79.
(2) " نفح الطيب" المجلد 4 ص 321.

(3) عبد العزيز عتيق " الأدب العربي في الأندلس" ص 224

ولنختم هذا العنصر بأحد النماذج التي رسمها لنا **بكر بن حماد:**

سَحَـــابُ المَنَـــايَا كُلُ يَوْمٍ يَظُـــلُهُ فَقَدْ هَطُلَتْ حَـــوْلِي وَلَاحَ بُرُوقُهَا (1)

إنها صورة الموت مرة أخرى تظهر عند **بكر** ليعبر بها عن انفعالاته وعواطفه ، لقد اســـتعار لها (المنية) هذه المرة لفظا جديدا تمثل في " سحاب" و اكتملت الصورة بالظل الذي تحدثه هـــذه السحابة التي تزوره كل يوم ثم إنها بدأت في الهطول ولمع برقها فهي ليست ببعيدة وقد اعـــتنى **بكر** وغيره من شعراء الزهد في المغرب بالصورة الفنية لأنها جوهر الشعر مستمدين تشكيـــلها اللغوي من الموروث العربي ومن ثقافتهم الدينية وما هي هذه الصورة إلا تقريب المفاهيم البعيـــدة والصعبة للمتلقي وجعله يعيش حالة حاسمة أمامه ، حـــين يخلق له علاقة تقرب أو تجمـــع بيـــن الأشياء المتباعدة المختلفة في هذه الصورة البيانية أو كما **يقول إحسان عباس** " هي خلق جديـــد لعلاقات جديدة " (2).

(1) محمد الطمار ." تاريخ الأدب الجزائري " ص 35

(2) إحسان عباس . " فن الشعر" ص 260.

ج.الموسيقى الشعرية:

- **التضاد أو الطباق :**

إن الشعراء المغاربة اختاروا لقصائدهم معجما شعريا اتسم بالعفوية والوضـــــوح دون تكلـــف ، جعلت هذه الأبيات لها نغمة شعرية خاصة متميزة عن سائر الأغراض الأخرى. عبروا من خلالها على آلامهم وأحزانهم وأنواع الكآبة التي أصابتهم جراء معرفتهم لحقيقة هذه الحياة المعاشة ، و إن كانت هذه الأبيات جاءت متناثرة عبر كتب التاريخ وكتب الأدب لكنها اتسمت بخلوها من التعقيـد و الإبهام المتعدد الحلول ، كما أنها وصفت بلغة الحيرة و الشك المؤدية إلى لغة اليقين و الصواب .

ولئن جئنا إلى خاصية التضاد في هذه الأشعار وجدناها كثيرة و دون تحديد نوع الكلمة فقد يكون ذلك بين الأفعال أو بين الأسماء هذه الثنائيات المتقابلة هي نوع مـــن التنـــــميق الشـــعري ، يلاحظ ذلك من خلال هذه النماذج على سبيل المثال لا الحصر.

فَيَا أَسَـــــفِي مِنْ جُنَحِ لَيْلٍ يَقُودُهَا وَضَـــــوْءُ نَهَارٍ لَا يَزَالُ يَسُوقُهَا (1)

ظهر التضاد في الفعلين (يقود – يسوق) و ظهر التضاد في الأسماء (جنح – ضوء) ثـــم (ليـــل – نهار) و قد يفسر هذا الطباق في البيت الواحد لتلك الانفعالات الداخلية التي يعاني منهـــا الشـــاعر، نرى هذا الأمر. كذلك في هذا البيت :

وَأَنَ المَنَايَـــــــا لَيُدْرِكَـــنَ مَـــنْ وَنَـــــى فِي الطَرِيقِ وَ مَنْ أَرْكَضَا (2)

هذا التضاد الواقع بين الفعلين (ونى و أركضا) اللذين يخضعان لقضاء الموت ما هو إلا استسلام من الشاعر لمصيره و صورة واضحة لهذا الخضوع التـــام و لكن المتلقي يستمتع بهذه الأشعار من خلال ذلك التصوير الموحي و الأسلوب الرشيق البعيد عن التعقيد الشـــــــكلي أو المضموني – مع اعتماد تلك المحسنات البديعية لإعطاء إيقاع يثري هذه النصوص و من هذه النماذج كذلك :

نَهَارٌ مُشْـــــــــرِقٍ وَ ظَلَامُ لَيْـــــلٍ أَلْحَا بِالبَيَـــــــاضِ وَ السَـــوَادِ(3)
يَا لَـــــــذَةٍ قَصُرَتْ وَ طَـــالَ بَلَاؤُهَا عِنْدَ التَـــــذَكُرِ فِي الزَمَانِ الأَوَلِ(4)
وَ لَمْ أَجْـــــزَعْ لِلْأَيَـــامِ صِـــــرْفَ يَعُودُ عَسِيـــــــــرُهَا سَهْلًا يَسِيرَا(5)
وَ لَمْ أَفْـــــــــرَحْ لِأَنَ لَهَـــا انْقِـــلَابَا يُعِيدُ يَسِيرَهَا صَـــــعْبًا عَسِيـــرَا(6)

(1)البيت لبكر بن حماد، من" الأدب العربي في المغرب العربي" ص 186
(2) البيت لعلي الحصري .من الموسوعة
(3) البيت لبكر بن حماد ." الدر الوقاد " ص 75
(4) (5) (6) الأبيات لأحمد بن أبي سليمان داود الصواف . الأدب العربي في المغرب العربي ص 251 ، 253 ، 255.

دَعِيتُ مُعَـــــــــلِمَا إِذَا صِرْتَ شَيْخَا وَأَيَـــامَ الشَـــــــبِيبَةِ كُنْتَ بُـــورَا(1)
لَئِنْ كَانَ المَشِـــــــــيبُ أَتَـــى نَذِيرًا فَإِنِـــــي سَوْفَ أَدْعُـــــوهُ بَشِيرَا (2)

كُلَّـــــــمَا تَبُتَ سَاعَةٌ عَدَتْ أُخْرَى لضروب مِنْ سُوءَ فِعْـلِي وَهَجْرِي
ثَقُلَتْ خُطْـــــوَتِي وَ فودِي تَـفرَى غَيْهَبَ اللَيـلُ فِيهِ عَنْ نُورِ فَجْـــــرٍ(3)
سَكَنْتُكَ يَا دَارَ الفَنَـــاءِ مُصَـــــــدِقًا أَنِـــي إِلَى دَارَ البَقَـــاءِ أَصِـــيـرُ(4)

لقد كثر هذا التضاد اللفظي الذي يؤدي إلى المعنوي عند هؤلاء الشعراء و مما جعـــل دون شك – المتلقي يرى ذلك التصوير الفني البديع في شعرهم ويتلذذ به و يستصـــــــيغ سهولته ، و يرى تلك الطبيعة الواضحة أمامه من خلال رسم الشاعر لها فالبياض هو ضد الســواد واللفظـــان يؤديان إلى معنيين متضادين أشركهما الشاعر في البيت نفسه كذا الحال بالنسبة للطول والقصـــــر واليسر والعسر والسهل والصعب والشيخوخة والشبيبة والنذير والبشير والملاحظ أن الشاعر فـــي صراع مع الحياة ومع عناصرها كالزمن والنفس ، فهو يتوب ساعة ، فينزوي إلى صراط الرحمن وقد تغلب على نفسه ، ثم تصارعه عناصـــر الحياة فتغلب عليه فتعود مرة أخرى للهوى ولذاته ، فهذه الثنائيات المتضادة (نهار مشرق – ظلام ليل) ، (بياض – سواد) ، (تبت – عـــــدت) ، (دار الفناء – دار البقاء) والمعطوفة على بعضها أوصلت للمتلقي صورة حية عن مشاعر وخوالج هذا الشاعر الزاهد المنقلبة بين الحزن والألم والأمل أحيانا حيـــن يفســـح لنفســـه قليلا مـــن الأمـــل فالصيرورة تعني الدوام وهو يعلم أن ذاك هو مصيره في تلك الحياة الثانية .

(1) الأبيات لأحمد بن أبي سليمان داود الصواف . الأدب العربي في المغرب العربي ص 251 ، 253 ، 255.
(2) البيت لأحمد بن أبي سليمان داود الصواف ."الأدب العربي في المغرب العربي "ص 255
(3) البنيان لابن حمد يس الصقلي .
(4) البيت لأبي الصلت أمية . الديوان ص 87 . ومن "نفح الطيب "المجلد 2 ص 107.

-الإيقاع في شعر الزهد المغربي :

لعل كل من يتحدث عن الايقاع في الشعر العربي لابد أن يرسمه في تلك المقاطع المتكررة وهذا يحدث في جميع اللغات و" العربية من أغنى اللغات البشري إطلاقا بالإيقاع الذي يجعلها لغة شعرية بالطبيعة "(1) وقد يرقى هذا الإيقاع في البيت ولا يرقى في بيت آخر، ثـــم إن

أذن المتلقي هي التي تمدد مواقع هذه الموسيقى في الشطر ثم في البيت ثم في النص كاملا. ولنأخذ نماذج عن هذا الإيقاع أوالتكرار أوالموازنات الصوتية التي حدثت عند شعراء الزهد الذين كانت من مواضيعهم تدور حول التوجع والحسرة والتألم والبكاء والاعتبار والتأمل والنصح و الوعظ و التذكر و الخوف ... و من هذا التكرار نأخذ قول الصواف :

سَأَلْبِسُ لِلصَبْرِ ثَوْبًا جَمِيلًا وَاَفْتِلُ لِلصَبْرِ حَبْلاً طَوِيلًا
أَصْبِرُ بِالرُغْمِ لَا بِالرِضَا أُخَلِصُ نَفْسِي قَلِيلًا قَلِيلًا (2)

إن التكرار الذي استعمله شعراء الزهد هو نابع من الضغط الذي يعانيه الشاعر فهو في الحقيقة انفعال قوي عبر عنه هذا الشاعر للوصول إلى فكرة معينة ، فالصواف ذكر الأصل " صبر" ثلاث مرات فالصبر هو المادة الأساسية في النص و هذا الصبر هو الحل الوحيد حين تغيب الحلول للخروج من المآزق و الحرج و الخطوب ، فالصبر هو مفتاح الفرج والله مع الصابرين و الصبر سبيل الزاهدين كل هذه الثقافة الدينية استنبطها الشاعر و نسجها في تلك الأبيات ثم إن هذا الحل أو الخلاص كما عبر عنه الشاعر لا يأتي دفعة واحدة بل هو شيء عسير و لا بد أن يمر بفترات متعاقبة (قليلا- قليلا)

ولنلاحظ المرارة التي يعيشها الشاعر **عيسى بن مسكين** و الحزن ظاهر عليه من خلال نصوصه الشعرية و القلق باد عليه من خلال هذه الأبيات :

لِعُمْرِكَ يَا شَبَابِي لَوْ وَجَدْتُكَ بِمَا مَلَكَتْ يَمِينِي لَارْتَجَفْتَكَ
وَلَوْ جَعَلَتْ لِي الدُنْيَا ثَوَابًا وَ مَا فِيهَا عَلَيْكَ لَمَا وَهَبْتُكَ
فَقَدْتُكَ فَافْتَقَدْتُ لَذِيذَ نَوْمِي وَطِيْبَ مَعِيشِي لَمَا فَقَدْتُكَ
وَنَحْتَكَ وَانْتَحَبْتُ عَلَيْكَ دَهْرًا فَلَمِ تُغْنِ النِيَاحَةُ حَيْثُ نَحْتُكَ(3)

(1) عبد المالك مرتاض. الأدب الجزائري القديم (دراسة في الجذور) دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع . بوزريعة/ الجزائر 2005. ص 200

(2) العربي دحو."الأدب العربي في المغرب العربي" ص 250.

(3) نفسه ص 238.

إن الإيقاع الذي حدث في هذه المقطوعة شكلته التكرارات التي وقعت من نفس الشاعر عندما صور لنا تلك الوضعية التي يعيشها حيث لا يستطيع أن يسترجع ما تريده ذاته ولابد لها أن تسلم بالواقع وضيع الزمن ، فكلمة " لو" تكررت مرتين وحرف الكاف المتأخرة تكرر على هذا النحو :

.....ك..... .....ك

.....ك..... .....ك

.....ك..... .....ك

.....ك..... .....ك

هذه الكاف المتكررة هي دليل التخاطب وتوجيه الكلام لهذا الشيء المجرد الذي لا يمكن لمسه واسترجاعه وتكشف عن معاني التأسي والحسرة والألم التي تظهر كذلك تردد لفظه " لـــو " التي تفيد إلى أسلوب التمني الذي يهدف إلى كيفية الخلاص ، والشـــاعر يعلم أن مخاطبة الماضي هي غير مجدية فكثيرا ما اشتكى الشعراء قبله غدر الزمن . وإن لقدره يظهر بعد مروره ، نلاحظ كذلك التكرار عند **بن مسكيـــن** لكلمات الفقد التي كانت في صورة الفعل " فقـــدتك ، فافتقـــدت ، فقدتك ".

إن نظرته إلى حاله التي أصبح عليها وظهور عيوبه جعلته يناجي هذا العمر المفقود الـــذي جعله يفتقد النوم الهنيء والعـــــيش الطيب وكل لذائذ الحياة وحتى لو كان الانتحاب دهرا كاملا على هذا الشباب فإن ذلك لا يساوي شيئا منه فأظهر التكرار لمعنى البكاء في أربع مرات في بيت واحد " نُحْتُكَ ،انْتَحَبْتُ ، النِيَاحَةُ ، نُحْتُكَ ". لأن مأساة أكبر من أن توصف ونلاحـــظ أن الإيقـــاع الداخلي ظهر في الحرفين الذين تكرروا خمس مرات لكل واحد منهما أي " النون" و "الحاء" فـــي البيت الرابع . وأمام هذا الواقع الأليم انزوى تحته شعراء الزهد وتلك المخاوف الـــتي اكتنزتهـــا أنفسهم يقول **أبوالأحوص أحمد بن عبد الله :**

أَبُوا أَنْ يَرْقُـــدُوا اللَـــيْـــلَ فَـــــهُمْ لله قُـــــوَامُ (1)

(1) المالكي ،" رياض النفوس "ج 1 ص 528

أُبُوا أَنْ يَفْطَـــــرُوا الدَهْـــرَ فَـــــــــهُمْ لله صُـــوَامُ

أَبُوا أَنْ يَخْدِمُـــــــوا الدُنْيَا فَـــــــــهُمْ لله خُدَامُ (1)

إن التكرار حدث ثلاث مرات في الأبيات الثلاث و ليس في البيت الواحـــد وذلك لعبـــارة " أبوا" و عبارة " فهم لله " ، لكن الإيقاع حدث كذلك في هذه المـــوازنات الصوتية التي وقعت فـــي أواخر الأبيات (قوام ، صوام ، خدام) ولعلنا نرجع القوة في الوصف لشدة هؤلاء الزهاد وتفرغهـــم

للعبادة. ولنلاحظ هذا التكرار الذي حدث بالحروف التفعيلية في قول الحصري راسما لنا حال الدنيا جاعلها في وضع هين لا قيمة له :

وَإِنَمَا هِيَ أَضْغَاثُ تَضْـــــغَثُهَا خَـــوَاطِرُ الوُهْمِ فِيهَا أَيْ تَضْغِيثُ(2)

لقد تكررت هذه اللفظة "أضغاث – تضغثها – تضغيث " ثلاث مرات معلنة نوعا مـــن الإيقـــاع الداخلي في البيت ، أراد من خلاله الحصري أن يُحقر هذه الدنيا وهي عنده كالوهم لكونه متشـــبعا بالثقافة الإسلامية (3) ولعل كثرة مراثيه وتألمه لفقد ابنه جعله يزهد هذه الدنيا و يقول عن المنية :

إِذَا رَعَـــظَ السَهْـــمُ أَوْ عَظْعَظَا فَسَـــــــهْمُ المَنِيَةِ لَنْ يَـــــرْعَظَا(4)

يلاحظ تقارب صوتي بين الكلمات الثلاث " رُعِظَ ، عَظْعَظَا ، يُرْعَظَا " ولعـــل الإيقـــاع الحادث في البيت آت منها. ثم إن هناك تكرار آخر ظاهر في حرف " الظـــاء" الـــذي تكـــرر فـــي الكلمات الثلاث أربع مرات وكله متعلق بسهم الموت الذي لن يوقفه أحد ولن تعترضه عارضة .إن هذه الحروف المستعلية المطبقة التي استعملها الحصري نضيف إليها حرف " الظاء " المتكرر فـــي جميع الأبيات كحرف روي.

و يتساءل أبوبكر بن عطية (–546) عن متى يستفيق الإنسان من غفلته و إلى متى و هو يظن أنـــه مازال صبيا لا يعقل:

كَمْ إِلَى كَمِ أَنْتَ فِي جَـــهْلِ الصبَا قَدْ مَضَى عُـــمْرُ الصبَا وَانْقَرَضَا(5)

(1) المالكي ،" رياض النفوس" ج 1 ص 528

(2) الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث

(3) الجيلالي سلطاني. من مجلة الفضاء المغاربي. مجلة دورية تصدر عن جامعة تلمسان / العدد الثاني 2004. ص 45.

(4) الموسوعة.

(5) "الخريدة " ج 2 ص 766 .

يتكرر لفظ "كم" مرتين و لفظ " الصبا" مرتين و يوجه أسئلته إلى النفس الغوية التي ما تزال فـــي حرب مع صاحبها إلى أن يمر به الزمن و ينقضي .زمن الصبا و هو في غفلة لا يدري و هنـــاك تقارب صوتي في لفظتي " مضى" و " انقرضا" الواقعتين في الشطر الثاني من البيت .

ونظرا لما في تعاقب الليل و النهار– اللذان يمثلان الزمن– من آلام و مصائب و هموم راح الشعراء يتذمرون و يشكون منه و يحاولون التغلب عليه في الأيام الباقية ، يقول **أبو عقال** :

فَلَئِنْ مَضَـــى صَدْرُ الزَمَانِ بِصَفْـــوَةٍ فَلَأَخْدَمِنَ لَسَـــــيدِي المَنَـــــانِ

وَلَأُقْطِعَــنَ عَلَائِقِــي مِنْ غَيــرِهِ حَتَى أَحِــــــلَ بِسَاحَةِ المَيْــدَانِ
وَلَأَنْفِيَنَ مَطَامِعِـــــي وَ مَلَابِسِـــي وَلَأَمْنَـــــــعَنَ مِنَ الكَلَامِ لِسَانِي
وَلَأَهْجُــرَنَ أَحِـــبَتِي وَ مَعَــارِفِــي وَلَأُقْطِـــــــعَنَ عِصَابَةً المَجَــانِ
وَلَأَبْكِيَنَ عَلَى الصِـــــبَا وَ لَمَ مَضَى مِنْ غُرَتِـــــي فِي سَالِفِ الأَزْمَانِ(1)

إن الموازنات التي حدثت عند **أبي عقال** و تعلق في ذهن المتلقي هــي الصــورة الشــبيهة بالقسم المتمثلة في الأفعال " لأقطعن – لأنفين – لأهجــرن و لأبكيــن " علــى وزن " لأفعلــن " المردوفة بحرف العطف " الواو" كل مرة ، حدثت في صدر كل شـــــطر أول من هذه الأبيات الأربعة ، و لعل ذلك راجع إلى تحسره على ما فات فسوف يمنع لسانه من القيل و القال و سوف لا يفتخر بملابسه و سوف يبتعد عن عصابة الأصحاب ثم في الأخـــير سيبكي على ما مضى و سيطلب العفو من مولاه و هو حسن الظن فيه . و يسلم أمره إليه و من هذا المغزى الأخير يكون حال **حمديس القطان(-289)** :

بِيَـــــــــــدِ الله دَوَائِـــي الذِي يَـــــــــــــعْلَمُ دَائِـي
إِنَمَا أَظْلِـمَ نَفْسِـــــــــي بِاتِبَـــــــــاعِي لِهَـــوَائِـي
كُلَمَا دَاوَيْـــــــــتُ نَفْسِي غَلَـــــبَ الدَاءُ دَوَائِـــــــي(2)

إن كلمتي " دواء " و " داء " المتضادتين في المعنى إلا أن بينهما موازنة صوتية ، تمثلــت فــي نسق إيقاعي بين العروض و الضرب تمثل في اشتراكهما في حرف الروي في البيت الأول كمــا أن ياء النسبة أضفت نوعا من الموسيقى الخاصة لهذه الأبيات الشهيرة.والشاعر مسلم بقــدر الله ، وله رؤية خاصة لتلك الأدوية

(1) العربي دحو ،" الأدب العربي في المغرب العربي" ص 258.
(2)المرجع نفسه،ص 239 . وينظر كذلك "شجرة النور الزكية "ج 1 ص 71 .

و لننظر إلى بعض أبيات **أحمد بن أبي سليمان** حين يقول :

أَرَى يَـــــوْمًا يَجِيءُ كُلُ خَيْـــــرٍ وَيَوْمًـــــــا بِالحَوَادِثِ مُسْتَطِيرَا
كَذَا أَحْـــــوَالُ دَهْرِكَ حَالَ أَمْـــنٍ وَحَـــالَ تُجْزِعُ البَطَلَ الجَسُـــورَا(1)

لقد تأمل الشاعر الحياة الدنيا فأحسن تأملها. وأحس بتغيرها و تجددها وتقلبهــا (يومــا – و يوما) وبالرغم من أن كل يوم هوعكس اليوم الآخر إلا أن هذا التكرار الحادث أحدث وقعا إيقاعيا داخل البيت ، كذا نلاحظ ذلك في لقطة " حال " التي جاءت جمعا مرة ومفردة مرتين فــي بيــت

واحد وهو بحسه المرهف قد لمس قساوة الحياة على ذات الإنسان، فهو في عمقه ليستهجن هـــذه الدنيا ويمقتها لخداعها وتلونها ولعدم ثبلتها على ما هو أفـــضل لهذا الإنسان الذي قد مر عليـــه الزمن وندم عليه

فَصَارَ يَـــوَدُ أَنْ لَوْ كَانَ أَضْـــحَى عَلَى تَـــــــــفْرِيقِ مَا يَحْوِي قَدِيرًا

وَعَادَ يَـــــوَدُ أَنْ لَوْ كَانَ أَمْـــسَى وَلَيْسَ بِمَـــــــــــالِكٍ مِنْهُ نَقِيـــرًا (2)

لكن أنى له ذلك و قد مضت مدته ، فأصبح يرجو أن يرجع به الزمن ليصحح الأمـــور ويضع الموازين في مكانها ، لكن رجاؤه الذي يأمل منه لو ينتفي ما فعله في سابق أمره .

وعبارة " يود لو كان " المتكررة أنبأت المتلقي أن الشاعر يعيش في صـــراع مستـــمر مـــع نفسه و كما أن هذا الإيقاع الحادث هو تعبير عن خيبات الأمل التي تلاحق الإنســان على مـــدى حياته . ولنختم هذه النماذج التي حاولنا أن نحدد من خلالها تلك الموسيقى الداخلية التي تمثلت في التكرار الحادث داخل البيت الواحد أو البيتين بهذا البيت لصاحبه **أبو عبد الله محمـــد بـــن زرزر** الذي تجلى شعره في محاربة الانحلال العقائدي آنذاك (3)

وَأَيْقَنَ المُـــشْرِكُ الدَاعِي لَـــهُ وَلَدًا بِأَنَ اللـــــــــهَ لَمْ يُولَدْ وَ لَمْ يَلِدْ (4)

لقد تشبع الشاعر بالثقافة الدينية التي جعلت شعره يتناص مع الـــــقرآن الكريم وهذا التكـــرار الذي حدث في الأصل " ولد" والذي تمثل في "ولد ، يولد ، يلد ، لابد أن يـــجعل المتلقي يختصر البيت في هذا المعنى الولادة التي تجعله يدعي للواحد القهار الذي يخلق كل شيء

(1) العربي دحو ،" الأدب العربي في المغرب العربي" ص 254.
(2) نفســه.
(3) رابح بونار ، المغرب العربي تاريخه و ثقافته ص 116
(4) نفســه .

ومن جهة أخرى يلاحظ نوع آخر من الإيقاع الداخلي تمثل في تكرار المد أو المصـــوتات الطويلة (1) يقول **بن عمروس** :

أَيَـــا نَفْسِ قَدْ أَثْقَلْتَنِـــي بِذُنُوبِـــي أَيَا نَفْـــــــسِ كُفِي عَنْ هَوَاكِ وَتُوبِي

كَيْفَ التَصَابِي بَعْدَمَا ذَهَبَ الصبَا وَقَدْ مَلَ مُـــــــقْرًا فِي عِتَابِ مَشِيبِي(2)

و يقول **أبو عقال** :

لَاحَ المَشِيبُ بِلِمَتِـــي فَنَعَـــانِي وَنَفَى الصبَا عَنِي وَذَمْ عِنَـــــانِي(3)

ويقول **أمية بن أبي الصلت** :

حَسْـبِي فَكَمْ بَعَدْتُ فِي الله أَشْوَاطِي وَطَالَ فِي الفَنِ إِسْرَافِي وَإِفْرَاطِي(4)

و يقول :

إن حالة الاضطراب التي يعيشها الشاعر والألم الذي يتخبط فيه فيأتي المد الصوتي الذي هو يوضح للسامع هذه الصورة التي تقع في نفسه إثر ذاك التصويت الطـويل الذي تمثل فـي الواو والألف والياء . تدل على التشكي من حال الدنيا ومـعاتبتها " إذ كـان المتوجـع محكوما عليه في مـعظم الأطوار برفع عقيرته ويفتح فمه لإسماع شكـواه والتعبير عـن بلواه " (5). ولعل التكثير من المد الصوتي يجعل في البيت رنينا داخـليا ثـم أن بعـض هـذه الألفاظ جاءت جموعا (ذنوبي ، أشواطي) وهي دالة على التـكرار والكثرة .

(1) صبحي البستاني." الصورة الشعرية في الكتابة الفنية ". دار الفكر اللبناني بيروت لبنان – ط 1 . 1986 ص 51.
(2) العربي دحو ." الأدب العربي في المغرب العربي" ص 239.
(3) نفسه
(4) الخريدة ج 2 ص 456.
(5) عبد المالك مرتاض. "الأدب الجزائري القديم (دراسة في الجذور)" دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع . بوزريعة الجزائر ص 219.

الوزن والقافية والروي :

1. **الوزن** : إذا أمعنا النظر في أبيات هذه المدونة فعلى الأرجح نجد جل شعرائها فـي حالة خوف وجزع أوحالة يأس أو تحسر وبكاء وندم أو قلق واضطراب دائمين ، ولـما كان الـوزن أعظم أركاني حد الشعر.(1) أو هو جثمان الشعر(2) فقد يتخير الشاعر لذلك وزنا طويل المقـاطع يبث فيه أحزانه وعواطفه عموما وقد يتخير وزنا قصيرا يحصر فيه انفعاله مرة وهـدوءه مـرة أخرى ، يضع به موسيقى تعبر عن كل تلك الأحاسـيس والأشجان والتموجات النفـسية الحزينة التي ينتج عنها نبرة انفعاله فيكون لذلك نبرة خاصة كمثل قول **أبي عقال** :

مَنَايَ وَتَسْـويقِي بِنَفْسِي أَذُلُّهَا وَأُعلِمُـهَا فِيمَا عَلَيْهَا بِمَالِهَا (3)

هذه التفعيلة قد جعلت للغصب من تلذذ النفس بالحياة الدنيا و نسيان مصيرها أو كمثل قول **بكر بن حماد:**

لَقَدْ جَمَحَتْ نَفْسِي فَصَدَتْ وَأَعْرَضَتْ وَقَدْ مَرَقَتْ نَفْسِي فَطَالَ مُرُوقُهَا(4)

أو تكون هادئة قد رضيت بمصيرها واستسلمت لفعل الزمن متأملة في هذا الوجود فيجعل هذا الشاعر لذلك نبرة خاصة كمثل قول :

أمية بن أبي الصلت، حين يقول في آخر أبياته الطائية :

نَعَمْ وَمَالِي مَا أَرْجُو رِضَاكَ بِهِ إِلَا اِعْتِرَافِي بِأَنِي المُذْنِبُ الخَاطِي (5)

وقد تلونت كل عاطفة لدى شاعر بوزن من الأوزان المختلفة . وقد ألفينا لما ألفيناه من أبيات شعرية لهذه الفترة عددا من الأوزان الخليلية المعروفة كالطويل و الكامل وغيرهما. وقد أعاقني عدم التأكد من صحة جمعها من أن أذكر عدد كل بحر في هذه المدونة أو النسبة المئوية لكل بحر من مجموع البحور المستعملة أو أي تصنيف آخر.

2- القافية :

قال عنها **إبراهيم أنيس** :" ليست القافية إلا عدة أصوات تتكرر في أواخر الأشطر أو الأبيات من القصيدة ، و تكررها هذا يكون جزءا هاما من الموسيقى الشعرية (6) وقد جاءت

(1) ابن رشيق . "العمدة "ج 1 ص 134.
(2) "الشعر غاياته ووسائطه" ص 70
(3) العربي دحو." الأدب العربي في المغرب العربي " ص 259.
(4) المرجع نفسه ص 187.
(5) "الخريدة "ج 2 ص 456
(6) إبراهيم أنيس ،" موسيقى الشعر" ص 246.

عند شعراء الزهد المغاربة بنوعيها مقيدة أو مطلقة حسب حرف الروي المنوط بها .

وقد لا حظنا من خلال هذه المدونة التي لدينا كثرة القافية المطلقة : و لما كان الشعر هو تعبير عن العواطف الكامنة النفسية ، كانت حزينة أو غير ذلك وُجدت هذه الكثرة للقافية المطلقة التي جعلها الشعراء عامة مشبعة للنفس تكتمل معها صرختهم واستغاثتهم ولا تبترها ومن مثل هذه القافية المطلقة عند شعراء الزهد المغاربة ، قول **بكر بن حماد.**

أَيْنَ البَقَاءُ وَهَذَا المَوْتُ يَطْلُبُنَا هَيْهَاتَ هَيْهَاتْ يَا بِكْرَ بْنَ حَمَادْ(1)

أو قول **الحصري** :

وَأَنَى المَنَايَا لِيُدْرِكَنَ مَنْ وَنَى فِي الطَرِيقِ وَمَنْ أَرْكَظَا(2)

ولعل شعراءنا هنا في هذه المدونة لم يبتعدوا أو لنقل لم يخرجوا عن المألوف فيما يخص القافية المقيدة وعدم إكثارهم منها في شعرهم . فقد كان اعتمادهم في تعبيراتهم على القافية المطلقة ربما للأسباب التي ذكرناهم أو لأسباب لا نعرفها . و من مثل هذه القافية المقيدة قول **عيسى بن مسكين** :

لَعُمْرِي يَا شَبَابِي لَوْ وَجَدْتُكَ بِمَا مَلَكَتْ يَمِينِي لَارْتَجَعْتُكَ(3)

أو قول **بن عبد ربه** :

لَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ غَيْرُ المَوْتِ مَوْعِظَةً لَكَانَ فِيهِ عَنِ اللَذَاتِ مُزْدَجِرُ (4)

3. الروي :

يعرف الروي بأنه الحرف الذي تبنى عليه القصيدة و تنسب إليه حين يقال رائية فلان أو لامية فلان أو بائية فلان ...

ولقد جاء شعر الزهد عند المغاربة الذي تم لنا جمعه مشتملا على كثير من حروف الهجاء التي وردت رويا سواء أَنَدُرَ ذلك عند العرب أم كَثُر *(5) وقضية اختيار حرف الروي لقصيدة ما أو مقطوعة ما فهذا راجع إلى ذوق الشاعر و إحساسه العميق بتلك الموسيقى النابعة من قصيدته التي سوف تؤثر على المسامع وتجذبها نحوها في نهاية كل بيت من القصيدة.

(1) رمضان شاوش "الدر الوقاد" 80.
(2) الموسوعة.
(3) العربي دحو . "الأدب العربي في المغرب العربي" ص 238.
(4) "بغية الملتمس "ج 1 ص 195.
(5) ينظر ابراهيم أنيس." موسيقى الشعر" ، في تقسيمه للحروف الواردة رويا عند الشعراء فالراء مثلا كثيرة و الظاء نادرة ، ص 248.

ثم إن الروي هذا هو العنصر الأساسي في تشكيل القافية التي يشكل معها ضمن تكرارهما ذلك الإيقاع الموسيقي الخاص بالقصيدة .

أما المجموعة الشعرية التي تم لنا جمعها فقد اشتملت على 24 حرفا استخدمها الشعراء وقد يأتي أكثر من حرف رويا عند شاعر واحد .

و لعلنا نستطيع أن نوضح من خلال هذا الجدول قضية ورود حرف الروي حسب كثرته أو قلته ونسبة ذلك في هذه المدونة :

حرف الروي	عدد المرات في المدونة	نسبة وروده في المدونة
الراء	32	% 20.77

الدال	27	% 17.53
الباء	17	% 11.03
اللام	13	% 08.44
الهاء	11	% 7.14
الياء	07	% 4.54
الميم	05	% 3.24
النون	05	% 3.24
الضاد	05	% 3.24
الكاف	04	% 2.59
الصاد	04	% 2.59
التاء	03	% 1.94
الطاء	03	% 1.94
العين	02	% 1.29
الغين	02	% 1.29
الثاء	02	% 1.29
الفاء	02	% 1.29
القاف	02	% 1.29
الظاء	02	% 1.29
حرف الروي	عدد المرات في المدونة	نسبة وروده في المدونة
الجيم	02	% 1.29
السين	01	% 0.64
ء	01	% 0.64
الشين	01	% 0.64
الحاء	01	% 0.64

يتصدر هذه الحروف "الراء" كحرف روي بنسبة مئوية مقدرة بـ: 20.77% .

وبعدها حرف "الدال" بنسبة مئوية مقدرة بـ: 17.53% ثم تأتي بعدها الحروف "الباء" و"اللام" و"الهاء" بنسب متقاربة تليها الحروف: "الميم " و"النون" و"الياء" و"الضاد" . وتتأخر حروف "الحاء" و"الشين" و"الهمزة" والمدونة هي عبارة عن تنوع في أحرف الروي من كثيرة الاستعمال إلى متوسطة الاستعمال إلى قليلة الاستعمال .

ونستطيع أن نقول أن شعراء الزهد المغاربة قد نظموا قصائدهم ومقطوعاتهم على حروف الهجاء التي نظم عليها الشعراء العرب عموما شعرهم وكانت عندهم كما أسلفنا 24 حرفا وأهملت بعض الحروف.لا نجزم أنها غير موجودة لكن الواقع أنها نادرة.

- **التصريع :**

إن التصريع هو نوع من الموسيقى التي يحدثها الشعراء على أشعارهم فيحدث رنينا خاصا يود السامع أن يتلقاه مرارا وتكرارا. والتصريع هو كما قال **قدامة بن جعفر** " تصيير مقطع المصراع الأول في البيت الأول من القصيدة مثل قافيتها" (1) . وغير بعيد عنه يقول **ابن رشيق** " فأما التصريع فهو ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه ، تنقص بنقصه وتزيد بزيادته " (2) . وقد وجدناه عند شعراء الزهد وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن الشعراء المغاربة قد ساروا على نهج اللغة العربية التي سادت المشرق قبل الإسلام و بعده يقول **حمد يس القطان** :

بِيَدِ الله دَوَائِي الذِي يَعْلَمُ دَائِي (3)

إن هذا البيت الذي أحدث رنة قوية في أذن السامع حين حدث ذلك التكرار في آخر كل شطر وقد أضفى هذا التصريع موسيقى رنانة حملتها تلك الأصوات المتشابهة والتي شكلت لفظين متجانسين تمثلا في : " دَوَائِي " و " دَائِي" ،هذه النماذج تكررت عند كثيرين يقول **أبو عقال** :

قَرِينُ الحُزْنِ ذُو هَمٍ يَجُولُ أَخُو سَهْلٍ إِذَا نَامَ الغَفُولُ (4)

ويقول :

لَاحَ المَشِيبُ بِلِهَتِي فَنَعَانِي وَنَفَى الصِبَا عَنِي وَذَمَ عَنَانِي (5)

ويقول **عيسى بن مسكين** :

لَعُمْرِي يَا شَبَابِي لَوْ وَجَدْتُكَ بِمَا مَلَكَتِ يَمِينِي لَارتَجَعْتُكَ

لقد تم اشتراك العروض و الضرب عند **أبي عقال** في الحرف القافوي " اللام" في البيت الأول وفي التفعيلة: "فعولن" من بحر الوافر وتم الاشتراك و التوازن في البيت الثاني في الحرف القافوي " النون". و في التفعيلة ، "متفاعلن" من بحر " الكامل".

وتظهر هذه الظاهرة كذلك عند الشاعر صاحب النفوذ الكبير في شعر الزهد **بكر بن حماد** في قوله

(1) قدامة بن جعفر ." نقد الشعر" ص 51.
(2) ابن رشيق . "العمدة "ج 1 ص 156 أو 173
(3) العربي دحو ." الأدب العربي في المغرب العربي" ص 239.
(4) المرجع نفسه ص 260.
(5) نفسه ص 258.

فَيا أَسَفِي مِنْ جُنْحِ لَيْلٍ يَقُودُهَا وَضَوْءُ نَهَارٍ لَا يَزَالُ يَسُوقُهَا (1)

لم يكن التصريع عند **بكر** في هذه القصيدة في مطلعها بل كان في البيت الثاني فتلك المقابلة التي كانت بين يقود و يسوق أنبأت عن إيقاعي داخلي تمثل في اشتراك العروض و الضرب في تفعيلة واحدة هي "مفاعلن" من البحر الطويل ، و كان ذلك في الحرف القافوي " الها" و لعل هذا التصريع أنبأنا بتلك النغمات الصوتية التي نشد المتلقي و تجعله يندمج مع صاحب البيت السئ نفسه تراه عند شعراء متأخرين عن هؤلاء المذكورين و قد أتو بعد هم بأزيد من قرنين الحصري حين نجده يصرع في مطلع قصيدته الظائية :

إِذَا رُعِظَ السَهْمُ أَوْ عَظْعَظَا فَسَهْمُ المَنِيَة لَنْ يُرْعَظَا (2)

لقد اختار **الحصري** هنا تفعيلات " المتقارب" ليبث فيه خوفه و استسلامه لمصيره المحتم و جعل الاشتراك بين العروض والضرب في التفعيلة " فعل" ، و مثل هـذا التصـريع الحـرف القافوي " الظاء" في كلا الشطرين . وقد أحدث نغما خاصا بقصيدته التي قد اعتُبر (3) حرفهـا القافوي نادر الورود عند العرب .

ويمكن أن نقول أن التصريع هو دليل مقدرة الشاعر وهو دليل التميز للشـعر عـن النـثر ونقول في مجمل القول أنه كان حاضرا عند المغاربة في هذا الغرض المأخوذ.

(1) نفسه ص 187.

(2) الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث

(3) ابراهيم أنيس ." موسيقى الشعر " ص 248

المدونة الشعرية

-1- الإمام أفلح بن عبد الوهّاب (-240هـ)

هو ثالث أمراء الدولة الرستمية بتيهرت بالجزائر، يُشهد له بالعدل والورع والتقوى .

يقول في العلم:

العلمُ أبقى لأهلِ العلمِ آثارَا ... يُريكَ أشخاصُهم زوجاً و أبكارَا

حيّ وإنْ ماتَ ذُو علمٍ ،وذُو ورعٍ ... مَا ماتَ عبدٌ قضى منهُ أوطَارَا

العلمُ درّ لهُ فضلٌ ولا أحدٌ ... في النّاسِ يدري لِذاكَ الدرِ مقدارَا

للعلمِ فضلٌ على الأعمالِ قاطبَةً ... عنِ النبيّ رَوَينَا فيهِ أخْبارَا

يقولُ طالبُ علمٍ باتَ ليلتَه ... في العلمِ أعظمُ عند الله أخطارَا

منْ عابدٍ سنةً لله مجتهدَا ... صامَ النّهارَ وأحْيَ اللّيلَ أسهارَا

أشدُدْ إلى العلمِ رحلا فوقَ راحلةٍ ... وَصِلْ إلى العلمِ في الآفاقِ أسفارَا

واصبرْ على دُلجِ الأغساقِ مُعْتَسِفاً ... مهامه الأرض أحزاناً وأقطارَا

حتىّ تزور رجالاً في رَحلهم ... فضلاً فأكْرِمْ بأهلِ العلمِ زوارَا

وألطُفْ بمن أنتَ منه العلمَ مقتبسٌ ... جَدِّد له كل يومٍ منكَ أبرارَا

ولا تكنْ جامعًا للصّحفِ تخُونُها ... كالعيرِ يَحملُ بينَ العيرِ أسفارَا

نِعْمَ الفضيلة نِعْمَ الذّخيرة تورثه ... لنفسك اليومّ إنْ أحْسَنتَ أثارَا

و اجْعلهُ لله لا تَجعلهُ مَفخرَةً ... ولا تُرائي به بدوًا ، وأحضارَا

تَعسّفا لكلِ مُراء غيرَ مقتصدٍ ... و قدْ تقلّد أثَامًا ، وأوزارَا

يصْطادُ بعلمِ أموالِ العّباد كما ... يَصطادُ مقتنصُ بالبّازِأطيارَا

ولا تُداهِن إذا مَا قلتَ مسألةً ... أضرّرت بالدّين إنْ داهنتَ إضْرارًا

واَجْعل لنفسكَ حظًا من مَداركه ... معَ الصّديقِ إذا استوحشتَ أسْمَارَا

وكنْ بربّك لا بالنّاس مُعتصما ... كفَى بربّك رزّاقاً وغَفّارَا

خيْرُ العّباد عبادُ الله إن لهُ ... لُطفاً خفيّا يَرُدُّ العّسرَ أيسَارَا

سُبْحانَه صَمَدٌ لاَ شيءَ يشبهُه ... أقْررْتُ لله بالتّوحيدِ إقْرَارَا(1)

(1) العربي دحو ، الأدب العربي في المغرب العربي ، من النشأة إلى الدولة الفاطمية – دار الكتاب العربي للطباعة و النشر – القبة ، الجزائر .2007 ص 261

-2- أبو الأحوص أحمد بن عبد الله (-284):

سكن سوسة وهو من أصحاب سحنون مكفوف البصر ، قال من (الهزج):

أَبَو أنْ يرقدُوا اللّيلا فَهُـــــمْ لله قُـــــــوّامٌ

أَبَوا أنْ يفطرُوا الدّهرَ فَـــهُمْ لله صُـــــــــــوّامٌ

أَبَوا أنْ يخدِموا الدُّنيا فهُم لله خُـــــــــــدّامٌ (1)

3-حمديـــــس القطـــــّان(-289):

هو أحمد بن محمد الأشعري عامر بني الأغلب له هذه الأبيات عند ما أشاروا عليه بإحضار الطبيب عند مرضه .

بيَدِ اللهِ دَوَائـــــــي الـــّذي يَعْـــــــلَمُ دَائـــي

إنـــّما أظلِمُ نفســـــي بإتـــّباعـــــي لِهـــوائي

كلّما دَاوَيتُ نفسِـــــي غَلبَ الـــــدّاءُ دَوائـــــي (2)

4- عمر بن يوسف بن عمروس (-290)

هو أبو حفص بن عيسى أصله من إشبيلية و لكنه أقام في إفريقية حتّى توفي بسوسة قال :

أيَا نفسُ قدْ أثقلْتِني بذُنـــــــوبي أيـــــا نفسُ كُفـــّي عن هواك وتـــوبِي

كيف التصابي بعدما ذهب الصّبـــا وقـــــدْ ملّ مقرا في عتـــابِ مَشِيـــــبِي (3)

5- مجبر بن سفيان(-285): قال

لعـــلّ الّذي نَجـــى منَ الجبّ يوسُفا و فرّج عـــن أيـــوبَ إذْ مسّـــه الضّـــرُ

و خلّصَ إبراهيمَ من نـــــارِ قومِهِ و أعلَى عصَـــا مُوســـى فذّل لهُ السّحْرَ

يصبِرْ أهلُ الأسْرِ في طولِ أسرِهِمْ علـــى معضِـــلاتِ الأسْرِ ، لا سلمَ الأسْرِ(4)

6-أبو جعفر أحمد بن أبي سلمان داود الصوّاف (-291هـ): قال من (المتقارب)

سأُلْبِـــسُ للصّبرِ ثوباً جميـــــلاً وأفتـــُلُ للصّبـــــرِ حبلاً طويـــلاَ

وأَصبـــرُ بالرّغـــــمِ لا بالرّضَا وأُخلّصُ نَفســـي قليـــلاً قليـــــلاَ (5)

وقال من(الكامل) :

(1) العربي دحو .الشعر المغربي من الفتح الإسلامي إلى نهاية الإمـــــارات ص 177، المالكي رياض النفوس ج 1 ص 483 أو 528

(2) معالم الايمان ج 2 ص 205 ، العربي دحو .، الأدب الأدب العربي في المغرب العربي ص 239 ، رياض النفوس ج 1 ص 534

(3)العربي دحو . الادب العربي في المغرب العربي ص:239

(4) المغرب العربي: تاريخه و ثقافته : رابح بونار ، ص 119-120 ، محمد مرتاض . التجربة الصوفية عند شعراء المعرب العربي في الخمسية الهجرية الثانية .

(5) العربي دحو. الادب العربي في المغرب العربي ص:250

يَا لـــذ ّةً قَصُرتْ وطالَ بـــــــلاؤُها عنـــدَ التذكـــُرِ في الزّمـــانِ الأولِ

لمّا تذكَـــــرَها قــال نـَدامـــَـة من بعـدِها يا لـيتني لـمْ أفعَـــلِ (1)

وقال أيضا من الطويل :

أرى البَّرق من نحو العذيب تَوقَـــدا تغيبُ طـورًا لمعـــه ، و تـــَـردّدَا
أفْقْ أيّها الباكـي المسائـِل منـزلا تشتَّـت َمنـــه أهلُـــه فتبـــدّدَا
كفى عَجبا أنـَا جهلنـاه ماخـــَلا ملاعب ولـــدان و نؤيـا و مُوقِـــدَا
ألفتْ بـه غيـْداء إذا هـي ناهـدٌ و إنْ كنتُ مرمـــوقَ الزيادةِ أمـــردَا
و كنتُ قريبا إذا دَعَتني ابـــنَ عَمّها فلمّـــا دَعَتني عمّهـــا كنتُ مُبعَـــدَا
و كلُّ نساءِ الحـيّ يَهويـْـن طلعَتي ليَالي كانَ الشَّعـــر أرْجـل ، أسْـودَا
فلمّا إكتسيتُ الشَّيبَ صِرت ُإلى النُّهى و أصلَحتُ من شَأني الـذي كانَ مُفسدَا
لبستُ به ثوبَ الوّقـــارِ ، و كلّمَـــا بليـتُ ، و أبليتُ الثِّيَـــاب تَجَـــددَا
جـَزى اللهُ طـولَ العُمْـر خيـــرَا فإنه حَدَاني إلى التّقوى و دلَّ و أَرْشَـدَا
و لمّـا نَحَـا عُمري ثَمانينَ حجـــةً و أيقنـتُ أنـــّي قد قَرَبْتُ من المَّدَى
تركتُ تكاليـــفَ الحيـــاةِ لأهلهَـا و جانبتُـها طوعـًا مُجانبتِي الـــرَّدَى
رأيتُ حَليـــمَ القّومِ فيهـــم مُقدمـًا و منْ نَالَ علمًا نالَ جاهًا و سُـــؤْددَا!!
أَرَاني بحَمدِ الفي المَـال زاهـــدًا و في شَرفِ الدّنيا ، و في العِزِّ أزْهـــدَا
تخليـتُ مـن دُنيـايَ إلاّ ثلاثـــةَ دفاتـر من علـمٍ ، و بيتـًا و مســـجِدَا
غيتُ بُهـــا عن كـل شئٍ حويتُـــهُ و كنتُ بها أعفـَى ، و أقنَـى ، و أسْعدَا
و قـدم ذمّ قـومٍ ما فعلتُ جهالـــةً فعُدوا مع الجهَّـال في الجَّهـــلِ أحمـدَا
و لو فَهِمُوا رأيِ ، و أمرِي لأبْصـروا و قالوا : رَأى رأيًا سديـدًا مُســـدّدَا
ألم تـــَرى أنّ الدّهـرَ و أوقَ أهلُـه همُومًا ، و أن العَّيشَ صارَ مُنكَّـــدَا!!
فمـــَا حـلّ يـومً فيـه إلاّ بفـجعَةٍ و أنت لآخـرى فيـه منتظـرٌغـــدَا
و ما فرحـةٌ إلاّستصبـح تَرحـــَـة و ما صاحبُ إلاّ سيصبـحُ مُفـــردَا
و كـمْ قدّر رأيَنا من عزيزٍ مشـــرفٍ يبيتُ مُقـراه في القّبـــــابِ ممهّـدَا
فجَتْهُ المَنايا و هو في حيـنِ غفلـــةٍ فأضحىَ ذليلاً في التّرابِ مُـــوسّدَا(2)

(1) المرجع السابق ص 251.
(2) نفســه ، ص 194

وقال أيضا الطويل :

و لمّا صَحــا عمري ثمــانينَ حجةً هجرتُ تكاليفَ الحيــاةِ لــمّا فجــا
و لاقيتُ أترابــي فأحــدبُ ماشيــاً و آخرَ مكفوفــاً ، و آخــرَ أعرجَــا
تمنيتُ طولَ العمــرِ أحيَا مؤدبَــا و أسلكُ فــي التّعليــم للعلّم منهَجــا
و خالــطَ عيني العشــا بعدَ حــدّة و صارَ لسانـــي إذا تكلّم لَجْلَجــا
و في أُذني وقْرٌ ، و ظــهري به حنَا و ما أَبتغــي ممّا أنــا فيهِ مَخــرجَا
رأيتَ الذي قد كنتُ فيه لــدى الصِّبى من الشَّيب و التّشييخِ أشْنا و أسمــجَا
و أصْــلح أَزماني أو أن زمــاننــي لزمتُ العصا من بعد مَشيبِي تبــرجَا
و أصبحتُ ممّا كنتُ أبتغي من الغِنَى إلى الزّهدِ في الدّنيا الدّانيةِ أَحْــوجَا
و حبستُ نفسي بين بيتي و مسجِدي و قد صرتُ مثل النّسرأهوى التعَرُّجَا
كأنّي بهــم قدْ أعلنوا بَعدي البُكــا إذا أنا صرتُ فــي المدارجِ مُدرجــا
و في حينٍ يقضيني،و في قولٍ لبعضهم لبعضٍ : توفي التشيّخ،و انقطعَ الرّجَا
فيــا خيــرٌ مرغوبٌ إليــه لراغبٍ و يا خيرٌ من يلجأُ إليه لمنْ لَجَــا
كمَا لم تضيعنِي ربِّ، منذ خلقتنــي قِنِي في معادي حرَّ نارٍ تأجّجــا(1)

و له أيضا الوافر :

تفهَم يــا حبيب، هديــت قيلــي تنَــال بفهمــه خيــرًا كثيــرَا
سَمِعْتك تذكــر الشّعــراء طرًا و تُنشــد قَولهــم جمّــاً غفيرَا
و ليسَ مُــؤلف قــولاً حكيمــاً كآخر قائــلاً : إفْكَــا و زُورَا
و يَرجــفُ قولــه لينــالَ دنيَــا إذا ما نالهــا نــال الغــرورَا
فــلا تُشغَــل بقــولٍ غيــر قيلــي فمــا في النَّفــع كان لــهُ نظيرَا
فَدَعْ عنــك المذاهبَ و اتبعنــي متابعــةً تجــدْ خيــرًا كثيــرَا
فقيــه النّــاسِ سحنــون تجِدنــي لأكثــرَ فقهــه بصَــرًا بصيــرَا
و في فِقْه الفقيــهِ أبــي سعيــد وجــدتُ الحــقّ مُتّضحــاً مُنيــرَا (2)

(1) العربي دحو .الشعر المغربي من الفتح الإسلامي إلى نهاية الإمـــارات ص 195
(2) المصدر السابق ، ص 196-198

و في تعليمِه علمــاً عليمــاً و فــي تأْديبــه ستْــرا ستيــرَا
لزمتُ فنــاءَهُ عشرين عامــاً أُغاديــهِ و أغشــاه هجيــرَا

و كنتُ مُؤدِّبــا نفسي لنفسِــي علـــى نفسٍ أجنّبهـــا النّكيـرَا
فقلتُ من العلومِ لطولِ عمــري و إمضائـــي و تَجربتي الدّهورَا
و حُزتُ من السّلامة ما كَفَاني وَوَقَانــي ، و بلَغنــي السُّــرورَا
و لمْ ألبس لذُّل الفقـــْـر ثوبا و لم أكُ في الغِنى بطرَا فَخُـــورَا
و لم أجزَعْ ، و للأيّام صِــرفٌ يعودُ عسيرهَــا سهــلاً يسيـــرَا
و لم أفْرح لأنّ لها انقلابـــًا يُعيد يسيرهــا صَعبــًا عسيـــرَا
و إنّي و إنْ توالـــى فجعهــا لجَـــلِدًا... صبُـــــــورَا
و لا أنا و إنْ نابَت نائبةٌ خضُوعا و لا متضعِفــًا جزِعًا ضجُـــورَا
و إنْ أودعْت سرّاً كنتُ حــرزًا و لم أخبرْ بــذاكَ أخــًا وَزِيـــرَا
إذا كانَ الفَتى عنـــِّي غنيـــًا فلستُ إليــه محتاجــًا فقيـــرَا
أواصلـــُه إذ يْبغِــي وِصَــالي وأمنَحُــه – إذا قطــع- الدّبــورَا
و ليسَ مــن الجَّميــل يرى كبير يُتَابع مدارا حدثــًا صغيـــرَا
أرى الدُّنيـــا تغيرُهــا اللّيــالي و أيّامًا مؤلفـــةً شهـــــورَا
أرى بِمــا يَجيئ بــكلّ خيـــرٍ و يومًا بالحـــوادثِ مُستطيـــرَا
كَذَا أحْوَالُ دهرِك، حــالُ أمــنٍ و حالُ تجزعُ البَطَلَ الجَّسُـــورَا
و كمْ مَلِكٍ عظيــمٍ ذي اختْيــالٍ أَعَدَّ خزائنًا بنـــى قُصـــورَا
و كانَ مَدَاه ذَا خطــرٍ عظيــمٍ فصارَ مُؤجلاً أجـــلاً قَصيـــرَا
و مِنْ ذاكَ التــملّك و التَّعــالي و سكَنَ قَصْرَه ، سَكَنَ الحَّقيـــرَا
و أُضْجِعَ فــي التُّرَاب بلا مهادٍ يضيقُ اللَّحد منجـــدِلاً غفيـــرَا
و كمْ من طالبٍ للمــالِ يسعــى و يركبُ في مَطَالِبــه البُحُـــورَ!؟!
فصَار يَوَدُّ أنْ لو كــان أضحَــى على تفريـــقٍ ما حـــوى قديـرَا
و عاد يَوَدُّ أن لو كــان أمسَــى و ليسَ بمـــالِك منـــه نُقيـــرَا
و قدْ حبسَ اللّســان فلاَ كـــلامٌ و قد سمِعَ الصّيـــاحَ المُستطيـــرَا (1)

(1) العربي دحو . الشعر المغربي من الفتح الإسلامي إلى نهاية الإمـــــارات ص 196-198

فإمّــا مُؤمنٌ يَرجو خلاصــًا و إمَّا كافــرٌ يُصلِــي سَعيــرَا
فويلٌ للشّقـــي إذا تـــردّى و صَارَ إلى التِي ساءَتْ مَصِيرَا

إلى نـــــارٍ تلظيهـــــا شَديدُ و تُزفِر في تَغطيهـــــا زَفِيرَا
و طُوبى للسّعيـــد إذْ حبَـــــاه إلهُ العَرْش في الفردوسِ حُورَا
و صار شرابـــُــه من سَلْسَبِيل و أنهـــــارَ مُفجرةً خُمـــــورَا
أراني و قدْ كبِرت ورقّ عظمي و صِرت مُخامرَ ضرًا ضريرَا
كأنّي بالبكـــــاءِ على فـــــاشِ و قد حَمَلُوا بجثَّتِـــــي السّريرَا
إلى دارِ البَلي حمـــلاً سريعـــاً و ينصرفـــُون عن قبْرِي نُفورَا
و خَلوني بأعمـــــــالي فَرُوحي على الحـــــالاتِ تنتظرُ النُّشورَا
أجِرْني من عذابِك و أعْفُ عنّي و كنْ لي منكَ يـــــا أملي مُجيرَا
فقدْ كَبِـــــرتُ ورقّ عظمـــــي لجـــأتُ إلى فنائِك مُستجيـــــرَا
و إنـــّي لم أزلْ أرجُـــــو عفوًا لأنّك لم تـــزَلْ ربّـــًا غفُـــورَا (1)

و قال الوّافر :

دُعِيتُ معلمًا إذ صرتُ شيخـــــاً و أيامُ الشّبيبـــةِ كنتُ بـــــــورَا
لئِـــنْ كـــان المَشيبُ أتى نَذيرَا فإنّـــي سوفَ أدعـــــوهُ بَشيـــرَا
فأهْـــلاً بالمَشيبِ لنَـــا لباســـــاً وقـــارًا نَستزيـــدُ لـــه وقـــــــارَا
و جزتُ بتسعةٍ و سبعينَ عامًـــا و قـــد ضَمنتُ أصحابِي القُبـــورَا
و صِرتُ كراكِـــعٍ يمشِي دبيبـــا و أصبَحَ خاسئًا بصري خسيـــرَا
و ألقى الدَّهرُ فـــي أُذُني وَقْـــرَا و في بَدَنِي ، و في بَطْنِـــي فتُورَا
و في فِقْه الفَقيـــه أبـــي سعيـــدٍ رأي الحـــــقِّ متضـــاً ، مُنيـــرَا
لزمتُ فنـــاءَه عشرينَ عامـــــاً أغاديهِ ، و أغْشَـــــاهُ هَجيـــرَا (2)

(1) العربي دحو . الشعر المغربي من الفتح الإسلامي إلى نهاية الإمـــــــارات ص 196-198
(2) المصدر السابق ، ص 199

7- عيسى بن مسكين(-291هـ)

هو عيسى بن منصور بن حريح بن محمد الإفريقي من تلاميذ سحنون، كان قاضيا

قال عـــن الكبر :

لمّـــــا كبُرتُ أَتَتْـــــني كل دّاهـــيةٍ مِنْ كلَّ ما كـــانَ منّي زائِداً نُقْصـــــاَ

أُ صافح ُالأرضَ إنْ رمتُ القيامَ وإنْ مشيتُ تصحبنِي ذاتَ اليُمنَى عَصَا(1)

وله أيضا عن ألمه:

أصابَ الدّهرُ عظمَ ساقٍ به كنتُ مشّاءً جليدًا
إلى الفقهاء أنقلها وأطْوي بها للحّاجة البلدَ البَّعيدَا
إذا رِجْلُ الفتى يومًا أُصيبتْ وطالَ سقامُه أَلِفَ القُعُودَا
وصارَ لبيته جَلِسًا وأمسَى من الإخوان مُنفردًا وحيدَا (2)

وله في الشباب :

لعمري يا شبابِي لو وجدتُكَ بما مَلَكت يمينَ لارْتَجعْتُكَ
ولو جَعَلتْ لي الدّنيا ثوابًا وما فيهَا عليكَ لمَا وَهَبْتُكَ
ونُحتُكَ و انتحبْتُ عليكَ دهْرًا فلم تغنِ النّياحَةُ حيث نُحتُكَ (3)

8-محمد زرزر الفارسي (-291هـ) :

هو أبوعبد الله من طلبة سحنون كان حافظا للغريب بصيرا بالعربية (4) قال:

تهتّك الستّر عن ذي الغَيِّ و الفند وحَصْحَصَ الحقّ بعد الغي ّو اللّدد
و أيقنَ المشركُ الدّاعِي له ولَدُ بأنّه اُلله لم يُولدِ ولم يَلِدِ
لا موتٌ يدركه ،لا شيءٌ يشبهُهُ يبلى الأياد ولا يَبلى على الأبَدِ
ويحُ بنُ آدمَ من عاصٍ لخالقِه ومنْ مصرٍ على الآثامِ معتقدِ (5)

(1) العربي دحو .الشعر المغربي من الفتح الإسلامي إلى نهاية الإمارات ص 175
(2) نفسه
(3) نفسه
(4) رابح بونار المغرب العربي ناريخه و ثقافته ص 116.
(5) رابح بونار المغرب العربي ناريخه و ثقافته ص 116. معالم الايمان ج 2 ص 247.

9- أبو عقال ابن غليون(-290هـ) :

عاصر أخته مهرية ، و هذه برزت في أواسط القرن الثالث الهجري بتونس يقول من الكامل :

عقدتُ عليك مُكْمِلاتَ خواطري عقدُ الرّجاء فألزمتني حُقوقَا
إنّ الزّمان عدا عليّ فزادني علمًا بأنّك سيدي تحقيقَا
ما نالني ضرٌ بوجه مساءةً إلاّ وجدتُ به إليك طريقَا

حسبـــي بأنّك عالِـــمٌ بمصالحِـــــي إن كنتَ مأمُـونا عليّ شفيقـَا
فامْضِ القَّضَاء على الرِّضى منّي به أنّي رأيتك في البِّلاد رَفيقـَا (1)

و قال المتقارب :

أيَا منْ يـــــرى الرّشد فـــــي غيّهِ و يخبـِط في الدّاجياتِ القَتَـادَا
تَجـــــــــافُ بِنَفسكَ عَـن حتفِهـا وَ خـــُذْ لأَمانِكَ منـكَ القَيَـادَا
أَجِبْ دَاعـــــــــيَ الله لا تُعصِـه فقدْ جادَ بالنّصحِ جهْرًا و نَـادَى
و لا تُلْـه بالمُوبقـَـــــات التِـي أبادتْ بوائقُهـــا مـن تَمـادَى
و أقفَـرتُ الرّبـعَ منْ أهلِـــــــهِ وَ أبقَتْ حلُوفَ النَّدامَـى فَرَادَى
و شتَّتُ الشَّمْـــلَ بعد إئتِـــــلافٍ فلم تَبقـــى للرّائدين ارتِيَـــادَا
بلوتُ الزَّمـــانَ و دسّتُ البِـــلادَ و نافســـتُ في كل شئٍ عِنـَادَا
شربتُ المـــــدامَ و سُسْتُ القيَّـانَ و رُضْتُ الجيَّادَ ، ورُعتُ الشِّدادَا
أَصيـــدُ الغَـــزَالَ و أم الرِّئَـال بطـرفٍ أراه يُجيـدُ الطَّـــرادَا
و صَعلكتُ في البّـر و البّحر دهْرًا أُخلّفُ أهلـــي علـــيَّ حِـدادَا
أَسومُ البِّعـــاد ، و أهْـــوى اللِّذاذَ و أُظهِرُ في الأرضِ منـّي الفَسادَا
أروحُ علـــــــى هـــذَا و ذَاك أُديمُ السهـــادَ ، و أَجْفُوا المِهادَا
إلى أنْ تنـــاهَتْ حدودُ القضـــاءِ و أنْفَـــذَ سُلطانَـــه مُـا أرادَا
فَجَلَـــى مـــن القلْبِ إظلامُـه و أنْورَ مـا كـــانَ منـه سُوَادَا
فألزَمْـــتُ نفســـي مَدَى صبرِها و خالَفْتُهَـــا فـــي هَوَاهَـا عِنادَا
و بايَنْتُ مـــا كنتُ ألهُـــو به فأمسَـــى و أصبحَ عندِي سُهـــادَا(2)

---

(1) المصدر السابق ، ص 200.

(2) نفسه ، ص 200-202.

رَضيْتُ بـــذُونِ الكفايـــةِ قُوتـــًا و باللهِ عنِ كلِّ خلـْقٍ عِمَـادَا
فأضْحَـــى المُلُوكُ ، و أهْلُ النَّعيمِ أقلَّ البريـــَّةِ عنـــدِي العـــدادَا
و أَسْقَطْتُ لومِي عنِ العَالميـــنَ فمَنْ شاءَ وَدّ و مَنْ شاءَ عَادَى
فمَنْ دامَ دمتُ لـــــهُ في الوَّفـــاءِ و زَايَدْتُـــهُ أبـــدًا مَا اسْتزَادَا
و منْ تَاهَ تُهْتُ بِـــمنْ لاَ يُـــذِلْ بِهِ منْ أَعَـــزَّ وَ لاَ مَنْ أَسَادَا
فلمْ أَرَ عيشًا كعيشِ القَّنـــُـــوعِ و لمْ أرَ مِثـــلَ النقِّي لِي مُرَادَا(1)

و له أيضا :

لاَحَ المَّشيبُ بِلمَتِـــي فَنَعَـــانِـــي ... و نَفَى الصِّبا عنِّي ، و ذَمَّ عنَانِي
و نَائَتْ خُطُوبُ الحادثات بأسْرتي ... فبقَيْت مُنفـــردًا مِـــنْ الأقْـــرَانِ
فَلَئِنْ مَضَى صَدْرُ الزَّمَان بِصَفْوِهِ ... فالأخْذُ مـــنْ لسيِـــــدِي المنَـــانِ
و لأقطعَنَّ علائِقِـــــي منْ غيرِي ... حتّـــى أحـــلَ ساحـــةَ الميـــدَانِ
و لأنْفِيَنَّ مَطامِعِي ، و مَلابِســـي ... و لأمنعنَّ مـــنَ الكَّلامِ لسَانـــــي
و لأهْجُرَنَّ أحبَّتي ، و مَعَارِفـــي ... و لأقْطَعَنَّ عصَابـــةَ المُجَـــــانِ
و لأبْكِيَنَّ على الصِّبا و لمَا مَضَى ... مِنْ غُرَّتِي فـــي سَـــالِف الأزمَانِ
فَلَعَلَّ مَنْ شَمَـــلَ العِّبَـــادَ بفضْلِـــه ... يُحْيِي الفُؤادَ بكثـــــرَةِ الأَشْجَـــانِ
يَا مَنْ إليه حسنُ ظنّـــي قَادَنـــي ... أنتَ المؤمّـــلُ عندَ كـــــلِّ أَوَانِ
فَامْنَنَّ عليَّ بما أؤْمِلُ منكَ يَـــــا ... مُعْطِي الجَّميلِ ومُسدي الإحسانِ (2)

و له كذلك من (الطويل):

مُناي وَ تَسويفي بِنَفســـي أذلّهـــا ... و أُعملُهـــا فيما علَيهـــا بِمَالهـــَا
تَميلُ إلى حـــــظِّ القُـــوتِ دارسٍ ... بحظِّ منَ الدَّارِ التِي لا أنقضالهـــَا
كأنّي للدّنيـــــا رهيـــنٌ بخدعـــةٍ ... تحالفني يومًـــا و يبقَى وبَالُهـــــَا
و ناشئةُ اللَّيل البَّهيـــمِ يَقُومُهَـــــا ... رِجالٌ أضَاعتْ فَرشَهَـــا و حِجَالهَا
سوَامِـــرٌ أسدالُ الظَّلامِ ضوَامِـــرُ ... بِنيلٍ مِنَ الأقْتَـــــارِ منهَـــا مثالهَا
و لاذَتْ بِمَوْلاها بَصائرُ فِكرِهَـــا ... فَأَنْعَشَهَا رُوحُ الحَيَّـــاةِ و عَالَـــهَا(3)

---

(1) نفسه

(2) نفسه ص 203.

(3) نفسه ص 204-204.

فَلَمّا رَأَى مـــنْ آثَـــرتُ بِحُبِّهَـــــا ... دَوَامُ الأَسى منهَا عليهَـــا رَثَى لهـــَا
فَعَفَى مرَاقيهَا و أوصَى سُهُولُهـــا ... وَ حطّت عليه بالوّجودِ و حالُهـــــَا
نَعيمُ ذَوي الألبابِ، بُرهانُ صدقِهِم ... و لِي حالـــةٌ لَمْ يَنْعـــم الله بَالـــهـــا
كأنّي وَ نَفْس بين حربٍ و هـــُدنةٍ ... إذا ســـاعَدَتني في السّهادِ بَدَالهـــــَا
إذَا ذادها للوّرد حَادي وعِيدُهـــــا ... أشـــــَار إليها ضـــدّهُ فَـــأَزَالهـــَا
تُخَالفُنِي في كـــــلِّ أمرٍ أريـــــدُه ... و تَقْطعُ مِـــن باليَميـــــن شمَالهـــَا

فمَنْ لي بنفسٍ لا تَزالُ غَويَـــةً تساعِـدُ شيطانـــاً يُريدُ ضَلالهـَا
فَلو كَانَ لي التّخييرُ في بَدءِ خَلقتي تَعَوّذْتُ مــن نفسي فلم أرَ حَالهـَا
و كنتُ كَمَنْ لم يُبدِعْ الله خَلْقَـــهُ فــلاَ علّة آسى عليهَـــا و لاَ لــهَا
و لو تَكنتُ في الدّارين حرًا مدلّلاً لنَغَصَ ذِكرُ المَوتِ عنــدي دَلالهـَا
فلاَ كانتْ الدّنيا، و لاَ كنتُ قَبْلها فَمالِ ، و مَا للعيشِ فيهَا، و مَالهَــا(1)

و قال : (الوافر)

قَرِيــنَ الحُــزْنِ ذُو هَــمٍّ يجُــولُ أخــو سَهــرٍ إذا نَــامَ الغَفــولُ
دَؤومُ الكَــدِّ أوَاهُ إذا مــا تَذَكّرَ مــا تَوَعَّدَه الجّليــلُ
عزوفُ النّفسِ عن شَهَــواتِ دارٍ تميلُ لَها القُلوبُ و مَا تميــلُ!
قريرُ العّيــنِ بالإخــوانِ ، صَبّ غزِيرَ الدّمــعِ بَسّام وصُــول
سخِيَّ الكَــفِّ ليس بهــا لديــهِ مِنَ الدّنيا، و إنْ جَلَتْ ، بَخيــلُ!
رَحيبُ الصّدرِ ليس لــَـه إدخَارٌ و لا أهلٌ ، و لاَ ولــَـدٌ يعــُولُ
فَعــولٌ ما يَقــولُ وكلّ ما أمــرٌ يدل ّعليه فهُــو لَــه عَمُــولُ
ذكِــيّ النّــفسِ ذُو عقــلٍ ولُبٍ صَدوقُ اللّفظِ تفهمْ مَا يقــولُ(2)

وقال أيضا من (الطويل) أيضا:

دَعَا مِــنَ الأوطانِ شوق مُبــرِح فجــادَ عليه دَمْعُه وهــُو قاطــرُ
عليه لِكتمانِ المَودّةِ شاهــــدٌ من الوّجــدِ يبدي ما تَجُنِ الضّمائرُ
عــزوفٌ عن الآمالِ بين ضُلوعهِ بيْن الحَشا منْ لوعةِ الحُّب بَاتــرُ(3)

(1) المصدر السابق ، ص 204-204.
(2) رياض النفوس ج 1 ص 543.
(3) نفسه ص 544.

ألاَ فَعَلى الدُّ نيا عَفَــاء يشوبــُـه طَلاقي لها مَــا ساعَدَتني البَصَائِــرُ
فإنْ أقبلَــتْ يومــاً عليَّ بودِّهــا فإنِّي لمَا تولى مــنَ البِــرِّ كافــرُ
لعَمــْرك مَا في الدّنيــا شَيءٌ أُريــدُه سِــوى أنَّــها نــَـزلٌ وأَنيّ مُسَافــرُ(1)

وقال أيضا:

أَبصَــرَ بالقَّلبِ سبيلَ الرّشــدِ فبــايَــنَ الأَصــلُ معــاً والولَــدِ
وَجــدَّ في اليُسـرِ إلــى ربِّــهِ مُشَمِــراً يطْــلُب ملــك الأَبَــدِ

قد صـــــارت الدّنيا بأقطـَارِهـــــا عليـــــهِ كَالسِّجـــــــنِ فمنْهَا شَـــــرِدِ (2)

10- بكر بن حماد الزِياتي التاهرتي (-295هـ)

هو أنبغ شخصية في الشعر الغنائي بالمغرب (3) وهو يتزعم الحركة الزهدية في عصره (4)

يقول من (البـــــــــسيط):

زُرْنَـــا مَنَازِلَ قَومٍ لم يـــزورُونَـــــــا إنـــّا لَفِي غَفلَـــةٍ عمّـــا يُقاســـــــــونَا

لو ينطقُـــــونَ لقَالوا:الزّادُ ويْحَكُـــــم حلَّ الرّحـــــــيل فمَا يرجـــُو المُقيمُـــونَا

المـــــَّوتُ أجْحفُ بالدّنيا فخْـــــرٌ بهـــا وفِعْلُنَـــا فِعْلَ قَـــــومٍ لا يَمـــُوتـــونَا

فالآنَ فَابْكُـــوا فَقَدْ حَقَّ البُكـــــاءُ لَكُـــمْ فالحاملـــُــــون لِعرْشِ الله بَاكـــُـــونَا

مـــــــاذَا عَسى تَنفعُ الدّنيا مَجْمَعُهَـــــا لَوكـــَان جَمـــــْعٌ فيها كَنْـــــزٌ قَـــارُونَا(5)

ويقـــــــول أيضـــــــا من(الرّجـــــز):

أُحِبُّو إلى المَوتِ كمَا يحبُـــو الجمـــــــلُ قد جَـــــاءَ نِي مَـــــا ليس لي فِيه حِيّلُ (6)

ويقول متأملا في هذه الدنيا وعن أن الخير يقل فيها من (الطويل)

لَقَدْ جفّت الأقْلامُ بِالخَلقِ كُلّهُـــم فمنْهُم شَقِيّ خَـــائِبٌ و سعيـــدُ

تمُرّ اللّيالي بالنّفوسِ السّرِيعـــةِ و يُبْدي ربِّي خَلقَهُ، و يُعِيـــدُ(7)

(1) رياض النفوس ج 1 ص 544

(2) ابراهيم الدسوقي ، جاد الرب ، شعر المغرب حتى خلافة المعز ص 156

(3) رابح بونار. المغرب العربي ناريخه و ثقافته ص 120.

(4) محمد الطمار ، تاريخ الأدب الجزائري ص 35

(5) رمضان شاوش ، الدر الوقاد . ص 90 . من شعر البكر بن حماد ، المطبعة العلوية بمستغانم ، 1966 . معالم الايمان ج 2 ص 282

(6) رمضان شاوش ، الدر الوقاد . ص 92.

(7) نفسه ص 75.

أَرَى الخَيْرَ في الدّنيَا يَقِـــلُّ بِكثرَةِ و ينقُصُ نُقصًا و الحَديثُ يزيدُ

فلو كانَ خيرًا قُل كَالخَيرِ كلَّـــهُ و أحسَبُ أنّ الخَيرَ منهُ بَعيـــدُ (1)

ويقول في السفر من غير زاد من (الوافر):

نَهارٌ مُشْـــرقٌ وَ ظَـــلامُ لَيـــلٍ أَلَحَّـــا بالبَيَـــاضِ و بِالسَّـــوادِ

هُمَا هَدْمـــًا دائـــمٌ عمر نـــوحٍ و لقمـــانَ و شـــدّادَ و عَـــادِ

فيـــــا بِكرَ بْـــنُ حَمَادَ تَعجَبْ لِقومٍ سَافَرُوا مِـــنْ غيـــرِ زَادِ

تَبِيتُ عَلـــى فِراشكَ مُطمئنًـــا كأَنّكَ قدْ أَمنتَ مِـــــن المعَادِ

فيَا سُبْحانَ مَنْ أَرسَى الرّوَاسيَ وَ أَوتَــدَها معَ السّبعِ الشِّدَادِ(2)

ويقول تفضيل بعض الناس على بعض من(الطويل):

تَبَاركَ مَنْ سَاسَ الأُمورَ بِعلمِــــهِ و ذَلَّ لــهُ أَهلُ السّمــواتِ و الأَرضِ
و مَنْ قَسَمَ الأرزاقَ بينَ عبَـــادِهِ وَ فَضَّلَ بعضُ النَّاسِ فيهَا عَلى بعضِ
فَمَنْ ظنَّ أنَّ الحِّرصَ فيها يَزيــدُه فقُولُوا له : يَزدَادُ في الطُولِ والعَرضِ(3)

وله في ذكر الموت من (الطويل) أيضا :

لَقدْ جَمَحْتُ نفسِي فَصدُتُ و أَعْرَضْتُ وَ قد مَرقَتْ نَفسي فَطَال مُرُوقُهــا
فيَا أَسَفِي مِنْ جُنَحِ لَيْــلٍ يَقودُهــــا وَ ضَوءِ نَهارٍ لاَ يــزَالُ سَيوقُهــا
إلى مَشْهَدٍ لابُّد لي مِـــن شُهُــودِهِ وَ مِنْ جرْحٍ للمَّــوتِ سَوف أَذُوقُها
سَتَأْكُلُها الدِّيـــدَانُ في بَاطِنِ الثَّــرَى وَ يَذْهَبْ عَنْها طَيِّبُهَــا وَ خَلُوقُهَــا
مَوَاطِنٌ للقّصاصِ فيهـــا مَظالِـــمٌ تُودَى إلى أَهْــل الحُّقــوقِ حقُوقُها
سَحَابُ المَنَايَــا كــلّ يــــومٍ مُظِلَّةٌ فقد هَطَلَتْ حَولــي و لاَحَ بَرُوقُها
و للنّفسِ حَاجــاتٌ تَروُحُ و تَغتَـــدي و لكنّ أحاديثُ الزَّمَان يَعُوقُهَـــا
تَجَهَّمْتُ خَمْسًا بعـــدَ سبعِينَ حُجَّــة و دامَ غروبُ الشّمسِ لي وَ طُلُوعُها
وَ أَيدِي المَنَايَــا كلّ يــــومٍ وَ ليلَــة إذا قتقت لا يُستطـــاعُ رُتــوقُهَا
يُصبِح أَقوَامًا علــى حيـــنِ غفلــةٍ و يَأتيكَ فِي حِينِ البَيَاتِ طُرُوقُها(4)

(1) نفســه.
(2) نفسه ، ص 76.
(3) نفسه ص 77.
(4) نفسه ، 78-79.

وله في الوقوف بالقبور من (البسيط):

قِف بالقبورِ فنادا لهـــا مَدين بهــا من أعظمِ بليت فيها و أَجسَـــــاد
قَومٌ تقطّعت الأسبَـــاب بَينهـــُم مِن الوّصالِ و صَاروا تَحت أَطوَادِ
رَاحُوا جَميعًا على الأَقدامِ و ابتكَروا فَلَنْ يَرُوحوا و لنْ يَغدو لَهم غَــادِ
و الله لـــــو ردّوا و لــو نَطقُــوا إذًا لقَالوا : التُقــى من أفضَل الزّادِ
فَبرَزَ القـــومُ و امتــدّت عسَاكِرهُم كَمَــا يُوافُـــوا لميقَــاتِ و ميعَاد
مَـــا بِالقلوبِ حَيــاة بعدَ غَفلتِهـــا وَ الله سبْحـــانَــه منها بِمرصَادِ

أيْنَ البَقاء و هــذا المَوتُ يطلُبهـــا هيْهات هيْهات يَا بِكر بنُ حمَــادِ
بينَنا نَرى المَرء في لهوٍ و في لعبٍ حتّى نرَاه علــى نَعشٍ و أعـــوَاد
هــذا يُبـــاكر دُنيـــاه مَنْغصــةً فيها حَزازَات أحشَاءٍ و أَكبَـــــادِ
و كلّنـــا وَاقفٌ منها علَــى سَفـــرٍ و كنـــّا ظَاعــنٌ يَحتدو به الحّادي
في كـــلّ يــومٍ نَرى نعشًا نشيّعُه فرائِحُ فــارقِ الأحبَــابِ أوغَــادِ
المَوتُ يَهدِم ما نبنيــهِ من بَـــذخٍ فمَا انتظارُك يَا بِكــر بنُ حمــَاد(1)

11 - سعـــــيد بن الحدّاد (-302هـ)

هو سعيد بن محمد صبيح أبو عثمان بن الحداد ،أخذ عن سحنون يقول:

ويُبصِرُني إذا ذُو المَـــال يزهَـــى بِما يَحــوِي مِن المَـــالِ الجّزيــلِ
أراهُ وكـــأنَّ عينيّ لا تـــَــراه وأُعرِضُ عنه إعْراضُ الملـــُــولِ (2)

ويقول أيضـــــاً من (الطويل):

رَغبتُ بنفسِي عن دَنــي المَكاسِــبِ ومَا أعجزَتني حيلَــةٌ عن مَطــَالبِي
فإنْ لمْ أنَل دنيَـــا فقد نلتُ همـــّة تَنــزُه نفسِي عــن دنِي المَكاسِــبِ
أبَتْ همّتي إلاّ سُمُـــوا إلى العُلـــى وإنْ طَأْ طَأَ تْني حــَادثاتُ النَّوائــبِ
تَرانِي وفي صَــدرِي هُمُــومٌ كثــيرةٌ ضَحُوكاً لأخفِي عَن جليسٍ وصَاحِبِ(3)

(1) نفسه ص 80-82.
(2) المالكي ، رياض النفوس ج 2 ص 98
(3) نفسه

وقال أيضا:

يَمنعــنِي من عيبِ غَيــري الّذي أعلمـــــــهُ فيَّ مـــن الــعَّيــبِ
عَيبي لهُم بالظـــــنِّ منِّي لهـــم ولسْــتُ مـــــن عيبِي في رِيــبِ
إنْ كــانَ عَيبــي غَــاب عنهُـــم فقَد أَحصَى ذُنُــوبي عَالِمُ الغَّيْــبِ (1)

وقال أيضا

مازِلتُ من حَادثانِ الدَّهر مُتعجبـــاً حتّى انقَضى عجبِي بعد الثَّلاثمائَـــــه
لا بـــــارِكَ اللهُ في عَامٍ وفِي سُنَّـــة كانَـــت لشَرِّ زمَــانِ كَـــان مُخْتبَئَهْ
عـــَادَت أسَافِلـــهُ طُـــراً أُعَاليه ولاَ أُعَــالِي إلاَّ وهيَ مُنكفِئَـــــــه(2)

وقال أيضا :

كَـــمْ عسَاني أعِيـــــشُ كمْ عَسَـــانِي كمْ عسَـــــانِي أبْقى علَى الحَدثَـــانِ
بَعدَ سَبيعـــيـــــن حُجّـــة وثَمـــانٍ قد تَوفَيتُهـــــا مـــــنَ الأَزمَـــانِ
يَا خَلِيـــلي قَد دَنا المَّـــــــوتُ منِّي فَابكيَـــــانِي هديتُمـــــا وانعيَانِي (3)

21- أبـــو جعفر أحمد بن نصر بن زياد الهواري (-307هـــ)(4) قال من (مجزوء الرمـــل):

لا يُعجبِـــــــــكَ يـــا فتَـــى حُسْـــنُ فَرْشٍ ومُتَّـــــــكـــــــاً
إنَّ للعـــُـــــرْسِ فَرحـــــــةٌ بَعـــــدهَا النـــــُّـــوحُ والبُكَـــا(5)

31- ابن عبد ربـــه (-328 هـــ)

هو أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حذير بن عبد الملك بن مروان (6)

من أهل العلم والأدب والشعر صاحب كتاب العقد الفريد . قال في الزهد :

يَا عَاجِزاً لَيـــسَ يَعفُو حيـــنَ يقْتَـــدَر ولا يُقضَى لـــــهُ منْ عَيشِـــهِ وطَـــرُ
عَايـــنْ بِقلبِك أنَّ العَيـــنَ غافلـــــةٌ عنِ الحَقيقـــــةِ واعلَم أنَّـــــهَا سَقَـــرُ(7)

---

(1) نفسه ، ص 107
(2) نفسه ، ص 110.
(3) نفسه ص 100، 111.
(4) العربي دحو. الأدب العربي في المغرب العربي ص 241.
(5) نفسه
(6) بغية الملتمس ج 1 ص 193.
(7) نفســـــه.

ســـــوداءُ تُسفـــرُ إذَا سَـــفـرتْ للظَّالميـــــنَ فـــلاَ تَبقي ولا تَـــــذرِ
لو لمْ يكنْ لكَ غيرَ المـــوتِ مَوعظَة لكَـــانَ فيهِ عن اللّـــذاتِ مزدَجـــر
أنتَ المَقـــول ُ لهُ مَا قلتَ مُبتدئـــاً هـــلْ ابتكـــرتَ لبين أنتَ مُبتَكـــر (1)

وقال أيضاً:

ألاَ إنّما الدُّنيا نضـّـــارة أيكـــة إذا اخضرَّ منهَا جَانب جفَّ جَانـــبُ
هيَ الدَّارُ ما الآمَـــال إلاَّ فَجائعُـــه عليهَـــا ولاَ اللَّـــذات إلاَّ مَصَائـــبُ
وكَم سخنت بالأمْـــسِ عين قَريرَةٌ وقرَّت عيُون ٌ دَمعَها اليّوم سَاكـــبُ
فَلا تَكْتَحِل عيْنَـــاك فيهَا بِعبـــرَةٍ على ذَاهـــبٍ منهَا فإنَّك ذَاهـــبٌ(2)

وما قاله في آخر أيامه :

كـــلاني لمَّـــا بي عـــاذِلي كَفَـــانـــي طَـــويـــْتُ زمَاني بُرهـــَـــةً وَطَواني
بُليتُ وابتَلتني اللّيالي وكرِّهَـــــــا وحرفـــَـــان للأيَّـــــامِ مُعتَمِـــــــرَانِ
مَالي لاَ أبْلي سَبعيـــــــــنَ حجَّـــــةً وَ عشْر أتَـــتْ منْ بعـــــدهـــَا سَنتَـــانِ
فلا تَسألاني عنِ تَبَاريـــــح علـــّتي و دُونكمـــــــا منـــّي الذي تَريـــــانِ
إنِّـــي بِحمـــْـــد الله راجٍ لفَضلِـــــــه ولِي من ضمَـــــــانِ اللهِ خَير ضمَـــانِ
ولســـــْـــت أُبالِي منْ تَبَاريحَ علّـــتِـــي إذَا كـــــان عقلِـــي بَاقـــِيًا وَ لِســـَانِي
هُما مَا هُما فِي كلِّ حـــــالٍ تلِمُّ بِـــــي فَذَا صـــــــــارِمي فيها وذاك سنَانِي(3)

وقال أيضاً:

بادرْ إلى التَّوبةِ الخَلصَاء مُجـــتهـــدًا والمَّـــــــــوتُ ويْحك لمْ يمدُد لك يَدَا
وارقُبْ منَ اللهِ وَعدَا ليس يُخلِـــــفُهُ لا بدَّ لله منْ انْـــــــــجَازِ مَا وَعَدَا(4)

وقال أيضا:

مَا قدّر اللـــــهُ هو الغَّـــــــالبُ ليـــــــسَ الذي يَحسَبُـــه الحَّاسِبُ
قدْ صَـــــدَق الله رَجاء الـــورَى ومَا رَجـــَـــــــــاءُ عندَه خَائِبُ
وأنْـــــزلَ الغَّيث على رَاغِـــبٍ رَحمتُهُ إذَا قَنَـــــــــطَ الرَّاغبُ(5)

---

(1) بغية الملتمس ص 195.
(2) المصدر نفسه ، ص 195.
(3) نفسه ص 195.
(4) نفح الطيب المجلد 4 ص 320.
(5) " ديوان بن عبد ربه". تحقيق محمد رضوان الداية . مؤسسة الرسالة .بيروت– لبنان. 1979 ص 30

وقال أيضا في القناعة:

تَجنّب لبَاسَ الخزِّ إنْ كنتَ غَافلاً ولاَ تَخـــــتَتِمْ يومًا بِفضٍ زَبَرْجَدِ
ولا تتطيّب بالغَّوالي تَعـــــطُّرًا وتَسحَب أذْيَال المَّلاءِ المُعَـــضَّدِ
ولا تتخيَّر صيتَ النَّعلِ زَاهِيـــًا ولا تَتَصـــــدر فِي الفِّراشِ المُمَهَّدِ
وكن هملا في الناس أغبر شاعثا تروح وتغدوا في إزار وبرجـــد(1)

14 – أبو محمد عبد الله بن سعد اللحام (ت 331هـــ) قال :

أزعجت عن لذّةِ القـــُرآنِ يا سَنَدِي و ذَاك لمَّا ركبتُ الذّنبَ باللّـــــددِ
أتلُـــــو القُرآنَ فأسهو عـــن عجَائِبِه لشَهوةٍ قطعَت من عُـــرَى كَبـــدي

فَمَا سَلكتُ طريــقَ النّاعميـــــنَ به قد صَار تِذكَارُهُم أحلَى من الشَّهدِ
و طُول أنْسٍ بهم في وَقتِ خُلوَتِهــم يَتلونَه دائمًا قربًا من الصَّمَـــــــدِ
هيْهات يَا نفسُ أن تَحظى بِحالَتِهـــم و أنتِ مخذُوعةٌ و الله بالرَّصـــــدِ
أهجُرِ بِلادَك و كوني للذّنبِ بَاكيــةً و رَاقِبي اللهَ في الأَلفاظِ و الجسَدِ(2)

15-**أبو الفضل مولى نجم(ت 324هـ)**(3) قال :

ألاَ يَا عينُ ويْحكِ فَاسعَدي بسَكبِ الدَّمعِ في ظُلَمِ اللَّيالِي
لعَلَّ في العَتَامَةِ أن تَفُوزِي بخيرِ الفَّوز فِي تلكَ العَلاَ لي(4)

16- محمود القطان (-334هـ)

لا تَطمئِــنْ فإنَّ النَّــاسَ قد حَالُــوا واقبِضْ لِسانَك عمَّا قُلتَ وَ قَالــُوا
و احذَر زَمانَك إذَا أخرْتَ عن زَمنِي بادِي النَّصيحَة إمَّا ملَّت أو مَالُــوا
وابْكِ الدِّماءَ على مَا فاتَ من زَمــنٍ فيه الوفاءُ و فيه الدّينُ و المَــالُ
للهِ أنتَ لقَـــدْ غَدرتَ فِـــي زَمَنٍ أَغلَى أَلف صائح آدابٍ و أفضَال
و اقتنِعْ بجلسكَ أنْ تقبَل نَصيحتَــهُ أو تصمتــنَّ فمَــا يَعنِيكَ تَســأَلُ (5)

(1).نفسه ص 48
(2) المالكي ، رياض النفوس ج 2 ص 276. وينظر إبراهيم الدسوقي ، جاد الرب "شعر المغرب حتى خلافة المعز" ص 181
(3) نفســه ص 243.
(4) نفســه
(5) نفسه ، ص 349.

17 - أبو بكر بن سعدون بن مسعود التميمي(ت 344هـ) قال :

إذَا القُّـــــوت تُأتِــي لكَ و الصِّحــةُ و الأَّمــنُ
و أصبَحتُ أنَــا حزن فَــلا فَــــارقَك الحُــزْنُ(1)

و قال أيضا :

الخَّيرُ أجْمَعُ فِي السّكوتِ وَ فِي مُلاَزمَةِ البُيوتِ
فإذَا تَهَيَـــــــــأَ دَاوُدَا فَأقتَنِع بأقَّـــلِ قُوتِ (2)

و قال أيضا :

سِجنُ اللِّسانِ هو السلاَمَة للفَتَى من كُلِّ نَازِلةٍ لهَا إسْتِئْصَالُ

إنَّ اللِّسانَ إذَا حَلَلْتَ عُقَالَـــــه أَلْقَاكَ في شَنْعَاء ليسَ تُقَـــالُ (3)

18 – يوسف بن عبد الله القفصي التميمي (ت 34432هـ) قال عن ذم الدهر:

ومَا الدَّهرُ إلاَّ ليلةٌ بعـدَ يومهـــا و نَجمٌ تَراه طَالعـًا ثُـمَّ أَفْـــلاَ
و قَرْنٌ جديدٌ خلَفَ قَـرنٍ وَ دولَـة تُعَاقبُ أُخرَى لاَ يَزَلْنَ شَوامِـلاَ
فلَو صَحّ لِي عَقلِـي بِمَا أنا واصِفٌ لبِتُّ و جَنبِي لاَ يَمُـلُّ قَـلاقِـلا
و لو صَحّ لي عَقلي لَحزْتُ خَلائقـا أبالا ي بِهم الصّالحينَ الأَفاضِـلاَ
و لَو كنتُ من دَارِي على كُنهِ علمِها و قد ذُقتْ منِّي اللُّهاةُ حنـَاظِـلاَ
لأَعرَضتُ عنها حينَ أولتْ إسَـاءةً و جازَيتُها بالصَّاعِ صَاعًا مكَايِلاَ
و لـــو أنَّ لِي قَلبًا يَعِـي لتَقَطَّعَـتْ علاَئِق دُنيـــايَ فبتْـنَ زَوَائِـلاَ
و لـــو أنَّ لِي سَمعًا قـدِ أَسمعُ البلَى للبَيتِ منهُ المُنـــــذِرات العَواذِلاَ
و لـــو أنَّ لِي عينًا تَـرى بدَالَـــه لأَجرْتُ بِنحرِي من دُمُوعِي جَدَاوِلا
و لـــو أنَّ لـــي نفسًا عليّ عزِيزَةٌ لكسَبتُها تلك الكُسُـــوب الأمَائِـلا
و لـــو أنَّ لِي إلفًا حَميمًا لَحَـاد بِي عنِ الرِّقِ للدُّنيـا إلـى العَتقِ مَائِلاَ
لـــو أنَّ لِي رَأيًا يُعـــاشُ بِمثلِـه تَخَيَّرتُ أحـوالاً بـــــه و مَنَازِلاَ
لـــو أنَّ لِي سَعيًا جمِيلاً لَمَال بِـي إلى الكَدِّ حتّى يترُك الجِّسمَ نَاحِلاً(4)

(1) المصدر نفسه ص 418 ، معالم الإيمان ج 3 ص 53.
(2) المصدر نفسه ص 417 ، معالم الإيمان ج 3 ص 53.
(3) المصدر نفسه ص 418 ، معالم الإيمان ج 3 ص 53.
(4) المصدر السابق ، ص 278-280.

لو أنَّ لِي أَدنَـى حياءٍ لهَـدنِي ودَاعِي أترَابًا و خدْنا مواصِـلاَ
وفقد تقَاة من حميـــمٍ و جيـرَة تولُوا فمَا عَاجُوا على الرَّواحِـلاَ
و فَوالِي أيَّام الحَيَـــاة و لم أف و أصبحتُ عنهُم لاَهِي القَّلبِ ذَاهِلاَ
إذا ذَكرُوا رِيـعَ الفُـؤَاد لذَكَّرَهُم وَهيَّجَ أشجَانَـــا لَـه وَبَـلابِـلا
و لو لم يَكُن بِالوجهِ منِّي صَلابَةً لوَقرْتُ شَيبًا بالغَـــادِرينَ مَاثِـلاَ
لو أنَّ لِي حِسًّا لأَحسسْتُ لِبلـــى دَبِّيبًا بجسـمٍ قدْ أحـــالَ الشّمَائِلاَ
و لو أنَّ لِي حَزمًا لأعدَّدتُ جَنـَّةً بها أُتُوقى الحادِثـــات النَّوازِلاَ
و ما جنَّـــةُ المُستَجن يعدهَـــا بأَحصَـنِ أركَـان وأزكَى نَوافِلَ

من البِـــــرِّ إنَّ البرَّ للمرءِ مَعقَلُ بعيــدٌ منَ الآفَاتِ فَاقَ المَعَا قِــلاَ (1)

ومن قوله :

صَافي الجَّليل من العِّبــادِ رِجَـــــالاً مَدُّوا الهُّمومَ و قَصَّرُوا الأَمَــالاَ
عَرفُوا جـــَلالَ مَليكِهم بِحقائِـــقَ فَتحَمَّلُـــوا لِجلاَلِــهِ الأَثقَــالاَ
أَنسَوا به دُون الــوَّرى و تقرَّبُـــوا منه فأَخملَ ذِكـــرَهم إِخمَــالاَ
مُتَنَعِّمينَ بذكـــرِه فَبَذِكـــــــرِه قَطَعُوا الشُّهورَ و أَفْنوا الأَحوالاَ
مُتَعَبِّدِيـــنَ لـــــه تَعَبُّـــدَ ذلَّـــــــةٍ مُتَسربِلِينَ منَ التُّقَى سِرْبِـــالا
صَمَت عنِ الفَّحشَاء إِنْ مرَّت بِهـــم يَومًا و إِنْ قَالُوا فَطابَ مَقَـــالاَ
قد أَودَعوا علمًا خفيّـــًا فاجتَنَـــوا منه ثِمَـــارَا تُعجِــزُ الجُّهَــالاَ
و هُم إِذَا مَا اللَّيل أقبَـــل أقبَلُـــوا متجلِّلِينَ منَ الظَّـــلاَمِ جـــَلاَلاَ
يتَسابقُون إِلى القِّيـــامِ قد امتَطُـــوا ظَهرَ الظَّلامِ و أنصَبُوا الأَوصَالاَ
تَكَسَّبُوا الرُّؤُوسَ على الصُّدُورِ وهيَّجُوا شَجَوا يَقْرُبُ منهُـــم الآجَــالاَ
لله دَرُهُـــم عِصابَـــةَ عِصمَـــةٍ لـــو لا هُـــم صبَّ العَّذابَ وَبَالاَ
تَحيا القُّلوبُ بذِكرِهِم من مَـــــوتِها وإِذا رَؤَوا ذكر الإِلـــــه تَعَالاَ(2)

و قال أيضا :

بِعيشِكَ أَجسَاد أضرّ بِهـــا الكـــَدّ و طُولُ السرَى في اللّيلِ وَاللَّيلُ مُمْتَدٌ(3)

---

(1) المصدر السابق ، ص 278-280

(2) المصدر السابق ، ص 280-281.

(3) نفســـه.

إِذا رَجَعُوا فِيـــه الحَّنيـــن فَرَقَّقُـــوا تَجَدَّدَ وَجَدَّ منهُم دُونَـــه الوّجـــدُ
يَنوحونَ إِشفَاقـــًا و يشجُّـــونَ رِقَّةً تَشوَّقُ مَوعُـــودٍ إِذَا نَجَـــزَ الوَّعـــدُ
قِيامًا علـــى الأَقدَامِ طورًا وتـــَارةً يَجرّونَ أقدامًا نَحَا نَضْوَهَا الجُّهـــدُ
رُكُوعًا سُجودًا و الأكفّ شَـــوارِع خُضُوعًا كمَـــا يخذي لسيّدةِ العَّبـــدُ
سُـــراةٌ إِلى مَأمُولِهـــم ما لحَـــاجِهِم سِواهُ و لاَ مِـــنْ بعدهَـــا لهـــُم بَعدُ
إِلى منْ إِلى مَعرُوفةٍ ينتهِي المُّنـــى و منْ نحوِه الآمَال تَســوءُ و تمتَّـــدُ
قد بَذَلُو المَجهودَ فيـــه إِذ أَيْقنُـــوا بأَنَّ ليس يومًا مـــنْ مُلاقاتِـــه بُـــدُّ
و صَانُوا وَجوهًا لم تَخلقْ صفاحهـــا قَبائِحُ أعمـــَالٍ عواقِبهَـــا نَكَـــدُ(1)

19- أبو المعمور محمد بن حمزة الربيعي (-265هـ) قال من(البسيط):

المـــوتُ لا بـــدَّ آتٍ فاستَعدْ لـــهُ إنَّ اللّبيبَ بذِكـــرِ المَّوت مَشغُولٌ
وكيفَ يَلهُـــو بعيشٍ أو يَلِـــذُّ بِه منَ التـــُّرابِ على عينِهِ مَحمُـــولٌ (2)

20-أبو الخير العبد * (-348هـ).

مـــا الدَّ هـــرُ إلاّ ليلـــةً منْ بعـدِهـــا يـــومٌ جَديـــدُ
وكِـــلاَ هُمَـــا بِكَ فَاعِـــلٌ مَا لاَ تـــُريـــدُ ومَـــا تـــُريـــدُ (3)

21-أبو القاسم الفزاري(- ؟):

تلفَـــعُ في مُفـــارقَتِه القَيْتَـــرُ وَقـــوسٌ غُصنُه اللّـــونُ النَّضـــرُ
وليـــس يُؤدِبُ الإنسَـــانَ شَـــيءٌ كَتأْديـــبِ الحَـــوَادثَ إذا تَـــدُورُ
وإنّ بِبابِـــكَ اللَـــهُمَّ عَـــبـــدًا منَ الخُـــذلانِ أصبَـــحَ يستَجـــيُر
دعـــاكَ وقدْ رجـــاك فَصنْهُ معـــًا يُحَـــاذِر ذو المُـــراقبَـــة الحَـــذُور
ولا تُسلِّمـــهُ للـــدُّنيا فتَهـــوَى به منهَـــا بُطُـــونٌ أَو ظُهُـــورَا
سَلامتُهـــا وإنْ دامَـــتْ سِقامـــًا ونِعْمتُها وإنْ راقَـــت غُـــرُورَ
ومَرعَاهـــا لرَاعيهَـــا وَخيـــمٌ وكَثرَتـــهـــا لمكرِهـــا يَسيـــرُ
سَتر المَـــرء يومـــًا ثمّ يغـــدُو فَيسلِـــب مـــَا أتَـــاح لـــهُ الـــرورُ(4)

(1) المصدر السابق ، ص 278-280
(2) القاضي عياض ، تراجم أغلبية ص 329.
* المعروف بالتيناتي الأقطع . صوفي من أصحاب الكرامات من أهل المغرب.ينظر رياض النفوس ج 2 ص 439
(3) المالكي ، رياض النفوس ج 2 ص 439
(4) إبراهيم الدسوقي ، جاد الرب ، شعر المغرب حتى خلافة المعز . ص 267 و القصيدة طويلة تزيد عن 68 بيتا.

وإنْ واتَتـــْكَ إقبَـــالاً ونِعْـــمَى فعُقبَـــاهَـــا الفَجـــائِعُ و القُبـــُورُ
وكلُّ الخَيـــرِ فيهـــا مستعَـــار وسَـــوفَ يُـــرَدُّ ذاكَ المُستَعيـــرُ
وإنّ عزيـــزَهَـــا عمّا قليـــلٌ ذليـــلٌ ، والغنيُّ بهَـــا فَقيـــرُ
وكلّ مؤمـــل أمَـــل طويـــلٌ وعُمـــرٌ لـــو تأمَّلَـــه قَصيـــرٌ
وبعدَ المَّـــوت أهْـــوالُ عظـــامٌ يَشيـــبُ لبعضِـــها الطِّفلُ الصَّغـــيرُ
وتَذهَـــلُ كـــلُّ مرضعةٍ لكـــربٍ ليـــومٍ فيـــه شـــرٌّ مُستَطِـــرُ
وبعـــدَ المَّـــوتِ للأرواحِ إمـــَّا نعيـــمٌ في الكَّـــرامَـــةِ أو سَعيـــرُ (1)

22 - بن هانـــــي (-362هـ): هو الحسن بن هاني من أصل عربي نشأ في الأندلس ، ولكنه

استقر بعد ذلك بموطن والده المهدية في بلاد المغرب لميله للفاطميين(2).

يقول في (المتقارب) :

ألاَ كـلُّ آتٍ قَريـبُ المَـــــــدى وكـلّ حيـــــاةٍ إلى مُنتَـــــــــهَى
وَمَا غَـرَّ نفس سِـــــوى نَفسَهـــا و عُمرُ الفَتى منْ أمَاني الفَتـــــــــى
فَأَقْصِـــــر في العَيـــــنِ من لفتَـــةٍ وأسْـــرِع في السّمع مـــــــن ذَا ولاَ
ولم أرك المّـــرء وهـــو اللّبيـــبُ يَرى مـــلءَ عينَيهِ مـــا لاَ يـــرى
وليس النّواظِـــــرُ إلاّ القلُـــــوب و أمّا العيُـون ففيهـــا العَـــــمى (3)

23- أبو عبد الله محمد بن أحمد الخيّـاط الواعظ ، المعروف بابن قمرة (-386هـ)*

قـــــال :

مَـاذا تقُول وليـــسَ عندَك حُجّـة لـوفدٍ أتَاك منغّـــــصِ اللّـذات ؟
مَـاذا تَقول إذا دُعيـتَ فلمْ تُجِـبْ وإذا سُئلتَ وأنتَ في غمَـــــرَاتِ ؟
مَـاذا تقُول وليـــسَ حُكمُك جائزاً فيمـــا تُخلفـــه مـــنَ التركَات؟
مَـاذا تقُول إذا حلَلـــتَ مَحلَّـــةً ليس البُغـــاةُ من أهلِهـــا بثُقَـات؟(4)

(1) ابراهيم الدسوقي ، جا الرب ، شعر المغرب حتى خلافة المعز . ص 267.
(2) الدكتور عبد الله شريط." تاريخ الثقافة و الأدب في المشرق و المغرب" ، المؤسسة الوطنية للكتاب ط 3. الجزائر 1983 ص 295 ، 297.
(3)ديوان بن هاني ، ص 27
*ترجمته في معالم الايمان ج 2 ص 108
(4) نفســـه.

24 - أبو عبد الله محمد الأرشاني المتعبّـــد (-387هـ).

قـــال:

أرضَ بقـــوتٍ تعشْ عزيـــــزاً سقيَـــا لحركـــاه قـــوتٌ
لم يَـرغبْ الـــرّاغبُ المعنـــّى حسبُك فالـــرّزقُ لا يفـــوتُ
أحسنـــتُ ظنّي فطـــاب عَيشي علمـــاً بأنَّ غـــدًا أمـــوتُ (1)

25 - أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن القبان (-397هـ):

المَـوت لابدَّ آتٍ فاستعـــدْ لـــهُ إنَّ اللّبيـــبَ بذكـــرِ المَوتِ مشغولٌ
وكيفَ يلهـــو بعيشٍ أو يَلـــذُّ به من التـــّراب على خدَّيـــه مجبُول(2)

26 - أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيـّوب الباجي القاضي(- 474هـ)

فقيه محدّث إمام متقدم مشهور، أصله من بطليوس ، ثم انتقل إلى باجة الأندلس ثم باجة أخرى بمدينة إفريقية و باجة أخرى ببلاد أصبهان .... (3)

قال في الزّهد :

إذا كنـتُ أعلـمَ علماً يـقـينـاً بأن ّجميـعَ حيـاتِي كسَـاعَـه
فلم لا أكـونُ ضنـينًا بهـا وأنفقهـا في صَـلاح وطـَـاعه (4)

27- الرقـيـق القيرواني (- 425 هـ) :

يقول(الطويـل)

أهـوَن مـا ألقَى وليس بهيـِّـن بـأنَّ المنايـا للنُّفـوسِ بمـرصَـدِ
إنـّي وإنْ لم ألقـَـك اليومَ رائـحاً لصَـرْفِ رزاياها لقيتُك في غـدِ
فلا يبعدنـّـك الله ميتـاً بقفـرةٍ مُعَقر خـدٍّ في الثّـرى لـم يوسّـدِ (5)

28- ابن أبي الرّحـال (- 425هـ):

هو علي بن أبي الرجـال الشـيباني يُكَنىّ أبا الحسن (6) قال في الـزّهد:

(1) معالم الايمان ج 3 ص 121.
(2) نفسه ص 130.
(3) الديباج المذهب . ص 126
(4) الديباج المذهب ص 126. نفح الطيب المجلد 2 ص 74 . بغية الملتمس ج 2 ص 14. الخريدة . ج 2 ص 557.
(5) الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث (قسم الدواوين الشعرية) .
(6) المغرب العربي ، تاريخه و ثقافته ص 302.

أمـن الزّمـانَ زمانـه العقـلُ فاخْـش الإلهَ وحُـدْ عنِ الجـّهـلِ
واعـلمْ بأنَّ في الحِّسـاب غـداً تجزَى بمَـا قـدَّمـتَ من فعـلِ (1)

وقال أيضاً :

وألـزِمُ نفسـي الصّبـرَ أباً لعلّـني أعايِـنُ مـا أمّلت قبـل مَمَاتي
ألا إنـّمـا الدّنيا كفـافٌ وصحّـةٌ وأمنُ ثـلاثٌ هـنَّ طيـب حياتِـي(2)

29-ابن شـرف (- 460هـ):

هو من وجوه الأدب الزاهيـّة في القيروان في القرن الخامس .وصاحب مؤلف " أبكار الإفكار"(3).

سَأبقى على الدّنيا بصولةِ مِحرَابِ وإلاّ علـى الأخرى بوصلَة مِحرابِ

ولا خيرَ في عيشٍ يكونُ قوامُــــه بمحنةِ مكــذوبٍ ومَدحــةِ كــذّابِ (4)

30-عبد الرحمن أبو القاسم بن محمد الحضرمي المعروف باللبيدي(- 440هـ)

هو من مشاهير علماء إفريقية ومؤلفيها....، توفي بالقيروان(5)، قـــــال:

أنتَ العَلــيّ أنتَ الخَالــقُ البَــارئُ أنتَ العَلّــيمُ بما تُخفيــه أسْــرَارِي
أنتَ العَلّيــمُ بِما في الخَــلق مقــدرة في وسعِ عيشٍ وفي بــؤسٍ وافتقَــارِ
عسَى المليكُ يذود النّفس عن عطبٍ يجلو العَمَــاء بتوفيــقٍ وأنــوارِ (6)

31- بكـــار بن داوود المر واني (440هـ -؟)

ثــقْ بالــذي سَــوّاكَ مــن عــَــدَمٍ فإنّــكَ من عــَــدَمِ
وانظرْ نفسَكَ قبل قــــــرْ عِ السِّــــن من فَــــرطِ النــّــَدمِ
واحذَرْ وقيتاً من الــــــوَّرى واصحَبهُــــم أعمَى وأصَّــــــم
قد كنــــتُ في ننــه إلــــــى أنْ لاحَ لي أهــــــدَى عِــلــم
فاقــتــديــــت نُحــو ضِيائِــه حتــّى خرجــــتُ من الظــــلمِ
لكــــنَّ قناديــــلَ الهَّــــوى في نورِ رُشــــــدي كالحِمّــــمِ (7)

---

(1)المصدر السابق، ص 302.
(2) نفسه
(3) " تاريخ الثقافة في المشرق و المغرب" ص 321. وترجمته كذلك في "المطرب من أشعار أهل المغرب "ص 66
(4)الموسوعة.
(5) (6) الديباج المذهب ص 168.
(7) " المغرب في حلى المغرب "ج 1 ص 418.

32- ابن رشيـــــــق (-463هـ):

هو أبو الحسن بن رشيق المسيلى من مقاطعة الـــــزّاب الجزائرية (1) قال في القناعة :

يَعطي الفتَى فينـــــال في دعـــــةٍ مــا لــم ينــَــلْ بالكــَدِّ والتــّعبِ
فاطلبْ لنفســك فضــلَ راحتــِها إذ ْ ليســـت الأشيـــاءُ بالقلــبِ (2)

ويقـــول أيضـــــاً :

تُنازِعُـــني النَّــفسُ على الأمــورِ وليس مــنَ العَّجــز لا أَنــْشَــطِ
ولكنَّ بمقــدارِ قــُــرب المكـــانِ تكونُ سلامـــةُ مــن يسقُـــــطِ (3)

34- علـــي الحصـــري القيرواني القيرواني (-488هـ)

قال في الزهد :

دَهـــرٌ حوادثُـــه شَتّـــى الأَحاديـــثِ فاسمَـــعْ لما شئتَ عنْ نوحٍ وعن شيث
وسلْ عن ابن التّرابِ البّكرِ كيفَ هـوَى فأصبحَـتْ قـــوّة فـــيه لتنكـيتِ
تَغـــــرُّنا دارنـــا الدّنيَـا بزُخـرفِها ونحن في طلبِ للمّـــوتِ محثـــوثِ
ما أتعبَ النـــّاسَ أحـياءٌ وأ رواحُهُـم موتَى لـو أنَّ رميـــماً غـير مبعُوثِ
لهـــولُ يـومٍ عصيبٍ لا مَـردَّ لـه تراهُـم كفـــراشِ فـــيه مبثُـوثِ
وكأس ثكـــل على ريّ شـربت بهـــا فَرُحتُ مـــنها بتمرِ يـضِ وتَمريـثِ
قالوا أفِـــقْ لعـــلا يُؤذيـك قُلتُ لـهُم لا يؤلِـمُ المنتَـشِي عـضّ البراغيـثِ (4)

وقال أيضـــــا: السّـــريع

لا أشتَهي الدُّنيـا و لـو أ نَّـــني متـوّجٌ أملكُ أجـوَازهـــا
حَـلّ بأجفانِـكَ مـــا راعَنـي فكيف أستَـحسِـنُ أجوازَهـــا(5)

وقال في المتقارب :

إذا رُعـظَ السّـَهم أو عَـظـْعَـظَا فسَهمُ المَنـيّـَة لـن يُـرْعِـضَـــا
تهيـض القسـي ّ علـى نابِـــلٍ ويصـمي القـصي ّ وإنْ أَجعَـظَـا(6)

(1) رابح بونار ، المغرب العربي تاريخه و ثقافته ص 304.
(2) (3) نفسه .
(4) الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث (قسم الدواوين الشعرية)
(5) نفســـه
(6) نفســـه

تكـذِب هَيهات دعـــوَى عَـسى فحسـبُ المُؤمـّـل أن يـُـوعظَـا
ويفـــرَحُ بانَ بحسنـــاتِـــه ولو ذُكـر المّـوتُ ما أنمـــظـا
هو المـوَّت لا بُدّ مـن سَهـمـه فكيف ادّرَعْـن لـكي يُـدلـَظَـا
وكيف جَرَّرنـــا طِـــوالُ القَّـنـا على كـل ّطـرف سليـمِ الشَّظـى
وأن ّ المنـــايـــا ليدركَـــنَّ مـن وَنَى في الطّـريـقِ ومـــن أركَضَا
قـضَـــاءٌ من الله لا عاكـــظاً إذ جَـاءَ يأمَـن أن يـعكِـظـا
تنـاحَ لمن حـــظى الحَتـَفَ منـه وليـس بنـــافعـه أن حَـــظـا
فيصـرعْ ضرباً وإن لـم يجَـل ويصـرعْ حربـاً وإن ألمَـظَـا
أيا شَامتـــاً بـــورودِ الـرّدى سيُـوردكَ الحَّوض من أبهـضَـا

رَمَاني الزّمــانُ إلـــى غربـــــةٍ أُعاشـــرُ فيهـا العدى الغَيّـــظا
مــع القـــارظيـــن بهـا عـدّتي وأقســـم لا تَـرجِـعُ القَـــرَّظـا (1)

وقال أيضاً : (مخلع البسيط)

دينُـك أَعلى العلوق علْقـــــاً إيّـــاك بالبّخـــس أن تبيعه
صـــراطٌ ذوالعّـرش مستقيـــمٌ مَـن يمـــشِ فيـــه يكـن تَبيعه
واحذرْ مـــن الدَّهرِ طارقـــات لـــم يخلُ منهـــا ذُرَى وقبعه
وقائـعُ الدّهـــرِ فيّ شتـّـــى وهـذه سِـــرّها وقِيـــعَـــة (2)

وقال أيضاً (المتقـــارب):

هو الدّهـرُ يـبـكي إذا أضحَـكا فمـــالك تَضحـكُ ممّـنْ بَكـــى
أيشمُتك اليوم شكوى امـــرئٍ لعلـّك تشكـو غـــداً مـا شَـكـا
رأيتُ العِـــدا هَلَـكـوا فاكتَرَثـــ ـــتُ وقلـتُ كـذا أرد المَهْـلَـكا
وما سَـرّني العيـشُ بعـــدَ العِدَا إذا المـــوت من فـــاتَـــه أدركا
إذا ذُكـرَ المـــوتُ ذا عبـــرة وهـم بخيـرِ التقـــى أمسَـــكا
أَخو العِـــزّ متخـذ ليلَـــه نهـاراً ومنزلَـــه مَنسـكَـا
فشـرٌّ من المَّـــوت عيـشُ أذل وخيرٌ مـن الحُـــرّ عبـدٌ زكـا(3)

(1) الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث (قسم الدواوين الشعرية)
(2) نفســـه
(3) نفســـه.

خذْ العـُرف وأترك المُنكَـــرا ت وانظـرْ لتـأخـذ أو تتـركَـا
ورحْ و اغـــدُ للعّلم دأبـاً ثـرت به العِـــزَّ والنَّسب الأبـركَـا
فما الكَنـــزُ إلاّ هَديُ عالِـــمٍ ولا الفقـرُ إلاّ غِنـى أنـوكَـا
هـــو الله فاعتقِـدن اليّقـيـنَ وخَـلِّ الزَّنـادقـة الأُفـكـا
وسَلْهُـم بمن مَـات أوعاشَ هـل سِـوَى الله سكّـنَ أو حَـرّكَـا
أفي الله شـــكٌ تعَالى اسمـهُ لقـد خـــاب ذو خبرةٍ شكّـكَـا(1)

35- أبو الصّلت أمية بن عبد العـــزيز الدّاني* (-529هـ)

ذكر صاحب الخريدة في "باب في ذكر عدد من شعراء المغرب من أهل العصر" (2) و الذي عاش عشرين سنة في اشبيلية و عشرين سنة في إفريقية وعشرين سنة في مصر (3) قـــال

في الإعتبار :

حَسبِي فكَم بَعُدت في الله أشواطِي وطــَال في الغَيِّ إســـــرَافي وتفرِيطي
أنفقتُ في اللّهوِ عُمري غيرَ مُزدجِرٍ وجَــدتُ فيه فوقــري غيرَ مُحتـــــاطِ
علِّي أخلُصَ من بحرِ الذُّ نوبِ وقد غرِقتُ فيه على بعدٍ من الشـّــاطـــي
نعم ومالِي ما أرجو رضَــاك بــه إلاّ اعترافِي بأنِّـي المذنبُ الخَــا طــي (4)

ويقول أيضا : (الطويـــــل)

تضَــايقُنــا الد ّنيا ونحــن لها نَهبُ وتوسِعنا حربًا ونحن لهـــا حـــربُ
وما وَهبَــت إلا استردَّت هِبـــاتَهــا وجدوى اللّيالي أن تحققتهـــــا سُكبُ
تُؤمــل أن يصفو بهــا العيشُ ضلــة وهيْهات أن يصفو لسَاكِنها شـــَـربُ
إذا سَبقـــت دار بأهـــْـلِ مَـودّة رغا بثنائِي الـــدَّار بينهـــُم سقبُ
ألا إنـّمــا أيَّام الحياة بأسرِهـــــا مراحِلُ تطويـــها ونحن بِها رُكـبٌ
مَــا أن أنشَبت كــفّ المَنيــّة ظُفرَها فيُنجي طَبيب من شبــَاهــا وطـــبٌ
ولا وألـــت من صيدِها ذاتَ مخلبٍ به كلَّ حينٍ من فرائِسهَــا خلـــبٌ
ولا حيـــدَر ذو لبدتيــنِ غضنفَــر له من قلوبِ الأرضِ في صَدرِه قَلبٌ (5)

(1) المصدر السابق.
* ترجمته في تحفة القادم ص 6
(2) خريدة العصر ج 2 ص 430
(3) نفح الطيب المجلد 2 ص 105.
(4) خريدة العصر ج 2 ص 430.
(5) المصدر نفسه.

وقال أيضاً :

سَكنتُك يــا دارَ الفَنــاءِ مُصدقــاً بأنّي إلى دارِ البَقــاء أَصيـــــرُ
وأعظمُ ما في الأمر أنيّ صــائـــرٌ إلى عادلٍ في الحُكم ليس يجـــورُ
فيَا ليتَ شِعـــري كيفَ ألقاهُ بعدهَــا وزادِي قليـــلٌ والذُّنــوبُ كثيــرُ
فإن أكُ مجـــزِياً بذَنبــي فإننــّي بــِحَــرّ عذابِ المُذنبيـــنَ جديــرُ
وإنْ يَــكُ عفوًا ثمّ عيـــنٌ رحيمــةٌ فثــمّ نَعيــمٌ دائـــمٌ وسُـــــرورُ (1)

36 - بن حيـّــــــوس (-570هـ)

شاعر المغرب الأقصى(2) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حيــوس ،قال في القناعة :

ولا تَحـــرِص قفـــرب فَتـــَى مُضَــاعٍ عنـــد مَــا حـــرصَ

وحِـــــرصُ الطَّائـــرِ الوَّاقـــــــعِ صيـرَ جَـــوّهَ قَفَصـــا (3)

37-أبو بكر بن مجـــــبر * (-588هـ)

قال في القناعـــــــــة :

ألا مــقت الله سعـــي الحريـــصِ فـــَما جـــازَهُ الـذمُّ إلاّ إليـــهِ

يُسَـرُّ بمـا في يَـدي غـــيـــرِه وينسى السُّـرورَ بمـــا في يَديـــهِ (4)

38- أبو الحـكم المغربي المريني **(-549)

يقول في الموت:

وللمنـــايَـا مواقيـــتٌ مُقـــدَّرةٌ وذاك حُكـــمٌ جرى في سالـفِ الأَبَدِ

ولم تَزل أسهُـــم الأقـــدارِ صائبـة ولا سبيـلَ إلى عقـلٍ ولا قـــودِ (5)

39- إسماعيل بن أحمد بن زبـــّادة الله التجيبي (-441هـ)

من أهل القيروان، وسكن المهدية يعرف بالبرقي ويُكـنـّى أبا طـــاهر ،أخذ عن أبي إسحاق الحصري (6).

---

(1) نفح الطيب ج 3 ص 297.

(2) المطرب في أشعار المغرب ص 199.

(3) المصدر نفسه ص 199.

* الفهري الذي كان بمراكش وتوفي بها..ينظر نفح الطيب المجلد 3 ص 237.وينظر "بغية الملتمس ج 2 ص 309

(4) الموسوعة .

** ترجمته في الخريدة ج 2 ص 488

(5) الخريدة ج 2 ص 493.

(6) التكملة لكتاب الصلة ص 238.

قال في محاربة النّـــفس:

قـــولُ المَّشيبِ يُعـارضني ولـــمْتي يا نفسُ فازدجـــري عنِ اللـــذَّاتِ

ودَعـــي الحيـــاةَ لأهلِهَا فجهـــّزي يا نفسُ ويـــك تجهـــز الأمـــوَاتِ

فلقد نَصحتُكِ إن قَبلْـــتِ نَصيحـــتي ولقد وعَظْتُـــكِ إنْ سَمِعـــتِ عِظَاتي(1)

40 - محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن الصغير الأنصاري الخزرجى(559/569هـ)

ويكنى أبا العباس من سراقسطة....نقله أبوه إلى سبته فأقام بها مدّة ....توفي بمراكش (2)

قال في الرجاء والدّعـــــاء:

إلَهِي لكَ المُـــلـــكُ العظيـمُ حقيـقـــةً وما للورَى مهمـــا منعـــتَ نَصيـــرُ

تَجافـــى بنُوا الدّنيـــا مكـــاني فَسَـرّني وما قـــدرُ مخلـــوقٍ جـــــزَاهُ حَقيـرُ

وقالـــوا فقيرٌ وهو عـــندِي جَلا لـــــهُ نَعَـمْ صَدقُـــوا إنـّي إلِيـكَ فَقِـيـرُ (3)

41- عبد الحق بن عبد الرحمن (-581هـ)

يعرف بابن الخرّاط .....نزل بجاية عند الفتنة الواقعة بالأندلس ، عند انقراض الدولة اللّمتونية (4)

قال في الوّعظ :

إنَّ في المـّوتِ والمَعَـاد لـَشغـــــلاً ادّكـــَارَا لـذِي النـُّهـى وبَـلاَغـَـا

فاغتنِـــــمْ خُطّتيـــن قبـل المنـايـا صِحـــّةَ الجِسم يـا أخي وَ الفرَاغـا(5)

42- عبد الرحمن السهيـلي (-581هـ)

هو أبو العفاف أبو زيد عبد الرحمن بن الخطيب ،كان يتسوّغ بالعفاف ويتبلـّغ بالكفاف حتـّى طلبه صاحب مراكش وأحسن إليه (6) قـال:

يا مـن يَرى ما في الضّميرِ ويسمَـعِ أنـتَ المعّـدُ لكـلِّ مـا يتوقـّعُ

يا من يـُرجى للشَّدائـدِ كـلـهـا يـا من إليهِ المشتَـكَى و المَفـزَعُ

يا من خزائِنُ ملكِه في قَـول كـنْ آمـنتُ فإنَّ الخيـرَ عنـدك أجـمَـعُ (7)

(1) المصدر السابق .

(2) الإحاطة في أخبار غرناطة ج 1 ص 82 ، الديباج المذهب ص 62.

(3) الإحاطة في أخبار غرناطة ج 1 ص 82.

(4) الديباج المذهب ص 193.

(5) نفسه.

(6) الديباج المذهب ص 166.

(7) الديباج المذهب ص 168 ، الاستقصاء ج 1 ص 190 ، كتاب أعلام مالقة ص 251.

مالي سـوى فَقـرِي إليـكَ وسيلَـة فَبالافتقَـارِ إليـك فَقـرِي أَدْفَـعُ

مالي سِوى قَرعِي لبَابِـكَ حِيلَـة فلئنْ رُدِدْتُ فـأيُّ بـاب أقـرعُ

ومن الذي أَدعُو وأَهتِفُ باسـمِـه إن كَانَ فَضلُك عن فقيـرِكَ يُمنَـعُ

حَـاشى لمَجـدِكَ أنْ تُقنِطَ عاصِيـاً الفضلُ أجزلُ والمواهـبُ أوسَـعُ (1)

43- أبو الفضل جعفر بن شـرف (-530هـ)

وهو وَلَدُ أبي عبد الله محمد مصنـّف " أبكار الأفكار"(2)

قـال عند وفاته :

رَحَلـْتُ وكنـتُ ما أعـدَدْتُ زادًا و مـَا قَصّـرتُ عـنْ زادِ المُقـيـمِ

فهَـا أنا قد رَحلـتُ بغـيرِ شيءٍ ولكنـّي نزلتُ على كـريـمِ (3)

وقال أيضاً:

لعمرُك ما حَصلتُ على خطيـــرٍ مـــنَ الدّنيـــا ولا أدركـــتُ شيّـــَا
وها أنا خـــــارجٌ منهـــا سلبـــــًا أقـــلـــبُ نـــــادمـــاً كلتَـــا يـــد يّـــَا
وابكـــــــي ثمَّ أعلـــــمْ أنّ مَبكَـــا يَ لا يُجـــدِي فأمسَـــــــحُ مُقْلتَيَـــــّا
ولـــــم أجـــــزَعْ لهولِ المَوتِ لكـــنْ بَكـــــيتُ لقلَّـــــــةِ البـــــاكي علَيَّا (4)

44- عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (-544هـ)

القاضي الإمـــــام المجتهد، يُكنّى أبا الفضل سبتي الدّار،أنـــــــــــدلسي الأصل.....(5)

قال في طلب الصفح و الاستغفار :

أعُـــوذُ بربِّي مـــــن شَـــــرِّمَـــــا يُخَـــاف مـــن الإنْسِ والجنـــّةِ
وأسْـــألُـــــــه رَحمـــَـــةً تقـــتَضِـــي عَـــوارِف تُوصَـــلُ بِـــالجنـــّة
فمَـــــا للخِـــــلاّنِ مـــــــن نـــارٍ سِـــوى فضلُ رحمَاهُ من جنـــّةٍ (6)

(1) المصدر السابق.
(2) الخريدة ج 2 ص 601.
(3) نفســه.
(4) نفح الطيب ج 3 ص 208
(5) الإحاطة ج 4 ص 335.
(6) المصدر السابق ص 335.

45- أبي مديـــــــــن شعيب (-594هـ)

وهو الشيخ سيدي بومدين شعيب بن الحسين الأنصاري الأندلسي الشّهير بأبي مدين المغربي (1)

قال في طلب الصفح و الاستغفار:

يا مَن علاَ فَرأى ما في الغيُوب ومـــا وتحـــت الثَّرى وظلامِ اللَّيلِ مُنسَـــدِلٌ
أنتَ الغيَّاثُ لمـــن ضاَقت مَذاهبـــُـــه أنتَ الدّليلُ لمن حـــــارَت به الحيَّـــلُ
إنْ قَصدنـــــــاكَ والآمَـــــالُ واثقـــةٌ والكـــلّ يدعُوكَ مَلهُـــوفٌ ومُبتَهِـــلُ
فإنْ عَفوتَ فَـــذُو فَضلٍ وذُو كَـــرمٍ وإنْ سَطَـــوتَ فأنتَ الحـــاكمُ العَـــدلُ (2)

وقال في التزود بالتقوى وطلب العفو والصفح:

إذا أنَا من زادِ التّقوى كنتُ مُعسِـــراً ومن مُوبقَات الإثْمِ أصبحتُ مُوقَّـــرَا
دعَـــوتُ إلهِي ضَارعـــاً مُتحقـــراً أيا مَن تعَـــالى مَجـــدَهُ فتَكبَّـــــرَا

بِعفـــوِكَ يـــا ربّي عُبَيـــدَكَ لائِـــذٌ من السُّخطِ ينجُو بِالرّضى وهو عَائِـــذُ (3)
أمـــن بنواصي كلـــّنا هـــو آخـــــذ ومـــن حكمه ماض على الخلق نافـــذ
بناصيتـــي خـــذ بالهوى أنا شائـــــع ومـــن بإحســـــان فجـــُودك واسِـــع
وعبدك بالغفران والعفوِّ قـــــــانع لك الحكم لا معطي لمـــــا أنت مانع
تـــــدارك عُبيدا لم يـــزل وهو هائـــم بعهـــد الصبّـــا اعتلـــته الجـــرائم
وأنـــت الذي تجري لديـــك مسائـــــل إذا قلت كـــن كان الذي أنت قائـــل
وسامحـــه انـــــــه على الذنب نادم قضـــاؤك مقضيٌ وحكمك جـــــازم
عُبَيْـــدك إن لم تكســـه العفـــو حائـــر غريـــــق ،وإن أمنـــته فهـــو آمـــن
مساويـــــه إن ترضى عليه محاسن وأمرك بين الكـــاف والنون كائـــــن
عُبَيْدك يا ربّـــــي لعفـــوك سائـــل وليـــس لـــه إلا رجـــاك وسائـــــل
فصُنْ من الظنّ وجهي قد بنى لم أصن سوى أنني التوحيـــد بالشرك لم أخـــن
ومن يتحلـــّل عـــزّك الدّهـــر لم يهن سَبَقـــتَ و لم تـــُسْبـــق وكنتَ ولم يكـــن
فجُدْ لعبـــادك العصـــاة بعتقهـــــم غداً يوم يحظى الصّادقـــون بصدقهـــم(4)

---

(1) د. محمد مرتاض . من أعلام تلمسان – مقارنة تاريخية – فنية . دار الغرب للنشر و التوزيع – وهران . الجزائر 2004 ص 19.
(2) المرجع نفسه ص 29.
(3) .نفسه.
(4) الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث (قسم الدواوين الشعرية)

كما جُدْتَ في هذي لكل برزقهـــــم ودبّرت أمـــر الخَلق مـــن قبل خلقـــهم
قطعت زماني في المعاصي مُجاهـــداً فجئتك أبـــْغي العفـــوَّ إذ ْ كنتَ قادراً
علمـــكَ مـــا يخفى كعلمك ظاهراً علـــوتَ على السّبع السّمـــوات قاهـــراً
ظننت بربّي خيـــر ظـــنٍّ ومـــن يظن جميـــلاً بمـــولاه عليـــه به يُمَـــنْ
يـــا ربّي ألبسني لبـــاس التـــّقـــى لبســـت رداء الكبريـــــاء ولم يَكُـــنْ
ذكَتْ نارُ خوفي و الخطايا تشبّهـــا أيهلكـــني داء المعاصـــي ورُعبهـــا
وأنت الـــذي لا شكّ عنـــدك طبهـــا تقـــرُّ لك الأربابُ أنـــّك ربّـــهـــا
وعَدت إله العرش أنـــّك غافـــرٌ فجُـــدْ لي بغفرانٍ فعنـــدي كبائـــرُ
وأنيّ ضعيف عاجـــزٌ متصاغـــــرٌ وأنـــت كمـــا سمّيـــت نفســـك قاهـــرُ
حَمَلـــتُ مـــن الأوزار عبئاً مثقـــلاً فجئتـــك ربّي مستغيثـــاً مـــؤمّـــلا

فأنت الذي تعفـــــو الكثيـــر تفضّلا وأنت رفعـــتَ السّبع في ذروة العُـلا
فأنـــــزل عليّ مـــن رضاك سكينةً فَنَفْسٍ من الأوزار عَـــادَت حزينةً
أمـــــن رَفَعَ السّمـا طباقـــاً مكينة وسخّـرتَ فيها الشّمس والبدْر زينـةً
فلا تُبقِ لي ضـــــــرّاءَ إلاّ محوتَها أمن يبصرُ الأشيـــاءَ ويسمع صوتَهـا
وقدَّرت فيهنّ الحيـــــاة وموتهـــا وأنت بسطـــتَ الأرضَ ثمّ دَحوتَهـــا
فأمِّن عبيداً أم بابك صارخـــــــاً إذا صار إسرافيـلُ في الصّور نافخـاً
وسخرت في الأرضِ الفجاج رواسخـــاً وأرسَيت فيهـا الرَّاسيات شوامـخـــاً
أقلْ عَثْرتي وارحَـــم إلهي عَبـرتي وأحـــيي فُـــؤادي باستدامة حُلوتي
فأنت الذي تُحيي البـــــلادَ بخضرة وأنت الذي أنشـأتَ منها بقـــــدرة
جرمتُ على نفسي بجهلي جرائـــــراً ولست أرجـي غير مَولايَ غافـــراً
أمن منحَ الإنســـــان فضـــلاً مُفاخراً جعلتَ له عقـــــلاً وسمعًا وناظراً
أجرني من أصـــــلِ الرّدى وفُروعه أيـــ مـــن تَلَقّى آدم فـي وُقُـــوعه
وثبتَ عليه إذ دعـــا بخُضوعـــــه وزوّجته زوجاً مـــن إحدى ضُلوعـه
غدوتُ بأثوابِ المعاصي مُسربـــلاً وقلبي بأسقـــامِ القســاوةِ مُبتلـى
فخُذْ بـــــدواءِ التّوب ربّ وتفضلا فسُبحانك اللـّهم ذا المّجـد والعُـلا(1)

(1).الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث (قسم الدواوين الشعرية)

وقال من الكامل :

فإذا نظـــــرتَ بعين عقلك لم تجدْ شيئاً سواه على الـذّوات مُصـورا
وإذا طلـــبتَ حقيقـةً مـن غيـرِه فيذيل جَهـــلُك لا تـــزالُ مُغترًا (1)

وقال من البسيط :

ما لـــذّة العيّش إلاّ صُحبـة الفقـرا هم السّلاطينُ والسّاداتُ و اللأُمرَا
فاصحبهُـــــم وتأدب في مجالسهم وخلِّ حظّك مهمـا خَلفُـوك ورَا
واستغنِم الوقتَ واحضردائمًا معهُم واعلَم بأنَّ الرِّضى يخصُّ من حَضَرا
ولازِم الصَّمـتَ إن سُئلـتَ فـقُـلْ لا علِمَ عندي وكُـنْ بالجَّهل مُستَترا
ولا تَـــرَالعيّـبَ إلاّ فيك مُعتقـدًا عيبًـا بـــدَا بيّنـًا لكنّـهُ اُستُـتـرَا
وحُطّ رأســـكَ واستغفرْ بلا سبب وقُـمْ على قَـــدمِ الإنصـاف مُعتذرا
وإن بَدَا منك عَيبٌ فاعترِف وأقِـــمْ وَجهَ اعتذارِك عَمـــّا فيك منك جرَا(2)

وقال من البسيط كذلك:

يا مَن يُغيثُ الورّى من بعدِ ما قَطنُوا ... ارحَمْ عُبيداً أكـف الفقّر قد بسطُـــوا
واستَنزلُوا جُودك المَعهودُ فاسقِهـــــم ... رياً بربِّـــهم رضى لم يُثنه ســـخـــطُ
وعامـــــل الكـــّل بالفضلِ الذي أَلفُوا ... يا عَـــادلاً لا يُرى في حُكمِـــه شـطوا
ناجـــُوك واللّيل حَـــلاّه بَهـــاءُ سنا ... كما يحلّى سَـــوادُ اللمّةِ الشـــَّمـــط
فشـــارب ٌبذنوبِ الذ نّبِ غـــــصّ به ... وآخرون كمَا أخبرتْـــنا خلـــــطُـــوا
ومُنعمٌ في لذيـــــذِ العّيشِ وهـــو يرى ... في سلكِ من هوحولَ العّرشِ ينخـرِطُ
وملحـــــدٌ يدّعـــي ربّاً ســـواك له ... حيـــران ٌ في شَركِ الإشرَاكِ يتخبَّـــطُ
كلٌ ينـــــالُ من المقـــــدُور قِسمتَـــــه ... قومٌ تـــَرقـــُو، وقومٌ في الهَوى سَقطوا
حكـــمٌ مـــــن الله عـــدلٌ في بريّتِه ... فـــــرضَ علينا لهُ التسليمُ مُشْتـــَرَطُ
ومـــــن تصدَّى لحكـــمِ اللهِ مُعترضـــاً ... فقد تَصـــدّى لهُ الخـــذلانُ والغَلَـــطُ
وما ذُنوبُ الورَى في جنبِ رحمتِـــــه ... وهل يُقاسُ بفيضِ الأبحرِ النقَـــــطُ
فما لنا ملجأ غيرالكريمِ ومـــــــــن ... يلقى على الحوضِ هـــو السّائق الفَرِطُ (3)

---

(1) المصدر السابق .
(2) نفســـه.
(3) نفســـه.

ذاك الرَّسولُ الذي كلّ الأنَّـــــام به ... يومُ القيامةِ مسرورقٌ ومُغتَبـــــطُ
صلىِّ عليه صلاةً لا تُقادُ لمـــــــا ... من اسمُه باسمِه في الذِّكرِ مُرتَبِطُ(1)

46 - بن النحـــــــوي (513هـ)

هو يوسف بن محمد بن يوسف أبو الفصل بن النحوي ...عكف على طلب العلم في صغره بإفريقية حتى نبغ فيه (2) ومن أشهر آثاره قصيدته "المنفرجة"

قال في الزهد :

أصبحتُ فيمَن لهُم دينٌ بـــلا أَدَب ... ومَن لهُ أدبٌ عارٍ منَ الدّيـــنِ
أصبحتُ فيهِم غَريبَ الشّكلِ مُنفرداً ... كبيتِ حسَّـــانَ في ديوانِ سَحنونِ (3)

ويعنى بذلك هذا البيت :

وهـــــــانَ سُـــرَاة بَنِي لُؤَيٍ ... حريقٌ بالبُويرَة مُستَـــــطِـــرُ (4)

وقال في الدّعاء والشكوى :

لبستُ ثوبَ الرّجاءِ والنّاسُ قد رَقَدُوا وقُمتُ أَشكُو إلى مَولايَ ما أَجِد
وقلتُ يا سيّدي يا مُنتهى أمَـــــلِي يا مَن عليهِ بكشفِ الضرِّ أعتَمِدُ
أشكُو إليكَ أموراً أنتَ تعلمُـــــها مَالي على حملِها صبرٌ ولا جَلَـدُ
وقد مَدَدتُ يديَّ للضرِّ مُشتَـــكيـاً إليكَ يا خيرَ من مُدَّتْ إليهِ يَـدُ(5)

47- عبد الحق الاشبيـــــلي (- 581هـ)

هو أبو محمد عبد الحقّ بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسني بن سعيد بن إبراهيم الأزدي الأشبيـــلي ، رحل إلى بجاية ....(6)

قال في الموت :

إنّ في الموّتِ والميعادِ لشُغلا و أذكار لِذي النُّـهى وبَـــلاغَا
فاغتنِمْ خطّتينِ قبلَ المَنايَـــا صحّةُ الجسمِ يا أخي والفَراغَـا(7)

(1) المصدر السابق.
(2) رابح بونار . المغرب العربي تاريخه و ثقافته ص 269 . وينظر كذلك معجم مشاهير المغاربة د/عمران و فريق من الأساتذة –منشورات دحلب – الجزائر 2007 . ص 471.
(3) (4) المرجع نفسه ص 271.
(5) رابح بونار . المغرب العربي تاريخه و ثقافته ص 271.
(6) ينظر عنوان الدراية للغبريني ص 73 ، بغية الملتمس ج 2 ص 134
(7) نفح الطيب المجلد 4 ص 328 ، الديباج المذهب ص 193.

وقال أيضـــــــاً:

قالوا صِفْ الموّتَ يا هذا وشِدَّتَه فقلتُ وامتدَّ منّي عندها الصّوتُ
يكفيكُم منه أنّ النـــّاسَ لو وَصَفوا أمراً يُرَوِّعُهم قالـــوا هوالمَوتُ (1)

48- أبو الأصبع عبد العزيـــز بن علي (-559هـ)

المعروف بابن الطحّان الاشبيـــــلي (2)

قال في الدنيا :

دَعِ الدُّنيا لعـــــــاشِقِها سيُصبِح عن رشائِقِهـــا
وعَادِ النّفسَ مصطبـــــراً ونكِّب عن خـــــلائِقِـها
هَلاكُ المرءِ أن يُضـــحّي مُجِـــدّاً في عَلائِقِـهـا
وذُوا التّقوى يُذلـــّهـــا فَيَسْـــــلَم من بَوَائِـقِها (3)

49- إبراهيم بن خلف بن محمد بن الحبيب بن عبد الله بن عمر القرشي العامري (-572هـ)

قال في الزهد :

ثَمانينَ مع ستٍّ عَمّرتُ وليـــتني أرقتُ دُمــوعِي بالبُــكا على ذَنــبِي
فالدَّمعُ في مَحو الخطيئَةِ نعمَـــةٌ إذ ْ هــاجَ من قلبٍ مُنيبٍ إلى الــرّبِ
فيا سامعَ الأصواتِ رُحماكَ أَرتَجي فَهَبْنِي انسكابَ الدَّمعِ من رقّةِ القــلبِ
وزَكِّ الذي تُدريهِ منّي شيمـــــته تَعلق بالمظلومِ في شــدِّهِ الــرّكــبِ
وزكِّ مقامي في العُقود واكتـــُبها لوَجهِك لمْ أطلبْ ثَــواباً على الكتبِ
ولا تَحرمني أَجرَ ما كنـــتُ فاعلاً فإنّكَ ذو الأفضالِ والمَنِّ والوَ هَــبِ
ولا تُخزِني يومَ الحســابِ وهَــوْلِه إذا جئتُ مذعُوراً من الهَولِ والرّعبِ (4)

50- بن زهـــر الحفـــــيد (-595هـ)

قال في القبور والموت :

تأمّـــل بفضلِك يا واقِـــــفاً ولاحِـــــــظ مكاناً دفعنا إليــهِ(5)

---

(1) الغبريني" عنوان الدراية " ص 84-85
(2) نفح الطيب ج 2 ص 634
(3) نفســه.
(4) الإحاطة ج 1 ص 223.
(5)الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث (قسم الدواوين الشعرية).

تــُرابُ الضّريحِ على صَفحتِي كـــــــــأنّي لم أمشِ يوماً عليهِ
أُداوي الأنامَ حَذارَ المنـــُون فهـــا أنا قد صِرتُ رَهناً لــديهِ (1)

51- الأمير بن عبد المؤمـــــن(-604هـ)

قال في الزهد :

إذا ما ذُكِرت الموتُ فاضَتْ مَدامِعي على كلِّ ما فرَّطتُ فيضَ السَّحائبِ
وأذكر يومَ الحشرِ إن جـــئتَ غدا وذَنبِي معي والذّنبُ أخبَثُ صَاحبِ
ولكِن أرجي اللهَ في كل حـــالةٍ وأخشَى بمَا قَدّمتُ سوءَ العَواقــبِ
فيا خيرَ من يُدّعى لكلِّ مـــلمةٍ وأكرمَ مــَن يُرجَى لنيلِ الرَّغائبِ
أَقِل عَثرتي إن أتيتُك تَائـــباً وليسَ مُقيمٌ في الذُّنــوبِ كتَائبِ (2)

وقال من البسيط:

يا نَفسُ حَسبُكِ ما فَرَّطتِ فازدَجِري عنِ الذُّنــوبِ فإنَّ القَبرَ مَثـــواكِ
خافِي الإلــهَ لِما قَدَّمــتِ منْ زلــَلٍ واعصِي هَواكِ فإنَّ اللهَ يرعَــاكِ

إنَّ الهَــوى قلّمَا تجدي هَـــــوَادتَه وهو الذي عن سَبيلِ الرُّشدِ أَقصَاكِ
لِشدِّ ما تَعلمِـــينَ الفَّـــــرقَ بَينهُما ما كانَ أحرَاكِ بالأجــدَى وَأولاكِ
إلى ما تلهِيـــــنَ عــن قولِي مُغالطةً وتوقِنــينَ بأنِّــي غيـــرَ أفــَّاكِ
أصْغِي إلى مَا في الأرضِ من أحــدٍ ألقى إليه صَريحَ النُّـــصــحِ إلاكِ
تُوبــي إلـــى اللهِ إنّ اللهَ يَقبَلُهـــا واشْقي بِجُهدك في تحسينِ عُقبــاكِ(3)

وقال أيضاً:

يا نائماً ليلــةَ العمّــرِ ينْصَرِ مُ مُستغرقاً في الكَرى يلهُو بهِ الحلــمُ
كم ذا تَنامُ وأقوامٌ قد اكتحَـــــلوا كُحلَ السُّهادِ أطارَ الخوفُ نومَهُــمُ
بَاتُوا لربِّهم يَدعُــونَه شُفعــــاً دُموعهُم من شديدِ السّوقِ تنسجِــمُ
باعُوا الحياةَ التي ليست بدائِمــةٍ لا مَوتَ فيها لقد فَازُوا وقد غنِمُــوا
واستنفَذُوا جُهدَهم فيما يخلصِــهم فليُهنهم مَــاهَمُــو فيهِ ومــالهُــم(4)

---

(1) المصدر السابق.
(2) نفســـه.
(3) نفســـه.
(4) نفســـه

فاعملْ لأخراكَ ما ترجُو النَّجاةَ به ولتَغنَمِ العمّرَ أنَّ العمّــرَ يُغتنَـــمُ
وارغبْ إلى اللهِ في الغُفرانِ مُجتهداً هذا الصّــباحُ بَدَا و اللّيلُ مُنسجِــمُ
وصَلِّ صلاةً على خيرِ الوَرى حسبا مُحمّد خيــرُ من سَــارت به قَــدمُ
صَلَّــى الإلهُ عليه كلّمَا شَرقــَت شمسٌ ومَــا أعقبَ أنْــوَارها الظلمُ (1)

وقال أيضاً:

يا رَاقــدًا ملءَ عَينيهِ يهدِّئُـــــه لين الفِراشِ وعينُ اللهِ تَرصُدُ هُ
لو كنتَ تعلمْ فوزَ الغانمين غدًا يا راقدًا ليله مــا كنتَ تَرقُــدهُ
وكيفَ ترقُد ليـــــلاً أو تَلذُّ به وأنتَ تجهلْ ما يــأتي بِه غَــدُهُ
مهِّد لجَنبِك في التَّقوى بِخَشيتِــه فليسَ شيءٌ سوى التّقوى تُمهِّدُهُ
أليسَ تَرحلْ عن حالٍ وتتركُهــا فَاجْنِ لنفســكَ منها مَــا تزوّدُهُ
فسوفَ تجزِي بما قَدمتَ من عملٍ وزارِع الخَّير في الدُّنيا سَيحصَدُهُ
يا رُبَّ راقدٍ نومَ حشوٍ مَضجَعــهُ شَــوكُ القــّتادِ ولكن لا يَسهدُهُ

أغْــفَى على غيرِ وعدٍ من ملبهه مع الصّباحِ ويومَ الحَشْرِمَوعِدُهُ
يومُ النــّدامةِ لو تُغنِي نَدامتُــهُ مبيضُ المــوتِ فيه أو مسودُهُ
المرءُ من كثرةِ التسآلِ مُشتغلٌ بقيمةِ هَــوْلِ ما يلقى و يعقِــدُهُ
حتّى يقولَ طويلُ العمرِ وافــرهُ يا ليتَه كــانَ ذاك اليَّوم مَولِدُهُ
قد كانَ أحمدٌ عُمرَ المرءِ أطولُهُ فاليّومَ أقصرُ عمرَ المرّءِ أحمَدُهُ (2)

وقال أيضًا:

يا غافلاً عن ذِكرِ مَــــولاهُ وذاهــلاً عن شكــرِ نُعمــَــاهُ
ورَاتعــاً في غيــّهِ لا هِيــاً قد كحّلــت بالنَّــــومِ عينَــاه
كم تَصحَب الغفلةَ عن ذِكْرِه وكــــم يُــراعِيــكَ وتنسَــاهُ
يا عَجَبــاً تكثِــرْ عِصْيَانَــه وتــــدّعِــي أنَّــك تخشَــــاهُ
فعُدْ عن ذِكْرِ الصِّبا جانبــاً وارْجُ الذي تأمَــــــل رحمَاهُ
ربِّ إذا ما شِئت أن تهتدِي لقــــدرِه فاقْــرأ هُــو اللــهُ (3)

(1) نفســه.
(2) نفســه.
(3) نفســه.

52- علي بن عبد الله النميري الششتري (-608هـ)

هو أمير المتجرّدين أبو الحسن من أهل ششتر ... وذكره أبو العباس الغبريني قاضي بجاية في كتابه المسمّى "عنوان الدراية فيمن عرف في المائة السابعة بمدينة بجاية "(1)

قال في الزهد:

لقد تُهتُ عجباً بالتّجردِ والفقرِ فلم أندرِجْ تحتَ الزّمانِ ولا الدَّهــرِ
وجاءت لقلبِي نفحةٌ قدسيــــــةٌ فغبتُ بها عن عالمِ الخلقِ والأمــــرِ
طويتُ بِساطَ الكّونِ والطيّ نشرهُ وما القّصدُ إلاّ التــّركُ للطيِّ والنّشرِ(2)

53. أبو حفص السلمي* (-604)

العِــــــلْمُ يَكْسُو الحُلَلَ الفَاخِرَة وَالعِــــلْمُ يُحْيِي الأَعْظُمَ النَاخِرَة
كَمْ ذَنْبٍ أَصْــــــــبَحَ رَأْسًا بِهِ وَ مــــــــــذْنبٍ أَبْحُرُه زَاخِرَة
مَا شَرَفُ النــــــــسبةِ إلا التّقى أيــــــــنَ تهيمُ الأنفسُ الفَاخرة
ما يطلــــــــبُ العزَّ بغيرِ التّقى تَرجــــــــعُ عنهُ نفسُهُ دَاخِرة

أعرضْ عن الدّنيا تـــَـــكن سيّدًا بل ملِكـــــــــًا فيها وفِي الآخِرة (3)

وقال : (الوافر)

ولا تنســـــــــــبْ إلى كبر فهذا أبـــــوك التّربُ يُخفِضك انـــتِسابا

ولا تصحبْ أخًا كـــــــــبر وقدم على النّفـــــسِ الأعادي والصُحَّابا

ولا تحبْ محـــــــــــاباةَ تَمَدُحٍ كفى بالمرءِ حـــــــــوبا أن يُحابا

جادِر أن ترى في القوم رأســـــًا ولا تـــــــنسى الذّنوبَ وكن ذنّابا

ترابًا كن هنا فعســـــــاكَ أن لا تـــــــــمنى أن تكونَ غدًا تُرابَا(4)

قال: (المتقارب)

من لم يَبِت و البين يصـــدَع قلبهُ لم يدرِ كيـــــــــفَ تُفَتتْ الأكبـــادَ(5)

---

(1) الإحاطة ج 4 ص 220.

(2) نفسه .

* كان من أهل الفتيا في مدينة فاس ..ينظر" نفح الطيب " المجلد 3 . ص 209 .وينظر " أزهار الرياض" ج 2 ص 361

(3) المقري التلمساني "أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض " ج 2 ص 373

(4) الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث (قسم الدواوين الشعرية)

(5) نفســـه.

و قال :

بقلبِك يا غافلاً فانـــــــــــــظرْ وعيـــــــــنُيك غمضهُما تَبصُر

إذا أرسلَ الـــــــطَّرف هامَ الفُؤادُ وبـــعـــض المرائي عمى البَصر

وآفة قـــــــــــــلبِ الفتى عينه فإن ترعَى قلبـــــــــك لا تنظُرِ (1)

و قال (مخلع البسيط)

يا رَاكضًا في طـــــــــلابِ دُنيا ليـــــــــس لمن تَصدعْ انتِعاشُ

تنحَ يـــا عُرضـــــــــــــةً لرامٍ أســـــــــــــهمُه بالرّدَى تُراشُ

لم تخـــــــشَ نـــارًا هوى لظاها لمـــــــــــــن له نَحوهَا انحِياشُ

أعذر منـــــــــك الفّراشُ حـــالا علـــــــــــمتُ ما يَجهلُ الفراشُ(2)

وقال : (المديد)

أيّها المـــــــــــــغترُّ بالزّمـــنِ في هـــــــــــواه خالعُ الرسّـــنَنِ

حبّك الدّنيـــا وزِينـــــــــــتَها فتـــــــــــــــنَةٌ عمتكَ بالفِتنِ

ظلّت والجالاتُ شاهـــــــــدةً عـــــــــــاكفًا منها على وشنِ
فاهجُرها إنّ زينتَـــــــــــهـــا زيـــــــــــنةٌ شانَت ولم تَزِنِ
خَدَعتكَ إنّهـــا قُبـــــــــــحَت باطـــــــــــنًا في ظاهرٍحســـنِ
ولتقدمْ ما تـــــــــــسرُّ به قبل طولِ الـــــــــبَّثِ والحـــزنِ
فكـــــــأنَّ أخـــرَاكَ ما بَرِحَت وكأنَّ دُنيـــــــــــاك لـــم تَكُنِ(3)

قال في الزهد :

و كمْ رامُـــوا الفرار من الرَّزَايا ولـــَــــــــكِنْ أَينَ مِنْ أجلِ فـــرارِ
تدار علَيهم حـــــــــــمر المَنَايَا بِكـــَــــــأْسٍ فيهِ عقر وَ لاَ عقـــَارِ
إذا مَا اللَّـــــــيْثُ أَصْبَحَ فِي مَحَلِ فَمَا لِطَرِيدة فيـــــــــــــهِ فرارِ (4)

---

(1) المقري التلمساني "أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض " ج 2 ص 366
(2) نفسه ص 360
(3) نفســـــه.
(4) نفســـــه.

54.أبو العباس الجراوي* (-609هـ)

كَانَت مـــــــحَلُ أُنَاسٍ قَبلَنَا فَخَلوا عـــــــنْهَا وَ آثَارِهِم فيهَا مُقيمَاتِ
تالله لَوْ علِـــــــمَت مِقْدَارُ وَارِثِهَا هِبت إليـــْــــكَ رباها والقرَارَاتِ(1)

55.بن جبير (-614هـ)

قال في القناعة :

إيَاكَ والشُهـــْــــــــــرَة فِي ملْبَسٍ وَالْبِسْ مِنَ الأَثْوَابِ أَسْمَـــــــــــالِهَا
تَوَاضـــُــــــــعُ الإنسَانِ فِي نَفسه أَشرَفُ للنفـــْــــــسِ وَأَسْمَى لَهَا(2)

و قال أيضا في الدنيا وغفلة الإنسان : " البسيط"

عَجِبتُ للمَرءِ فِي دُنيـــــــــاهُ تُطعمُهُ فِي العَيشِ وَ الأَجَلُ المَحْتُومِ يَقْـطَعُهُ
يُمْسِي وَ يُصبِحُ فِي عَشْـــوَاءِ يَخبُطُهَا أَعْمَى البَصـــــيرَةِ و الآمال تَخْدَعُهُ
يَغْتَرُ بِالدَهر مَسْرُورًا بِصُـــــــحْبته وَقَدْ تَيَقن أَن الدَهْرَ يـــــــصْرَعُهُ
و يَجمعُ المَالُ حِرصًا لاَ يُفـــــــارِقُهُ وقد درى أنه للغـــــــيْرِ يَجْمَعُـــهُ
تَرَاهُ يشْـــــــفِقُ من تضييع درهمه وليـــــس يشفـــق مـــن دين يضيعه

و أسوأ النـــــــــــاس تدبيرا لعاقبته من أنـــفق العمر فيها ليس ينفعـــه(3)

و قال أيضا :

صبرت على غدر الزمـــــان وحقده وشـــــاب لي السم الزعاف بشـــهده

وجربت إخوان الزمـــــــان فلم أجد صـــديقا جميل الغيب في حال بـــعده

وكم صاحب عاشـــــــــرته و ألفته فمـــــــــا دام لي على حسن عهده

وكم غرني تحســـــــين ظني به فلم يضيء لي على طول اقتراحي لزندة

وأعرب من عنقاء في الدهر مغرب أخـــــــــــو ثقة يسقيك صافي وده

وشاهدت في الأســـــفار كل عجيبة فلم أر من قد نال جـــــــــــدا بجده

فكن ذا اقتصاد في أمورك كـــــلها فأحسن أحوال الـــــفتى حسن قصده

وما يحرم الإنســـــــان رزقا لعجزه كما لا يـــــــــنال الرزق يوما لكده(4)

---

* له مساجلات مع أبي حفص المذكور...ينظر " أزهار الرياض " ج 2 ص 365

(1) نفســـــه

(2) نفح الطيب المجلد 2 ص 485.

(3) نفسه ص 490.

(4) نفســـه.

حظوظ الفتى من شـــــــقوة وسعادة جرت بقـــــــضاء لا سبيل لرده (1)

وقال أيضا في الدعاء :

وقل رب هـــــــــب رحمة في غد لعـــــــبد سيـــــــما العصاة أيسم

جرى في ميـــــــــــادين عصيانه مســـــــــــيئا ودان بكفر النـــعم

فيا رب صفـــــــــــحك عما جنى ويا رب عـــــــــفوك عما اجترم(2)

56.سهل بن محمد بن مالك الأزدي (–636) يكنى أبا الحسن(3) و له وفادة على مراكش(4)

قال في الزهد :

نهـــــــارك في بحر السفاهة تسبح وليـــــلك عن قوم الرفاهة تصبح

و في لفـــظك الدعوى و ليس إزاءها من العمل الزاكي دليل مصحـــح

إذا لم توافـــــــــق قولة منك فعلة ففي كل جزء من حديثك تفضـــح

تنح عن الغـــــابات لست من أهلها طريق الهوينا في سلوكك أوضـــح

إذا كنت في ســـن النهى غير صالح ففـــــي أي سن بعد ذلك تصلح ؟(5)

57.أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أحمد بن مخلد بن أحمد بقي بن يزيد الأموي (-537)

قاضي قضاة المغرب من أهل قرطبة يكنى أبا القاسم (6)

قال في الزهد في الدنيا :

ألا إنما الدنيا كراح عنيفة أراد مديروها بها جلب الأنس

فلما أداروا أثارت حقودهم فعاد الذي رامو من الأنس بالعكس (7)

58.عمر بن اليدوخ أبو جعفر القلعي (-575 أو 576). : كان خبيرا بمعرفة الأدوية و له كتب منها . حواش على كتاب القانون لابن سينا (8).

(1) نفسه.
(2) نفسه ص 491.
(3) الديباج المذهب ص 134 ، الإحاطة ج 4 ص 281.
(4) الإحاطة ج 4 ص 281.
(5) الديباج ص 134 ، الإحاطة ج 4 ص 281
(6) التكملة لكتاب الصلة ص 141.
(7) نفسه .
(8) رابح بونار ، المغرب العربي تاريخه و ثقافته ص 278.

قال في الموت :

يَا رَب سَهِلْ لِي الخَيْرَات أفعلها مَعَ الأَنَامِ بِمَوْجُودِي وَ إِمْكَانِي

فَالقَبْرُ بَابُ إِلَى دَارِ البَقَاءِ فَمَنْ لِلْخَيْرِ يَغْرِسُ أَثْمَارًا عَنِ الجَانِي

وَ خَيْرُ أَنَسٍ الفَتَى تَقْوَى تُصَاحِبُهُ وَ الخَيْرِ يَفْعَلُهُ مَعَ كُلِ إِنْسَانِ (1)

59.أبو الحسن على بن محمد بن شعيب الأشوني الأندلسي (-537)

نزيل الجزائر ، و كان نحويا لغويا أديبا حافظا تاريخيا (2)

قال في الزهد :

فَمَا الفَوْزُ إِلاَ بِصَفْوِ الضَمِيرِ وَ دِينٌ مَتِينٌ وَ تَرْكِ المَنَاهِي

وَ تَقْوَى القُلُوبِ وَ رَفْضِ الذُنُوبِ وَ دَفْعِ العُيُوبِ حَذَارِ النَوَاهِي (3)

و قال في القناعة :

لاَ تَسْأَلْ النَاسَ حُبُ خَرْدَلَةٍ وَ سَلْ إِلاَهًا يَرَاكَ مِنْ طِينِ

فَرِزْقُهُ لِلْعِبَادِ ذُو سِعَةٍ لَيْسَ بِفَانٍ وَ لاَ بِمَمْنُونِ(4)

و قال في الإفراز بالدنب و طلب الصفح :

لاَ قُوَةَ لِي يَا رَبُ فَانْتَصِـــــرْ وَ لاَ بَــرَاءَةً مِنْ ذَنْبِي فَأَعْتَــذِر
فَإِنْ تُعَاقِبْ فَإِنِي مُذْنِبٌ نَطــف وَ إِنْ صَفَحْتَ فَمِنْكَ الصَفْحُ يُنْتَظَر
أَنْتَ العَظِيمُ فَإِنْ لَمْ تَعْف مُقْتَدِرًا عَنِ العَظِيمِ فَمِنْ يَعْفُـــو وَ يَقْتَدِر (5)

60 .أبومروان عبد الملك بن زيادة الله الطبني (-427)

هو محدث شاعر أديب (6) و ذكر صاحب المطمح أنه محص ما قاله في صباه من غزل بما بما ينافيه من زهد (7):

قال في الزهد :

يَا قَادِرِ لَيْسَ يَعْفُو حِينَ يُقْتَــدِر مَاذَا الذِي بَعْدَ شَيْبِ الرَأْسِ تَنْتَظِر(8)

(1) المرجع السابق
(2) المرجع السابق ص 332.
(3) نفسه
(4) نفسه
(5) نفسه ص 333.
(6) نفسه ص 265.
(7) "مطمع الأنفس" ص 268.
(8) نفسه ص 284.

عَاينْ بِقَلْبِكَ إِن العَيْـــــنَ غَافِلَــةٌ عَلَى الحَقِيقَةِ وَ اعْلَم أَنَهـــا سَقَرٌ
سَوْدَاءُ تُزْفِرُ مِنْ غَيْظٍ إِذَا سَعِرَت لِلْظَالِمِــينَ فَلاَ تَبْقَى وَ لاَ تَــــذَرُ
لَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ غَيْرَ المَوْتِ مَوْعِظَةٌ لَكَــــــانَ فِيهِ عَنِ اللَذَاتِ مُزْدَجِرُ
أَنْتَ المَقُولُ لَهُ مَا قُلْت مُبْتَدِئـــــا هَلاَ ابْتَـــكَرْتَ لبين أَنْتَ مُبْتَكِرُ (1)

61 .بن حمد يس الصقلي (-527هـ)

هو أبو محمد عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد بن حمديس الأزدي السرقوسي الصقلي ، نزيل إفريقية حين صاحب الأعراب في شمال إفريقية والصحراء سنة 471هـ ، و ذهب إلى الأندلس ثم عاد إلى إفريقية فتردد على بجاية و بونة ...(2)

قال في الزهد :

يَا ذُنُوبِي ثَقُلْتِ وَ اللهِ ظَهْـــرِي بَانَ عُذْرِي فَكَـــيْفَ يَقْبَلُ عُــذْرِي؟
كُلَمَا تبت سَاعَـــةً عدت أُخْرَى لِضرُوبٍ مِنْ ســـوءِ فِعْلِي وَ هَجْرِي
ثَقُلَتْ خُطْوَتِـــي وَ فودي تفرى غيهب اللَيْل فِيـــــهِ عَنِ نُورِ فَــجْرِ

دَبَ مَوْتُ السكُونِ فِي حَرَكَاتِـي وَ خبَا فِي رَمَادِهِ حُمْـــــرُ جَمْـرِي
وَ أَنَا حَيْثُ سِرْتُ آكُلُ رِزْقِـــي غيْرَ أَنَ الزَمَانَ أَكَـــــلَ عُمْـــرِي
كُلَمَا مَرَ مِنْـــهُ وَقْـــتَ بِرِبْحٍ مِنْ حَيَاتِـي وَجَدْتُ فِي الرِبْـحِ خُسْرِي
يَا رَفِيقَا بِعَبْـــدِهِ وَ مُحِيطـــا عِلْمَهُ بِاخْتِـلاَفِ سِـــرِي وَ جَهْرِي
مل قَلْبِي إِلَـــى صَلاَحُ فَسَادِي مِنْهُ وَ اجْبِرْ بِرَأْفَةٍ مِنْـــكَ كَسْرِي
وَأَجِرْنِي مِمَـــا جَنَاهُ لِسَـانِي وَ تَنَاجَت بِهِ وَ سَـــاوِسَ فِكْـرِي (3)

62. محي الدين بن عربي (-640): هو المتصوف الشهير ، دخل بجاية في رمضان سنة (597هـ)(4)، قال في الصبر على العبادات:

مَا فَازَ بِالتَوْبَـــةِ إِلاَ الـــــذِي قَدْ تَـــابَ قُدُمـــا وَ الوَرَى نَوْمُ
فَمَـــنْ يَتُبْ أَدْرِكْ مَطْلُوبَـــهُ مِنْ تَوْبَـــةِ النَـــاسِ وَ لاَ يَعْلَمُ (5)

(1) نفسه ص 284.
(2) رابح بونار "المغرب العربي تاريخه و ثقافته " ص 265.
(3) عبد العزيز عتيق ."الأدب العربي في الأندلس" – دار النهضة العربية للطباعة و النشر – بيـروت– ص –ب 749 سـنة 1976 ص 224
(4) "نفح الطيب" المجلد 2 ص 174
(5) نفسه ص 175.

و قال أيضا في القناعة :

لاَ تَحْسَـــبْ المَالَ مَا تَرَاهُ مِنْ عَجْـــسَدِ مَشْـــرِقِ لَرَاءِ
بَلْ هُوَ مَا كُـــــنْتَ يَا بُنَي بِهِ غَـــنِيًا عَنِ السَـــوَاءِ
فَـكُنْ بِرَبِ الـــــعُلاَ غَنِيًا وَ عَـــامِلَ الخَـلْقِ بِالوَفَاءِ (1)

63.أبو العباس الفضل بن نصر الباهي بن الرايس (-344) كان فقيها يميل إلـــى المـــذهب الشافعي ....سكن سوسة ثم القيروان ....(2)

قال :

مَاذَا تُرِيكَ حَوَادِث الأَزْمَـــــانِ وَ صُرُوفِهَا وَ طَوَارِقِ الحَدَثَانِ
وَ الجَارِيَاتِ السَبْعِ فِي الفُلْكِ الذِي يَجْرِي بِتَقْدِيرِ العَظِيمِ الشَـــانِ
مِنْ خَفْضِ أَعْلاَمِ وَرَفْعِ مَعَـــاشِرِ وَزَوَالِ سُلْطَانٍ إِلَى سُلْـــطَانِ(3)

64.القاضي أبو العباس ابن الغماز البلنسي (-؟) نزيل إفريقية (4) قال :

هُوَ المَوْتُ فَاحْذَرِ أَنْ يَجِيئَكَ بَغْتَةً وَ أَنْتَ عَلَى سُوءِ مِنْ الفِعْلِ عَاكِفِ

وَإِيَاكَ أَنْ تَمْضِي مِنَ الدَهْرِ سَاعَةً وَ لاَ لَحْظَةً إِلاَ وَ قَلْبُكَ وَاجِـــف
فَبَادِرْ بِأَعْمَالٍ يُسُرُكَ أَنْ تَــرَى إِذَا طُوِيَتْ يَوْمِ الحِسَابِ الصَحَائِف
وَ لاَ تَيْأَسَنَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَــــهُ لِرَبِ العِبَادِ بِالعِبَـــــادِ لَطَائِف (5)

وقال أيضا:

أَمَا آنَ لِلنَفْــسِ أَنْ تَخْـــشَعَــا أَمَـــــا آنَ لِلْقَلْبِ أَنْ يُقْلِعَـــا
أَلَيْسَ الثَمَانِينَ قَـــدْ أَقْـــبَلَتْ فَـــلَمْ تُبْقِي فِي لَــذَةٍ مَطْمَعَــا
تَقْضِي الزَمَـــانَ فَوَا حَسْـــرَتِي لَمَـــا فَاتَ مِنْهُ وَ مَـــا ضَيَعَــا
تَقْضِي الزَمَـــــانَ وَ لاَ مَطْمَعٍ لِمَا قَـــدْ مَضَى مِنْهُ أَنْ يَرْجِعَا (6)

(1) المصدر السابق ص 181.
(2) الدباغ." معالم الإيمان" ج 3 ص 55.
(3) نفســه.
(4)" نفح الطيب" المجلد 4 ص 321.
(5) نفســه.
(6) نفســه المجلد 4 ص 316.

65.أبو العلاء بن قاسم القيسي (-.؟.)

قال في التوكل على الله في طلب الرزق :

يَا وَاقِفَ البَابِ فِي رِزْقٍ يؤمِلُهُ لاَ تَقْنَـــطَنَ فَإِنَ اللهَ فَاتِحُهُ
إِنْ قَدرَ اللهُ رِزْقًا أَنْتَ طَـــالِبُهُ لاَ تَيْأَسَـــنَ فَإِنَ اللهَ مَانِحُهُ (1)

66.أبو حفص عمر بن حسن (-603)

قال في الزهد :

سَيَلْقَى العَبْدَ مَا كَسَـــبَتْ يَدَاهُ وَ يَقْرَأُ فِي الصَـــحِيفَةِ مَا جَنَاهُ
وَ يَسْـــأَلُ عَنِ ذُنُوبٍ سَالِفَاتٍ فَيَبْـــقَى حَائِرًا فِيمَا دَهَـــاهُ
فَيَاذَا الجَـــاهِلُ مَالِكُ وَ التَمَادِي وَ نَارُ اللـــهِ تَحْـــرِقُ مَنْ عَصَاهُ
فَـــعُولُ فِي الأُمُورِ عَلَى كَرِيمٍ تُوحِـــدُ فِي الجَلاَلَةِ فِي عُلاَهُ
وَأَمْلُ عَـــــفْوَهُ وَ افْزَعْ إِلَيْـــهِ وَلَيْسَ يَخِـــيبُ مَخْلُوقٍ رَجَاهُ (2)

67.حماد بن علي الملقب بالبين (-.؟)

قال في القناعة :

اقْتَنِعْ وَ اقْنِـــــع بِرِزْقِ اللهِ تَنَالُــهُ بِلُطْــف لَعَلَ اليُسْرِ يَذْهَبُ بِالعُسْرِ
وَ أَطْرِق إِطْرَاقَ البِغَاثِ لَدَى الصَقْر كَأَنْ لَمْ يَكُنْ إِذْ ذَلِكَ مِنْهُ عَلَى ذِكْرِ(3)

68 .أبو بر المغيلي (-.؟)*

قال :

تبين فَقَــــــدْ وَضَحَ المُعَلِـــمُ وَ بَــانَ لَكَ الأَمْــرُ لَوْ تَفْهَــم
هُوَ الدَهْرُ لَسْــــــتَ لَهُ آمِنــًا وَ لاَ أَنْتَ مِنْ صَــرْفِه تَــسْلَم
وَ إِنْ أَخْطَــــــأَتْكَ لَهُ أَسْهُــم أَصَابَتْكَ بَعْــــــدَ لَهُ أَسْــــهُم
لَيَالِيكَ تَدْنِي إِلَــــيْكَ الــرَدَى دَوَائِــب فِي ذَاكَ مَا تَسْــــــأَم
فَأَيْنَ المُــلُــــــوكُ وَ أَشْيَاعُهُــم وَ دُنْيَاهُم أَدْبَرَت عَــنْهُــــم(4)

(1) نفســه ص 321.
(2) " الخريدة "ج 2 ص 389
(3) المصدر نفسه ص 429 ، "الجزائر في التاريخ ، العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني" ج 3 ص 253.
*عاش في القرن الرابع الهجري. ينظر " جذوة المقتبس " ص 392
(4)" المغرب في حلي المغرب " ج 1 ص 188.

فَهَذِي القُبُورُ عَمَرَت بِهِــم وَ تِلْكَ القُصُورُ خَلَت مِنْهُم (1)

69.أبو الحجاج يوسف المنصفي (-.؟) الأنصاري البلنسي (2) زاهد مشور سكن سبتة . وقال عنه صاحب "المغرب في حلى المغرب" أدركه والدي (3).

قال في الزهد:

قَالَتْ لِي النَفْسُ أَتَاكَ الــــرَدَى وَ أَنْتَ فِي بَحْرِ الخَطَايَا مُقِيم
هَلاَ اتَخَذْتَ الزَادِ قُلْتَ اقْصُرِي هَلْ يَحْمِل الزَادَ لِدَارِ الكَرِيم(4)

70.أبو عبد الله بن محمد بن فرج الجياني (-؟.هـ)

قال في الزهد :

تَدَارَكَتْ مِنَ خَطَئِي نَادِمــــــا أَأَرْجُو كَسْوِى خَالِقِي رَاحِمًا
فَلاَ رَفَعْتُ صَرْعَتِي أَنْ رَفَعْــ تُ يَدِي إِلَى غَيْرَ مَوْلاَهُمَــا
أَمُوتُ وَ أَشْكُو إِلَى مَنْ يَمُــــ وتُ بِمَاذَا أَكْفُــر هَذَا بِمَــا(5)

71.الفقيه خطاب التلمساني (-.؟): هو أبو الحسن الخطاب بن أحمد بن عدي بن الخطاب بن خليفة بن عبد الله بن أبي الوليد ، كان إماما فاضلا (6) من أهل المغرب و له في الزهد و محاربة النفس :

حَرَامٌ عَلَى نَفْسِي لَذَاذَة عَيْشِهَا إِلَى أَنْ تَقَر النَفْسَ عَيْنًا بِمَا تَدْرِي
بِعِلْمٍ يُزَكِي النَفْسَ عِنْدَ مَلِيكِهَا وَ تُؤْنِسُهُمَا أَنْوَارُهُ فِي دُجَى القَبْرِ
وَ يَحْشُرُ إِنْ أَضْحَى الأَنَامِ بِظِلِهَا لِوَاءَ عُلُومٍ يَوْمَ يُدْعَى إِلَى الحَشْرِ
فَإِنْ نِلْت مَا أَملته أَبَت فَائِزًا وَ إِلاَ فَنفْسِي قَدْ أَقَمْت بِهَا عُذْرِي (7)

72.أبو عبدالله الحميدي (-488.هـ)

هو أبو عبد الله محمد بن الفتوح بن عبد الله الأزدي صاحب" جذوة المقتبس في أخبار علماء الأندلس"(8).

(1) المصدر السابق.
(2) " نفح الطيب" المجلد 4 ص 332.
(3) المصدر السابق ص 332 ، "المغرب في حلي المغرب"ج 2 ص 354.
(4)" المغرب في حلي المغرب" ج 2 ص 354
(5) "بغية الملتمس" ج 2 ص 59.
(6) "الخريدة "ج 2 ص 697
(7) نفسه.
(8) نفسه المجلد 2 ص 113.

قال في الزهد :

طَرِيقِ الزُهْدِ أَفْضَل مَا طَرِيق وَتَقْوَى اللهِ تَالِيَة الحُقُوقِ
فَثِقْ بِاللهِ يَكْفِيكَ وَاسْتَغِنْه يَعْنِكَ وَ دَعِ بِنِيَاتِ الطَرِيقِ(1)

قال في العلم :

مَنْ لَمْ يَكُنْ العِلْمُ عِنْدَ فَنَائِه أَرِج فَإِن بَقَائَهُ كَفَنَائِه
بِالعِلْمِ يَحْيَ المَرْءُ طُولَ حَيَاتِه فَإِذَا انْقَضَ أَحْيَاهُ حُسْنَ ثَنَائِه (2)

73.إبراهيم بن سلم الإفريقي الوراق(-.؟.)* يكنى أبا إسحاق قدم قرطبة وكان شيخا صالحا (3) ، قال في الزهد :

تَزِيدُ عَنِ الإِقْلاَلِ نَفْسِي نَزَاهَةً وَ تَأْنَسُ بِالبَلْوَى وَ تَقْوَى مَعَ الفَقْرِ
فَمَنْ كَانَ يَخْشَى صَرْفَ دَهْرٍ فَإِنَنِي أَمِنْتُ بِفَضْلِ اللهِ مِنَ نَوبِ الدَهْرِ(4)

74.يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث. أبو الوليد (-429.)

هو قاضي الجماعة بقرطبة ، يعرف بابن الصفار من أعيان أهل العلم .. كـــان زاهـــدا فاضلا (5) قال :

فَرَرْتُ إليْكَ من ظُلْمِي لِنَفْســـــي وَ أَوْحَشَنِي العِبَـــــاد فَأَنتَ أَنَســـــي
رِضَاكَ هُوَ المُنَى و بكَ افتِخَارِي وَ ذِكْرَاكَ فِي الدُجَى قَمَرِي وَ شَمْسِي
قَصَدْتُ إليْـــــكَ مُنْقَطِعًـــا غَرِيبًا لتــؤْنِسَ وَحْــدَتِي فِي قَعْرِ رَمْسِـــي
و لِلْعُظْمَى مِنْ الحَاجَـــاتِ عِنْدِي فَصَدَتْ و أَنْتَ تَعْلَمُ ســـــرَ نَفْسِـــي (6)

75.أبو محمد الحجازي (-.؟) يعرف باسم الأريولي ، فقيه مشهور ، عالم ، زاهد (7) قال الحميدي صاحب الجذوة بأنه هو إسماعيل بن أحمد الحجازي وأنه أخذ عن مشايخ القيروان*. قال في الزهد :

(1) نفســه.
(2)" نفح الطيب" المجلد 4 ص 332.
* كان معاصرا لأبي بكر مجاهد الإلبيري. الذي ذكر صاحب النفح أنه توفي في سنة 366هـ ينظر " نفح الطيب" المجلد 2 ص 630
(3) "التكملة لكتاب الصلة" ص 221.
(4) نفســه.
(5)" بغية الملتمس" ج 2 ص 314.
(6) نفســه.
(7) نفســـه ص 319.
* ينظر بن بشكوال. "الصلة في تاريخ أئمة الأندلس" ص 198.

ألاَ أَيهـــــــا العَاتِب المُعْتَدِي وَ مَنْ لَمْ يَـــــــــزَلْ فِي لفي أَوْدد
مَسَاعِيكَ يَكْتُبُهَا الكـــــــاتِبَان فَبِيضُ كِتَـــــــــابِـــكَ أَوْ سُـــود(1)

76.علي بن القاسم بن عشرة القاضي أبو الحسن (-؟)

فقيه عالم ، أديب بليغ جده عشرة علي هشام المؤيد ، مجاهدا في حملة من أمراء المغرب (2) و من قوله في الزهد:

تَـــــغَيرَ حَالِي وَ حَالَتْ صِفَاتِي وَذَلِـــــكَ أَجْمَع مِنْ ســـــيِئَاتِي
و مَا كُـــنْت أَخشَاه قِيلَ المَمَات فَـــهَا أَنَا أَبْصَرْتُهُ فِي حـــــيَاتِي (3)

و قال أيضا في الاعتبار :

أَلاَ رَحِمَ اللـــــــه عَبْـدًا أَحَبَ وَ أَحْيَا الفُؤَادَ بِدَمْـــــــعٍ هَمُول
تَضَاءَلَ فِي نَفْســـــه فَاسْتَـــرَا حَ و أَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءِ الحُـــمُول
وَ أَطْلَعَ مِنْ شَمْـــس أَفْكَاره إِيابَ الســـــــلاَمَة قَبْلَ الأُفُول
فَقُلْ لِلَـــــــذِي عَابَ أَفْعَـــالُهُ سَتَدْرِي الحَـــــقِيقَة عَمَا قَلِيل(4)

و قال أيضا في كثرة الذنوب و الوعيد و الموت :

إلَى كَمْ ذَا التَمَادِي فِي المَعَاصِي أمَا تَخْشَى هيات مِـــنَ القِصَـــاصِ
ذُنُوبُـــــكَ كُل يَـــوْم فِي ازْدِيَادٍ تُسَرُ بهَا وَ عمرها فِـــي انْتِقَـــاصِ
تَمَنى النَفْس يَوْمًا بَعْـــدَ يَـــــوْم وَ مَا بَعد المُنْيَةِ مِن مَنَـــــــــاصِ
أَتَعْصِي الله خَالِـــــــقَ كُل شَيء و أَنْتَ نشر نَفْسِكَ غَيْرَ عَـــــاصِ
تباكر ســـوءة و تَظَل تَبْغِـــــي قرى و حُمَى وَ تَطْمَعُ فِي الخَلاَصِ
سَتَعْلَمُ مَا أَقُولُ وَ سَوْفَ تَجْـــزِي بِفِعْـــلِكَ يَـــوْم يـــؤخذ بِالنوَاصِ (5)

وقال أيضا في الاعتبار :

كَتَبْتَكَ يَا كِتَابِي وَ عِلْمُ قَلْبِي يَدُلُ عَلَى بَقَـــائِكَ وَ انقِلاَبِـــي
إلَى رَبٍ رَحِيمٍ مَـــنْ يُرِدْ هُ يَفز بِاليُسْرِ فِي يَوْمِ الحِسَابِ (6)

(1) بغية الملتمس ج 2 ص 319.
(2) نفســه ص 171. وينظر " نفح الطيب "المجلد 3 ص 612
(3) نفســه.
(4) نفســه ص 181.
(5) بغية الملتمس" ج 2 ص 182.
(6) نفســه ص 181.

الخاتمة

لقد أتممت بإذن الله هذا البحث الذي حاولت من خلاله أن أقـــرب بعضـــا مـــن الموضوعات الأدبية في شكل عام . و ذلك في فترة من فترات كان مرت على المغرب العربي ، و لا ندعي أننا استوفيناها حقها . بل كثيرة هي الجوانب التي لم نطرقها و لم ندرجها في هذا البحث لسبب أو لآخر ، و منه يمكن القول أني لم أشبع فهمي و لم أشف غليلي من شعر الزهد المغربي ، و لعل تناثره في كتب التاريخ و كتب الأدب و تبعثره من الأسباب التي تجعل الباحث يتعب في جمع الأشعار و دراستها ، و لقد أصرينا على أن نجمع قدرا منها بشتى أفكاره . و نستكشفها مع القارئ . الذي هـــو جـــزء هـــام و عنصر رئيسي من عملته البحث و منه فهو المعني بهذه النتائج التي خلصـــنا إليهـــا و رأيناها من خلال هذه المسيرة.

1. إن كل من أراد البحث في موضوع أدبي أو غير أدبي و لكنه مغربي أو حدث فـــي منطقتنا هذه في فترة من الفترات إلا و اكتشف ذلك التشابك الواقع في أسماء الشعراء و تلك التشابهات الكثيرة التي رأيناها في أمهات الكتب المختلفة ، فهناك مثلا من كان يبدأ بالكنية في تسمية الشاعر و هناك من كان يؤخرها حتى آخر ترجمته و هناك من لم يذكرها.
2. لاحظنا أن شعراء المغرب العربي كان تشبعهم كبيرا بالثقافة الدينية المؤسسة علـــى القرآن و السنة و اللذين حملها لهم أولئك الصحابة الذين تمكنوا مـــن دخـــول هـــذه المنطقة و أولئك التابعين الذين جاؤوا إلى المغرب و غايتهم نشر هذا الدين الحنيف ، منضويين تحت راية الجهاد الذي إن دل على شيء فإنما يدل علـــى تـــرك الـــدنيا و أهوائها و الزهد فيها و الانصراف إلى الآخرة و لصلاح نياتهم و إخلاصـــهم كـــان الانتماء إليهم ليس بالأمر العسير و التزود مما حملته صدورهم ، و منه فالقارئ لأي تأريخ يجد نفسه أمام تلك الألفاظ الدينية الكثيرة . كمحدث و فقيه و حافظ و عـــالم و الإمام و الزاهد و العابد و غيرها ، فنستشف من ذلك أن هؤلاء الشعراء إنما امتلأت صدورهم قرآنا قبل أن ننظف حناجرهم شعرا ، و لعلها خاصية اتصف بها المغرب الإسلامي أكثر من غيره.
3. إن الشعر الزهدي المغربي ليس منفصلا عن الشعر الزهدي المشرقي ، فإن سلمنا أن الزهد الذي ندرسه هو الزهد الإسلامي ليس غير فإن من أتى بتلـــك العقيـــدة إلـــى

المغرب العربي هم أولئك المشارقة من حفظه للقرآن و الحديث ، و منه فهناك صلة روحية تربط بين المغرب و المشرق لا يمكن فصلها . و إن من هـــؤلاء الشـــعراء المغاربة هو أبناء و أحفاد أولئك المشارقة من صحابة و تابعين أو يرجع نسبه إليهـــم على الأقل .

و ما كان التشبه بهم واستهواؤهم لحياة الصحابة و التابعين إلا عـــاملا فـــي ذلـــك التقارب الشعري .

4. إن شعر الزهد المغربي القديم يمكن صبه في خانة التأريخ الفكري الروحي من جهة و الفني من جهة أخرى لا غير فشعر الزهد الحقيقي لا يمكن ربطه بوضع سياسي أو سلطوي إنما منبثق من أفكار تشبع بها هذا الشاعر أو ذاك فـــوجب أن نفصله عـــن زوال الدول أو نشوء دول أخرى.
5. إن فكرة الزمن هي الفكرة الأساسية لدى شعراء الزهد . و هي الطاغية علـــى هـــذا النوع من الشعر . سواء أكانت ظاهرة في تسمياتها الشائعة مثل : الدهر و الـــدنيا و عناصرها كالليل و النهار ... أو مبطنة كذكر الموت أو الشيب و ذهاب الشـــباب أو مجاهدة النفس و لذاتها أو التفكر في القبور و ذهاب الأمم ، و منه فكان اللوم واقعـــا على الزمن من طرف هؤلاء الشعراء .
6. إن بنية الشكل لشعر الزهد المغربي ظلت بسيطة غير معقدة ، قريبة المعنى من ذهن السامع ووجدانه ، فلا نجد صورة و لا تركيبا بديعيا أو موســـيقيا إلا و كـــان جليـــا لوجود تلك الألفاظ الفصيحة البعيدة عن الغريب لاعتماد هؤلاء الشعراء على أسلوب خطابي أحيانا سهل و مألوف للسامع.
7. يمكننا أن نقول أن شعر الزهد المغربي الذي وجدناه مبثوثا في تلك الكتب التاريخيـــة لم يخرج عن القواعد الأصلية للشعر العربي أو القصيدة العربية كمـــا عرفهـــا أوائل الشعراء المشارقة أو من ارتبطت بهم هذه القصيدة العمودية من أمثال زهير بن أبي سلمى على سبيل المثال لا على سبيل الحصر و المقصود هنا الشكل الخارجي لها ، فالشاعر المغربي لم يخرج عن تلك الأدران الغالبة في الشعر العربي كالبحر الطويل و البحر الكامل و البحر البسيط...إلخ.
8. إن شعر الزهد الذي وجدناه تعددت مضامينه و توزعت مواضيعه بيـــن الحكمـــة و الموعظة و النصيحة و شعر التأملات الذي هو جزء من شعر الزهد الذي يمكننا أن

نقول إنما الزهد قد يأتي بعد التأمل و التفكر في حال هذه الدنيا ، فتنبثق عنـــه تلـــك الهواجس الإنسانية و ذاك الهلع من الموت و الشيب و القبور و ذهاب الأمـــم فيعـــظ الإنسان نفسه و يعصيها و يحاربها في لذاتها و شهواتها ، و يجادلها فيما لها و مـــــا عليها. فيطوعها للتلذذ بالقناعة و إعداد الزاد ليوم الرحيل .

9. إن الشعر الزهد الذي طرقناه في هذا البحث كان مبثوثا في تلك المؤلفات على شكل مختلف و لم يستو على نمط معين فكنا نجد القصيدة الطويلة و نجد المقطوعة و نجد النتف و نجد حتى الأبيات المفردة ، و لعلها ضاعت من قصائد طويلة أو العكس ، و نشير هنا إلى أنه مازالت هناك أشعار كثيرة خفية و تراث كبير قصرنا في البحـــث عنه أوضاع منذ زمن لا يمكننا العثور عليه . و هي ذات قيمة حضارية و ثقافيـــة و فكرية و جمالية متصلة بأدب النفوس . الروح و العقل و كم زاجر من هذا الفصيل لا يعلمه إلا من تبخر فيه .

10. و يمكننا أن نختم هذه النتائج التي توصلنا إليها بشيء هام رأينا أن نعلم به كل مـــن قرأ هذا البحث و هو أن هؤلاء الشعراء الزهاد و لا يهمنا إن كان زهدهم كـــان فـــي فترة وجيزة من حياتهم بل ما يهمنا هو شعرهم الزهدي كان اعتمادهم المعجمي على القرآن و السنة و التراث العربي القديم و لا غريب في ذلك فنحـــن نطـــرق الزهـــد الإسلامي و ليس زهد الرهبان و الأحبار أو الزهد المتشـــبهين بهـــم و إن واضـــحا للقارئ أن معجمهم اللغوي قرآني و سني فكيف هو تراثي فذلك مثله مثـــل القـــرآن الكريم نفسه الذي حتى إعجازه كان مبينا بلغة عربية غرفها الأقدمون من العرب قبل الإسلام.

و نلخص في الأخير إلى أن الشعراء المغاربة من أمثال بكر بن حمـــاد أو أبـــي عقال بن غليون أو داوود الصواف أو الحصري القيرواني أو أمية ابن أبي الصلت أو أبي مدين شعيب أو غيرهم ممن كان أصله من هذه البلاد من طرابلس الغـــرب إلـــى سبتة أو دخلها متعلما أو معلما أو غيرها حاجا فمكث بها و سكنها أو رحـــل عنهـــا و عاد أو لم يعد . كل هؤلاء أثروا ساحة المؤلفات المغربيـــة بشـــعر راق مـــن حيـــث المستوى الفني و الفكري و الوحداني تخللته تلك التصويرات الموحية و الإبـــداعات و الإيقاعات الموسيقية المتجاوبة مع الأجواء النفسية المختلفة المشارب ، شعر عبر بـــه أصحابه عن أحاسيسهم المختلفة بانفعالاتها أحيانا و هدوئها و سكونها أحيانا أخـــرى ،

و لعل المغزى من ذلك كله كان هو إيفاد النفس و تهذيبها ثم إيفاد المتلقي مـــن خلال هذه التجارب الشعرية التي رأيناها و المستلهمة من عقولهم الراجحـــة .و يمكننـــا أن نشير إلى أن الدراسة في هذا المنحى يمكنها أن تكون موجودة من خلال عدة مواضيع قد يتناولها باحثون آخرون و هي تصب كما ذكرنا في هذا المنحى الذي تناولناه مثل :

- المعالجة اللغوية لشعر الزهد المغربي.
- معالجة موضوع يكون أكثر تحديد للشعر المغربي .
- معالجة شعر الزهد في عصور أخرى غير المتناولة في هذا البحث فالمغاربـــة لا بد أنهم أثروا الساحة الأدبية بالعديد من الأشعار الخالدة . ليـــس فقـــط فـــي موضوع الزهد بل الزهد جزء صغير منها.

وفي الأخير نقول ، إن كل من بذل جهدا في عمل خير لابد أن يكون تـــوفيقه من الله عز و جل أو عدم توفيقه تقصير منه و تهاون ، و للقارئ حق الحكـــم على هذا البحث . مما كان يجدر بي القيام به ، فللمعرفة حق و للجامعة حق و لأساتذتي المناقشين حق. و أدعوا الله في خاتمة هذا البحث أن أكون أديته –ولو النزر القليل منه– على شكل مقبول . وما توفيقي إلا بالله.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- مسلم بن الحجاج النيسابوري." صحيح مسلم". مؤسسة الرسالة ناشرون.دمشق.سوريا.2009

المعاجم :

1. أبو الحسن علي بن محمد الشريف. « التعريفات» .دار الشؤون الثقافية العامة- آفاق عربية. دت
2. ابن الأثير – « الكامل» . دار الكتاب العربي. ط 6 . بيروت. لبنان. دت.
3. ابن منظور – « لسان العرب».تعليق علي شيري- دار إحياء التراث العربي – بيروت 1988.
4. الزبيدي – «تاج العروس من جواهر القاموس». تحقيق عبد العزيز مطر .مطبة حكومة الكويت 1970.
5. سعاد الحكيم – «المعجم الصوفي».دار ندرة للطباعة و النشر 1981.

الدواوين:

1. أبو العتاهية . «الديوان» . دار الكتب المصرية . د ت.
2. ديوان ابن هانئ- تقديم كرم البستاني. دار بيروت للطباعة والنشر. 1980
3. ديوان عنترة . تقديم كرم البستاني . دار صادر- بيروت. لبنان.د ت.
4. شرح ديوان لبيد . مهدي محمد ناصر الدين . دار الكتب العلمية. بيروت- لبنان- ط 3 .2002
5. ديوان الحكيم أبي الصلت أمية بن عبد العزيز الداني (460-529هـ). جمع وتحقيق محمد المرزوقي . دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع-تونس .1974.

المصادر:

1. أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم – « طبقات علماء إفريقية و تونس» . تقديم و تحقيق: علي الشـــاذلي و نعيم حسن اليافي – المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر. ط 2. 1985.
2. أبو الفرج الأصفهاني – « الأغاني».تحقيق سمير جابر. دار الفكر. بيروت ط 2. ج 14
3. العماد الأصفهاني –« خريدة القصر و جريدة العصر».
4. الأعلم الشنتمري . « شعر زهير بن أبي سلمى ». تحقيق فخر الدين قباوة دار الأفاق القاهرة – مصر. د ت
5. أحمد بن عثمان المزيد – « تلبيس إبليس» .دار الوطن للنشر ط 1 2002.
6. ابن الأبار – " تحفة القادم " أعاد بناءه وعلق عليه د. إحسان عبـــاس –دار الغـــرب الإســـلامي.بيـــروت لبنان.ط 1. 1986
7. ابن الأبار – « التكملة لكتاب الصلة ».عني بطبعه الشيخان الفريد بل مدير مدرسة تلمسان و ابـــن أبـــي شنب مدرسة الجزائر – الجزائر .1919.
8. ابن حنبل – «كتاب الزهد».تحقيق محمد جلال شرف – دار النهضة العربية – بيروت لبنان 1981.

9. ابن خافان – « مطمع الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس».تحقيق محمد علـــي شـــوابكة . دار عمار . مؤسسة الرسالة مصر د ت.
10.ابن خلدون – «العبر». دار إحياء التراث العربي – بيروت لبنان.
11.بن خلكان. « وفيات الأعيان و أبناء أبناء الريان». تحقيق احسان عباس.دار صادر– بيروت.لبنان.د ت.
12.ابن دحية الكلبي – « المطرب من أشعار أهل المغرب» .تحقيق .د. ابراهيم الأبياري و .د. حامـــد عبـــد المجيد و د. أحمد حمد بدوي راجعه د. طه حسين– دار العلم للجميع للطباعة و النشر و التوزيـــع – بيـــروت لبنان.
13. أبو علي الحسن ابن رشيق – « العمدة في محاسن الشعر و آدابه». تحقيق محمد قرقزان.دار المعرفـــة– بيروت– لبنان 1988.
14.ابن فرحون – « الديباج المذهب في معلاقة أعيان علماء المذهب». تحقيق محمد الأحمدي. دار التراث – القاهرة .مصر . د ت.
15. ابن قنفذ القسنطيني ."الوفيات".تحقيق عادل نويهض –دار الآفاق الجديدة –بيروت.لبنان ط 4 1983
16. ابن سعيد المغربي – « المغرب في حلي المغرب».تحقيق شوقي ضيف– دار المعارف– القاهرة. مصر ط 4. د ت.
17. ابن عذارى – « البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب» . تحقيق ج . س كولان /إليقي بروقنسال. دار الثقافة. بيروت. ط 3. 1983
18. ابن عسكر و أبي بكر بن خميس – « أعلام مالقة».تقديم و تخريج و تعليق. الدكتور عبد الله المرابط الترغي. دار الغرب الإسلامي للنشر و التوزيع– دار صاد بيروت 1999.
19. ابن كثير. « تفسير القرآن العظيم » . دار الغد الجديد – القاهرة مصر 2007.
20. ابن مريم التلمساني. " البستان في ذكر الأولياء والعلماء في تلمسان " –اعتنى به محمد بن أبي شنب – المطبعة الثعالبية .الجزائر. 1908.
21. الحصري – « زهر الآداب و ثمر الألباب»– دار الجيل. بيروت. لبنان ط 4. د ت.
22. الحميدي – « جدوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس». تحقيق ابراهيم الأبياري– دار الكتاب المصري. دار الكتاب اللبناني–1989.ط 3
23. الدباغ –« معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان». تحقيق محمد ماضور. المكتبة العتيقة بتونس ط 2 1963.
24. الرفيق القيرواني – « تاريخ إفريقية و المغرب».تحقيق المنحى الكعبي و توفيق السقطي. تونس 1968.
25. محمد بن رمضان شاوش . «الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي» . صدر عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007.
26. الضبي – « بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس ». تحقيق ابراهيم الأبياري .دار الكتاب المصري (القاهرة) دار الكتاب اللبناني (بيروت) ط 1 1989.

27. الغبريني – « عنوان الدراية في من عرف بالمائة السابعة من مدينة بجاية» .تحقيق رابح بونار.الشركة الوطنية للنشرو التوزيع بالجزائر 1970.
28. الغزالي – « إحياء علوم الدين ».دار المعرفة بيروت لبنان . دت.
29. القاضي عياض –« ترتيب المدارك لمعرفة أعلام مذهب مالك» ، دار مكتبة الحياة بيروت ،د.ت.
30. قدامة بن جعفر نقد الشعر. تحقيق كمال مصطفى– القاهرة ط 3 1978.
31. القشيري – « الرسالة القشيرية» . دار الكتاب العربي . بيروت– لبنان .د ت.
32. لسان الدين بن الخطيب – « الإحاطة في أخبار غرناطة ».حققه محمد عبد الله عنان –مكتبة الخاشجي للطبع و التوزيع القاهرة – مصر 1977 ط 1.
33. لسان الدين بن الخطيب – « نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. » .**تحقيق إحسان عباس – دار صادر بيروت .لبنان – 1988**
34. المالكي أبي بكر بن محمد – « رياض النفوس في طبقات علماء القيروان و إفريقية ». تحقيق بشير بكوش و راجعه محمد العروسي المطوي. دار الغرب الإسلامي– بيروت لبنان 1994.ط 2
35. محمد بن محمد مخلوف –« شجرة النور الزكية في طبقات المالكية». المطبعة السلفية و مكتبتها القاهرة مصر.1349هـ.
36. المقري التلمساني –« أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض».ضبطه و حققه و علق عليه ، مصطفى السقا ، ابراهيم الأبياري – عبد الحفيظ شلبي–مطبعة التأليف و الترجمة و النشر – القاهرة – مصر – 1940.
37. الناصري أبو العباس أحمد بن خالد – « الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى». تحقيق جعفر الناصري و محمد الناصري– دار الكتاب. بدار البيضاء– المغرب 1955.
38. يحي بن شرف الدين النووي –« شرح متن الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية» منشورات المكتبة العصرية صيدا . لبنان ط 2 1982. .

المراجع:

1. أبو عمران و فريق من الأساتذة –« معجم مشاهير المغاربة».منشورات دحلب– الجزئر .2007.
2. ابراهيم أنيس – « موسيقى الشعر» .مكتبة الأنجلو المصرية ط 6. 1988.
3. ابراهيم بسيوني – « نشأة التصوف الإسلامي».دار المعارف بمصر 1961.
4. ابراهيم الدسوقي . جاد الرب –« شعر المغرب حتى خلافة المعز». دار الثقافة للنشر و التوزيع 1991.
5. ابن صغير – « أخبار الأئمة الرستميين في القرن الثالث الهجري» . تحقيق محمد ناصر. و ابراهيم بحاز.دار الغرب الإسلامي. بيروت لبنان.1986.
6. أحمد مشاعل – « الدعوة إلى الله في العصر العباسي الأول» . مشكلاتها و أساليبها و مواقفها (132هـ.232هـ) . دار العاصمة للنشر و التوزيع 1414هـ

7. عبد القادرالسائحي – بكر بن حماد شاعر المغرب العربي في ق 3.دار النشر وزارة الثقافة– الجزائر. 2007
8. أحمد إلياس حسين – « الإباضية في المغرب» .كتيب منزل من منتدى الشبكة المزابية غلى الإنترنيت
9. أندري يونيان – « الجزائر بين الماضي و الحاضر».ترجمة اسطنبولي رابح منصف عاشور– ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر 1984.
10. إميل ناصف – « أروع ما قيل في الزهد و التصوف» . دار الجيل– بيروت– لبنان .دت
11. حامد حفني داود . " تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول " .ديوان المطبوعات الجامعية . بن عكنون . الجزائر.1993.
12.رابح بونار – « المغرب العربي تاريخه و ثقافته ». الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر 1981
13.رشيد بورويبة ، موسى لقبال ، عبد الحميد حاجيات ، عطاء الله دهينة ، محمد بلقراد « الجزائر في التاريخ – العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني » – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر 1984.
14. زكي مبارك – «التصوف الإسلامي في الأدب و الأخلاق».المكتبة العصرية.
15. صبحي البستاني – « الصورة الشعرية في الكتابة الفنية ».دار الفكر العربي .مصر.1986.
16. شريفي عبد اللطيف و زبير دراقي – « الإحاطة في علوم البلاغة». ديوان المطبوعات الجامعية. بن عكنون– الجزائر–2004.
17. شوقي ضيف – « التطور و التجديد في الشعر الأموي».دار المعارف ط 7 1971.
18. عبد الحليم حسان – « التصوف في الشعر العربي .نشأته تطوره حتى آخر القرن الثالث الهجري»– مطبعة الرسالة – مصر 1955.
19.عبد العزيز عتيق – «الأدب العربي في الأندلس».دار النهضة العربية للطباعة و النشر. بيروت 1976.
20.عبد العزيز نبوي – « محاضرات في الشعر المغربي القديم».الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر 1983.
21. عبد القادر الرباعي –« الصورة الفنية في شعر أبي تمام» . جامعة اليرموك – الأردن 1980.
22. عبد القادر المازني –« الشعر غاياته ووسائطه ».تحقيق فايز ترحيني. دار الفكر اللبناني ط 2. 1990
23. عبد الله علي علام . « الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي». دار المعارف– القاهرة 1971.
24. عبد الله شريط – « شخصيات أدبية من المشرق و المغرب» . دار مكتبة الحياة ، بيروت ط 2. 1966.
25. عبد الله كنون – "سابق البربري شاعر من المغرب" . مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق–سوريا . 1969.
26. عبد الله كنون. « النبوغ المغربي» .دار الكتاب اللبناني– بيروت . ط 2 . 1961
27. عبد المالك مرتاض – « الأدب الجزائري القديم» .(دراسة في الجذور). دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع – الجزائر 2005.

28. العربي دحو – « الأدب العربي في المغرب العربي من النشأة إلى قيام الدولة الفاطمية ».دار الكتاب العربي .القبة–الجزائر 2007
29. العربي دحو – « الشعر المغربي من الفتح إلى نهاية الإمارات الأعلبنية و الرستمية و الإدريسية ». ديوان المطبوعات الجزائرية 1994.
30. عفت الشرقاوي –« دروس و نصوص في قضايا الأدب الجاهلي».دار النهضة العربية للطباعة و النشر – بيروت 1979.
31. فايز ترحيني – « الإسلام و الشعر» . دار الفكر اللبناني – لبنان 1990.
32. مبارك الميلي . « تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ». تحقيق محمد الميلي . دار الكتاب العربي للطباعة. النشر و التوزيع و الترجمة – الجزائر 2007.
33. محمد بن عميرة – « دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي» . المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر 1984.
34. محمد الطاهر العدواني – «الجزائر في التاريخ (الجزائر منذ نشأة الحضارة) عصور ما قبل التاريخ و فجر التاريخ»– المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر 1984.
35.محمد الطالبي ."تراجم أغلبية، مستخرجة من مدارك القاضي عياض"– تونس .الجامعة التونسية.1968
36. محمد الطمار – « تاريخ الأدب الجزائري ». الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر 1981.
37. محمد عبد الغني الشيخ – « النثر الفني في العصر العباسي الأول – اتجاهاته و تطوره». ديوان المطبوعات الجامعية 1983.
38. محمد علي ديوز– « تاريخ المغرب الكبير». دار إحياء الكتب العربية. القاهرة.مصر 1973.
39. محمد مرتاض–« من أعلام تلمسان . مقاربة تاريخية – فنية »– دار الغرب للنشر و التوزيع – وهران 2004.
40.محمد مرتاض –« النقد الأدبي القديم . نشأته و تطوره . دراسة و تطبيق » . مكتبة الأسد الوطنية. دمشق. سوريا.2000
41. يحي بوعزيز – « أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة». دار الغرب الإسلامي – بيروت 1995.
42. يحي بوعزيز – « الموجز في تاريخ الجزائر».ديوان المطبوعات الجامعية وهران– الجزائر ط 2 1995.

المجلات و الموسوعات :

- مجلة الفضاء المغاربي . مجلة دورية محكمة يصدرها مخبر الدراسات الأدبية و النقدية و أعلامها في المغرب العربي– جامعة أبي بكر بلقايد– تلمسان.

الرسائل:

- محمد لمين بلغيث – رسالة ماجستير : " الربط بالمغرب الإسلامي وورودهـــا فـــي عصـــري المرابطيـــن و الموحدين " . رسالة ماجيستر في التاريخ الإسلامي .إشراف عبد الحميد حاجيات 1987.

المواقع على الأنترنت:

- موقع العلامة الشيخ عبد الكريم آل شمس الدين Info@islamicbrain
www.cultural.org.ae
المجمع الثقافي.أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة. (الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث)

الفهرس

مقدمة .....أ
المدخل 1
1. الحيز الجغرافي للمغرب العربي 2
2. السياق المعرفي 4
3. المفهوم الإسلامي للزهد 7
   - في القرآن 7
   - في السنة 8
   - عند السلف الصالح 9
4. عوامل الزهد و أسبابه 10

الفصل الأول 13
- شعر الزهد عند المشارقة 14
- شعر الزهد عند الأندلوسيين 18
- الحياة الثقافية في المغرب قبل القرن الثالث الهجري 31
- بعض المصادر المعتمدة في البحث 36

الفصل الثاني 38
- موضوعات شعر الزهد عند المغاربة 39

1. فكرة الموت.....39
2. فكرتا الزمان و الدنيا 47

ج.فكرتا الاعتبار و الاتعاظ.....53
د. فكرتا القبور و ذهاب الأمم السابقة 58
هـ. فكرة تزكية النفس 59
و.فكرتا الندم و طلب الصفح 62
ز.فكرتا الشباب و الشيب 66
ح. فكرة القناعة 69

الفصل الثالث 71
1. هواجس خالجت شعراء الزهد 72

أ.الغفلة 72
ب. الخوف من كثرة الذنوب 73
ج. الدعوة للتزود بالتقوى أو الشكوى من قلة الزاد.....73
د. الصبر على الملذات 74
هـ. الحث على العلم 76

2. مصادر المعجم الشعري 78
أ.القرآن الكريم 78
ب.التراث العربي القديم 79
3. التشكيل الفني في شعر الزهد 81
1. اللغة و الأسلوب 81
2. الصورة 86
ج. الموسيقى الشعرية 90
1. التضاد أو الطباق.....90
2. الايقاع في شعر الزهد المغربي 92
3. الوزن و القافية و الروي 98
4. التصريع.....102
- **المدونة الشعرية** 104
- **الخاتمة** 151
- **المصادر و المراجع** 157
- **الفهرس** 163

ملخص :

تتضمن هذه المذكرة موضوع شعر الزهد المغربي من القرن الثالث الهجري إلى نهاية القرن السادس الهجري . حاولت فيها توضيح تلك الهـواجس و الموضـوعات الـتي خـالجت أولئك الشعراء – الذين ولدوا أو سكنوا أو عبروا بلاد المغرب العربي لسبب أو لآخر أو مكثوا مدة من الزمن – وعبّروا عنها في نزعة زهدية .

يجد القارئ في هذه المذكرة تحليلا بسيطا لهذه الأشعار ذات النزعة الزهدية و يجد كذلك مدونة الأشعار التي استطعنا أن نجدها و لا نظنها اكتملت...

الكلمات المفتاحية : المغرب ، الزهد ، الشعر ، هواجس الشعراء .

: **Résumé**

La présente note contient l'objet de l'ascétisme maghrébin poésie de siècle de l'hégire tiers à la fin du siècle de l'hégire sixième. Essayé de clarifier ces préoccupations et questions qui générée ces poètes- qui sont nés ou ont vécu ou traversé le Maghreb, pour une raison ou une autre, ou sont restés dans ce pays une période de temps- et entre eux ont exprimé dans la tendance ascétique.

Le lecteur trouvera dans la présente note une simple analyse de ces poèmes à tendance ascétique et trouver un blog ainsi que des poèmes que nous avons pu trouver ne pense pas que qui a été accompli…

Mots clés : Maghreb, l'ascèse, la poésie, les préoccupations des poètes.

Abstract :

This note contains the subject of asceticism maghrebain poetry of the third century AH to the end of the sixth century AH .Tried to clarify those concerns and issues that generated those poets - who were born or lived or crossed the Maghreb, for one reason or another, or stayed in this country a period of time – and expressed them in the ascetic tendency.

The reader finds in this note a simple analysis of these poems with ascetic tendency and find a blog as well as poems that we were able to find do not think that has been completed…

Keywords : Maghreb, asceticism , poetry, poets concerns.